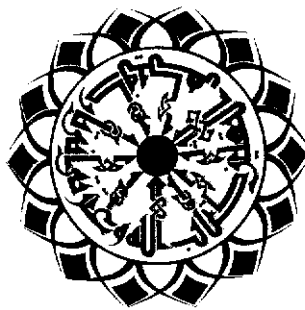


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# سَائِلُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّةِ جَامِعَةٍ

العددُ العاشرُ . السَّنةُ الثَّالِثَةُ . ربيعُ الثَّانِي - جُمادى الثَّانِيَّةُ ١٤١٥ هـ . ١٩٩٤ م

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على العنوان التالي:

\* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم ص.ب: (٨٩٤، ٣٧١٨٥) هاتف: ٧١٠٧٧١ فاكس: ٣٥١٧٩

## رسالة الثقلين

## محتويات العدد

### مجلة اسلامية جامعة

• تعنى باحباء السعد

الاسلامية من جميع

الثقلين والدفاع عن

حريم القرآن الكريم وسنة

الرسول الشريفة وخط

أهل البيت الاعظم

• تستقبل نتائج العلماء

والشفاكرين والكتاب

الاسلاميين التي تحب

فسي رسالة الثقلين

لتكريس وحدة الامة

الاسلامية وتثبيت

شوكتها في أرجاء

العالم

• الآراء السوادية في

الموضوعات لا تعبر

بالضرورة عن رأي

المجمع أو المجلة

• تسلسل الموضوعات

يخضع لاعتبارات فنية

• يرجى من يرقد المجلة

بمنتجاته الاحتفاظ

بصورة منها فإنها لا

تعاد نشرت أم لم تنشر

### كلمة التحرير

\* قضايا المصيرية وضرورة نفي السلبيات والخلافات العقيمة ..... ٤

### من آفاق القيادة الاسلامية

\* الوحدة بين الحوزات العلمية (الدينية) والجامعات

..... ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظله) ..... ٩

### دراسات

\* عبادة الله وعبادة الطاغوت في القرآن الكريم (١)

..... الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين) ..... ١٤

\* من الدس والتشويه في دائرة المعارف الاسلامية (٢)

الطعن بالهية القرآن ورسالة النبي محمد (ص) بالاسلام (١)

..... الشيخ فؤاد كاظم المقدادي (العراق) ..... ٤٥

\* دور أهل البيت (ع) في بناء الكتلة الصالحة (٩) التنظيم السياسي للجماعة الصالحة (١)

..... سماحة السيد محمد باقر الحكيم (العراق) ..... ٧٨

\* دور النصيحة في نسيج الولاء وشبكة العلاقات الاجتماعية

..... سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي ..... ١١٦

\* مدى تأثير علماء الفقه والاصول بالفلسفة (٢)

..... السيد هاشم الهاشمي ..... ١٣٤

### من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

\* بيع العربون - حقيقته، مشروعيته، أحكامه ..... سماحة الشيخ محمد هادي معرفة ..... ١٥٥

### نقد

\* العدالة الاجتماعية في النظرية الغربية (٢)

تأملات نقدية في الجانب التطبيقي ..... الدكتور السيد زهير الاعرجي (العراق) ..... ٢٧

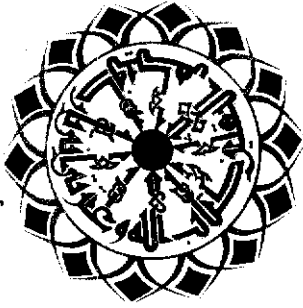
### مقارنات

\* مناهج البحث في العقيدة الإسلامية وتفوق منهج أهل البيت (ع)

..... الشيخ عباس علي براتي ..... ٩٣

### مشبعة ورد

\* حول كتاب الآيات الشيطانية ..... سماحة الشيخ محمد علي التسخيري ..... ٦٣



المجمع العالمي لأهل البيت

العدد العاشر

السنة الثالثة

ربيع الثاني - جمادى الثانية

١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م

المراسلات والاتصالات مع

هيئة التحرير

على العنوان التالي:

\* الجمهورية الاسلامية الايرانية

- قم هن ب (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

هاتف: ٧١٠٧٧١ فاكس: ٢٥١٧٩

## □ حوار

\* اسلوب الدعوة في سيرة أهل البيت (ع)

..... سماحة السيد محمد حسين فضل الله (لبنان) ١٧٦

## □ سؤال وجواب

\* تفسير القرآن وتأويله ..... الشهيد السيد محمد حسين البهشتي ١٦٩

## □ تعريف

\* كتاب في مقال: التشيع - نشوؤه، مراحل، مقوماته

..... للدكتور محمد جواد الطريحي (العراق) ١٤٤

## □ من غرر حكم أهل البيت (ع)

\* آفات الحكم وعوامل سقوط الدول ..... السيد عبدالله الحسيني ١٩٤

## □ فنون وآداب

\* قصيدة: مخاض الصحراء ..... فرات الاسدي (العراق) ١٣٢

\* قصة: الوصية ..... أحمد فرج الله (العراق) ٢١١

\* من خصائص التعبير الفني والادبي في القرآن الكريم ..... فالح الربيعي (العراق) ١١٢

\* قصيدة: مولد النور ..... للشيخ نبيل الحلباوي (سوريا) ١٩٠

## □ تقرير

\* حضور وفد الجمهورية الاسلامية في ايران ودوره في مؤتمر التنمية والسكان في القاهرة

..... اعداد: الدائرة الثقافية العربية في المجمع العالمي لأهل البيت (ع) ٢٠٠

## □ من أخبار القرى

\* أنباء وتقارير ..... ٢١٤

## □ مع قراء الثقلين

\* رسائل القراء ..... ٢٤٣

# قضايانا المصيرية وهنزوة نفى السلبات والخلافات العقيمة

يحدثنا التاريخ كثيراً عن شيوع ظاهرة الجدل العقيم في مختلف العقائد التي سادت العالم قبل ظهور نور الاسلام... الجدل في امور اسطورية كثيرة تجعل المتجادلين بعيدين كل البعد عن الواقع.. حيث أسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية، حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك في هذا العصر. وقد كانت النصرانية على شكل مذاهب مختلفة يدور بينها جدل عنيف: فاليعاقبة يرون أن المسيح هو الله، وأن الله والانسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح، والمكانية والنساطرة قالوا: إن للمسيح طبيعتين متميزتين: الطبيعة اللاهوتية، والطبيعة الناسوتية، وإن اختلفت الطائفتان فيما عدا ذلك من التفاصيل، وقد استمر الخلاف بين هذه الفرق في: هل اللاهوتية وما للناسوتية من إرادة وفعل متحدتان في المسيح أو مختلفتان؟ قالت اليعاقبة بالأول، وقالت النساطرة أن للمسيح ناسوتية لها إرادة ولها فعل يختلف كل الاختلاف عن العنصر اللاهوتي!!!

وبدأت المذاهب تتعدد، وينقسم كل مذهب على توالي الزمن فرقاً وأحزاباً، ولكل مجموعة في طقوس الدين واسسه رأي يخالف المجموعة الاخرى، وتنكرت هذه الطوائف بعضها لبعض بسبب خلافاها في الرأي تنكراً أنتج العداوة الشخصية التي نلمسها حيثما دب الضعف الخلقي والذهني الى النفوس، فجعلها سريعة الى

الخوف، صريعة لذلك التعصب الاعمى والجمود العقيم. كان من بين طوائف المسيحية في تلك الازمان من ينكرون ان لعيسى جسداً يزيد على طيف كان يتبدى به للناس وكان من بينها من يزوجون بين شخصه ونفسه زواجاً روحياً يحتاج الى كثير من كذ الخيال والذهن لتصوره، وغير هؤلاء وأولئك ممن كانوا يعبدون مريم، على حين كان ينكر غيرهم بقاءها عذراء بعد وضع المسيح، وكذلك كان الجدل بين أتباع عيسى جدل أيام الانحلال في كل امة وعصر، كان يقف عند الالفاظ والأعداد، ويسبغ على كل لفظة وكل عدد من المعاني ويضفي عليه من الاسرار ويحيطه من ألوان الخيال بما يعجز عنه وهم المنطق ولا تستسيغه إلا سفسطة الجدل العقيم.

لقد كان لكل شيعه من شيعهم فريق الرهبان الأقوياء، وهو بمثابة فرق المحاربين الاحتياطية يستعان بهم حين لا يجدي قرع الحجة بالحجة، وقد يلجأ الفريقان أحياناً كثيرة الى القوة الغاشمة فيغزون المجامع الكنسية نفسها ويفرون جماهير الغوغاء المتوحشين، ويقودونهم في الهجوم على المهرطقين، ولا يتورعون في ذلك عن سفك الدماء وعن التمثيل بضحاياهم والتنكيل بهم بعد قتلهم. هذا هو مجمل الحالة المسيحية آنذاك - كما تحدثنا عنها المصادر التاريخية - ولم تكن الحالة اليهودية والبوذية وغيرهما بأحسن منها.. انها حالة الضياع الفكري واللهو الفلسفي والغفلة العملية عن المسيرة الصالحة للانسان ولن ندخل في البحث عن العوامل التي أوصلت تلك الامة الى هذه الحالة، فهي كثيرة ولكننا نذكر منها: الجهل، والتعصب، ومحاولة تسفيه عقول العامة للوصول الى مكاسب وقتية، مما ادى الى نسيان الواجب التاريخي للدين في بناء جيل الحضارة وسوق البشرية نحو كمالها المطلوب.

وبعيداً عن هذا الجدل يعمل الطغاة عملهم الاستكباري، وينتهب الطامعون الفرصة للتلاعب بمقدرات الامم، ويفتنمونها لتمزيق الشخصية الانسانية لولا أن تداركت الرحمة الالهية البشرية كلها بفتح إلهي جديد أشرق عليها بنور القرآن، ومرق ظلماتها بعباء الاسلام العظيم.

كانت هذه رحلة الى العمق التاريخي، علينا ان نعود منها أدراجنا بحصيلة

ايجابية لندرس واقعنا الحالي على ضوءها، ولنتساءل عن مدى وجود هذه الظواهر السلبية في حياتنا اليوم.

إن الأمة الإسلامية اليوم تواجه الحضارة العادية الاستكبارية بكل أبعادها وبكل ما لديها من عناصر الهجوم، والوسائل الشيطانية الماكرة المترصدة لكل فرصة لتمزيق شخصية هذه الأمة، والقضاء على دورها الحضاري، بل على مقاومتها للمسيرة الاستكبارية التي تتمثل في ما يسمى اليوم بـ «النظام العالمي الجديد» نظام السلطة القاهرة الواحدة، نظام التمزيق الثقافي والحضاري الى جانب القهر السلطوي لكل روح استقلالية للشعوب المستضعفة.

وإذا كان الامر كذلك، فهل يجوز أن نتصور حالات مشابهة للحالات الماضية في واقع امتنا الإسلامية؟

لا ريب أن الاسلام يحمل في ذاته طاقات حضارية تخلو منها المسيحية، ثم لا ريب في أن الحالة التغييرية الثورية التي اوجدتها النخبة الحركية وأوقدتها، وأججت الثورة الإسلامية المباركة تسري اليوم سريان العافية في الاوصال مما يسد الطريق على تحول هذه الحالة الرجعية الى ظاهرة... ولكن هذا لا يمنعنا من أن نجد بعض الجيوب المهترئة، وبعض الامارات والعلامات المحذرة والمنذرة بالخطر بين بعض المنتسبين الى العلم أو الى محافل الفكر الاسلامي.

ألنسنا نشاهد بيننا من يطرح مسألة التداوي عبر الاتصال بالجن؟ ألا نشاهد من لا زالوا يؤمنون بالتعاون سبيلاً ناجعاً للعلاج؟ ألا نجد من ينسئ كل آلام الأمة، وما تعانيه من مؤامرات الاستكبار وكيد وتمدنيس جيوشه وأساطيله لأراضيها المقدسة وزرعه لدولة اسرائيل الصهيونية في قلب كيائها لتساهم في الاجهاز على وجودها وسر أصالتها، فينشغل بمسائل جزئية ليخلق منها قضايا مصيرية من قبيل:

طرح مسألة الشفاعة باعتبارها - والعياد بالله - مسرباً للشرك، ومسألة زيارة القبور باعتبارها المسألة الاولى ثم نبز الآخرين أنهم قبوريون!! ومسألة الاحتفال بالمولد النبوي الطاهر باعتبارها بدعة خطيرة يجب الجهاد ضدها، ومسألة دخول المرأة الى البرلمان باعتبارها سر الاخفاق الاجتماعي وأن ذلك يعني قيمومة

المرأة!! وموضوع اعلان البراءة من المشركين في الحج باعتباره إضافة منسك جديد لمناسك الحج!

نعم، ألسنا نجد أمامنا من يطرح الخلاف حول إسبيل اليمين في الصلاة واتجاه المسح في الوضوء، وكيفية علامات الوقف في القرآن، والجهر بالبسملة في سورة الحمد، وعدم الإشهاد في عقد الزواج، وكشف وجه المرأة وغيرها، باعتبارها من أهم المسائل الدينية، متناسياً أهم دور يجب أن يلعبه العلماء في الحياة الاجتماعية، وهو الدور القيادي الاصيل، واحياء الشريعة وإقامة حكم الله تعالى في الارض.

والانكى من هذا أن نجد اناساً يعملون على إحياء الخلافات العقيمة على المستوى العام (ولا نمانع من طرحها بشكل تخصص كتابي مدرسي) وهي من قبيل مسائل خلق القرآن، ورؤية الله تعالى البصرية يوم القيامة، وامثال ذلك. ثم لا يكتفون بذلك حتى يُحلّوا دماء الملايين من الذين يخالفونهم في ما يذهبون إليه!

نعم، ألا نرى كل ذلك؟ ثم أليس كل ذلك من التضخيم الذي لا مبرر له؟ ألا يعني ذلك أن هؤلاء - على الأقل - يعيشون حالة التخلف عن المشكلات الاساسية للامة؟ فهم حينئذ كمن يتجاهل أمراً عظيماً كقتل الامام الحسين (عليه السلام) ثم يخلق مشكلة حول (دم البعوضة) أهو طاهر أم نجس؟

ثم دعنا نركز على تلك الجهات التي تعمل على تحويل الخلاف الفقهي حول بعض القضايا الاعتقادية الفرعية أو الاحكام الفقهية الجزئية، إلى نزاع عملي، حتى وصلنا إلى الحد الذي عدنا نشاهد معه تشكيل جيوش!! متحاربة، كل جيش منها يسعى لضرب الجيوش الاخرى دفاعاً عن هذا الرأي أو ذاك.

ولنا أن نتساءل عن العلل التي أوجدت هذه الحالة، ومن الذي خول هؤلاء أو أولئك لتشكيل هذه المجموعات الضاربة؟ ومن الذي يعول هذه التوجهات الغريبة والبعيدة عن المنطق الصحيح.. منطق الاسلام الاصيل.. منطق احترام الافكار والآراء، وانفتاح باب الاجتهاد فإذا رأينا القرآن الكريم يرفض الاختلاف والنزاع فإنما يركّز على النزاع العملي (الاجتماعي والسياسي) دون نظر للخلاف الفكري الذي يشكل حالة طبيعية لدى المجتهدين.

إن هذه الحالة بطبيعة الحال تعني إحياء لحالات التخلف التي شهدتها التاريخ

الاسلامي، حيث كانت هذه الحكومة أو تلك تتعصب لهذا المذهب أو ذاك، ثم تقود نزاعاً دموياً غريباً لا يرضاه الاسلام لأتباعه مطلقاً.

إننا نعتقد أن هذه الحالات لم تستطع أن تشكل ظاهرة في الحياة الاسلامية، لكنها علامات مرضية يجب استئصالها ومنعها من التسلّل إلى الحياة العامة للمسلمين، ولا يتم ذلك إلا من خلال سعي المخلصين من المفكرين لطرح القضايا الاساسية ومنع هذه المظاهر السيئة، وتحريك قضية الوحدة الاسلامية والتقريب بين المذاهب الاسلامية، وسد الطريق أمام الانتهازيين سواء أكانوا من أهل العلم أو من أهل السياسة والحكم، حتى نوقر الجو السليم لنمو الحالة الحضارية الاسلامية، وظهور الشخصية الاسلامية بكل مظاهرها، وحينئذ نضمن للمسيرة انسجامها وتقدمها نحو الغد الامثل، وإننا نعتقد أن الاسلام العظيم أقوى من كل هذه الحالات الطارئة واكثر سلامة من كل هذه الظواهر المرضية.. إلا أن هذا لا يعفيانا من العمل الجاد لبث العافية في جميع الاوصال الاجتماعية.

قال رسول الله (ص) :

إِذَا رَأَيْتُمُ أَهْلَ الرَّيْبِ وَالْبَيْعِ  
مِنْ بَعْدِي  
فَأَظْهَرُوا الْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ.



من آفاق

القيادة الإسلامية

# الوحدة بين الحوزة العلمية والجامعة والجامعات

\* ولي أمر المسلمين

آية الله السيد الخاظمي

«دام ظله»

إن قضية الجامعة في ذاتها قضية مهمة، كما أن قضية الحوزة في حد ذاتها قضية رئيسة ومهمة، وعندما نطرح مسألة الوحدة بين الحوزة والجامعة، فمن البديهي أننا لا نقصد تحويلهما إلى شيء واحد في الواقع الخارجي، لأنه لو فرضنا أن تلك الدروس التي كانت تدرس في الحوزات العلمية في العهود السابقة والتي تدرس حالياً في الجامعات كانت تطورت كل هذا التطور اليوم، لوجب على كل فرع وقسم وبمقتضى التخصص والتشعب في العلوم، لوجب عليه متابعة دروسه وعمله أيضاً.

حذار أن يغض بعض الأفراد النظر عن مسألة بهذا الوضوح ويحاولوا خدش وتخطئة مسألة الوحدة بين الحوزة والجامعة.

لكن القضية هي أن لدينا مؤسستين جامعتين أصليتين، إحداهما: تتجه نحو اكتساب العلوم المرتبطة بمعرفة وتبليغ الدين والبحث عن المستجدات في مجال البحوث الدينية، وهذه وظيفة المؤسسة التي تسمى الحوزة العلمية، وهي التحقيق في شؤون الدين، وتعلم الأحكام الإلهية المرتبطة بجميع شؤون الحياة، وليس ما يرتبط بالمحارب والعبادة فقط، وكذا فهم واكتساب العلوم والبحث عن الأحكام المستجدة وتصفياتها من الشوائب والزوائد، وتبليغها بالتي هي أحسن وبما يناسب

المجتمع والزمان والمخاطب.

وهناك مؤسسة جامعية أخرى ناظرة إلى شؤون الحياة العامة باستثناء ما يرتبط بالدين.

فالناس بحاجة إلى معاش، كسب، مبانٍ، طرقات و...، فيلزم لذلك علوم وبحوث وتحقيقات متعددة ومختلفة في مجال شؤون الحياة. ولأن العلوم متشعبة، وهناك حاجة إلى أنواع العلم للنهوض بمستويات الحياة العامة، فالجامعة مسؤولة عن توفير هذا الأمر، عليها اكتساب هذه العلوم والتحقيق فيها وتمحيصها لتقديمها للمجتمع وتخريج المتخصصين والخبراء في هذا المجال، والاستفادة من البحوث المستجدة في العالم، وبدورها تقوم بإبداعات واختراعات علمية لتقديمها للبشرية أيضاً.

فإذا قامت هاتان المؤسستان بوظيفتيهما بصورة صحيحة وجيدة، وكانت بينهما علاقات ودّ وتعاون متقابلة، صلح دين المجتمع ودينه.

فعلى الحوزة تحديد مسار الحياة في المجتمع، وعلى الجامعة توفير سبل الحياة. على الحوزة صقل الفكر والذهن والروح والارتقاء بها عن الرذائل لتحديد المسار الصحيح إلى الهدف، وعلى الجامعة توفير الوسيلة اللازمة للتحرك نحو هذا الهدف. فينبغي وجود وسيلة للتحرك بها، كذلك ينبغي وجود رؤية وبصيرة ثابتة لمعرفة الهدف الذي يتحرك نحوه. فهذه دنيا وتلك آخرة، وإذا اجتمعتا تحققت إرادة الأنبياء، وهي سعادة الدنيا والآخرة.

لذا نشاهد أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء بالدين واعتمد على الجانب المعنوي، لكنه في الوقت نفسه وفر الوسيلة المادية، وذلك إما مباشرة بتعليمهم إدارة شؤون الحياة، وإما بفرض التعلم عليهم وأمرهم بالتبصر والاكتشاف في الموارد التي تحتاج إلى تخصص. وكان نتيجتها عظيمة واقتدار هذين الأمرين في صدر الإسلام، وببركة الإسلام صار المسلمون في قمة العلوم البشرية المادية، ولا يمكن للغرب إنكار هذا التاريخ وسلبه من الدول الإسلامية.

لو اجتمعت الدنيا والآخرة كان الأمر هكذا، وإن أخذ بأحدهما دون الآخر واجه

إشكالات.

إنّ ما يلاحظ اليوم في الأنظمة التي أوجدتها الثقافة الغربية - سواء في الغرب أو في سائر بقاع العالم - هو تقدّم الجانب الدنيوي في شؤون الحياة المادية. إنهم استطاعوا الوصول إلى الكواكب، وتمكّنوا من تصليح وإعمار التلسكوبات وهي في الفضاء، ويعتبر هذا تقدّماً علمياً عظيماً وخارقاً للعادة، ولا أحد ينكر ذلك، لكنّها تخلّفت كثيراً في تحديد مسار الحياة الإنسانية الصحيحة التي هي بحاجة إلى تلك الوسائل المادية، فبدون تحديد المسار تكون هذه الوسائل مضرّة بالبشر، ومن هنا يلاحظ أنّ الدنيا ملئت ظلماً وجوراً.

وللأسف فإنّ البعض لا يفهم مسألة بهذا الوضوح، أليست هذه الدنيا خلقت للبشر؟ أليس التقدّم العلمي لأجل أن يستفيد الإنسان منه؟ ألا يكفي ما نراه اليوم من الأوضاع المأساوية السائدة في العالم، في حين أنّ زمرة تُقدّم على ظلم الإنسانية بهذه الصورة وبالوسائل العلمية التي خلقت لها؟ ألا يكفي هذا الأمر لمعرفة أنّ أحد جناحي الإنسانية - أي جناح المعنويّة - مكسور؟

إذا غضضنا النظر عن البعد المعنوي وسعينا إلى إبعاده عن مجتمعنا وصار المطلوب في المجتمع وسائل الحياة أي ما نعيّر عنها بالدنيا، وأبدينا اهتماماً بهذا الجانب وغفلنا عن الجانب الآخر، أصبح أحد بُعدي الحياة ناقصاً وهو البعد المعنوي. نعم قد يلاحظ تطوّر وتقدم في جانب من العلوم المرتبطة بوسائل الحياة في مجتمع ما كالمجتمعات الغربية، وقد لا يلاحظ أيّ تطور حتّى في هذا الجانب، كالحاصل اليوم لكثير من المجتمعات المنقادة للغرب والتي تركت الجانب المعنوي ولم تتمكّن من الفوز بالماديات، وكوضعنا المعيشي في عصر الحكومة البهلوية، أبعدنا المعنويات ولم نتّمكن من اكتساب المادّيات بالكيفية المتطورة والعلمية الحديثة والحقيقية فأصبحنا كالذي ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾.

والطرف الآخر للقضية: هي أن يبدي المجتمع اهتماماً بالبعد المعنوي فقط، ويغفل عن التقدّم العلمي وعن الاكتشافات والاختراعات العلمية وعن تحصيل العلوم بين أبناء الوطن، وعن تخريج أناس لإدارة شؤون الحياة، من إبداع الوسائل المناسبة لاحتياجات البشر بالسهولة والسرعة المطلوبة في عصرنا الحاضر، وحينئذ فالأمر كالأول، أي أنّ الجناح الآخر مكسور. فلا تتصوّروا أنّ الإسلام يؤيد

حصر جميع الأمور في الجانب الروحي والمعنوي ولا ينظر إلى الماديات نهائياً، إنّ هذا انحراف كالانحراف الأول، إنّ الإسلام يرفض الانزواء والانعزال عن الدنيا وعن الحياة بصورة واضحة كما ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة»<sup>(١)</sup>.

(١) الخطبة ٢٠٩ من نهج البلاغة.

لقد سعت أيادي المستعمرين الذين حاولوا الهيمنة سياسياً وثقافياً واقتصادياً بإبعاد الدين عن المجتمع، وبالخصوص من أجواء الجامعات وذلك بإبعاد الدين وأهله أو جعل علماء الدين أجساداً خادمة إنّ لم يتمكنوا من القضاء عليهم. ولذا كان الدين غريباً في الأجواء الجامعية، كان هدفهم واضحاً وبرنامجهم دقيقاً، لأنّه بإبعاد الدين من هذه الأجواء ستُسَلِّم دقة شؤون الحياة وزمام الأمور في المستقبل لعناصر قد ترعرعت في هذه الأجواء، وبالتالي يتحقق إبعاد الدين عن المجتمع. لقد نجحوا نسبياً في فترة طويلة من الزمن، وليس معنى ذلك أنّ المتدينين والمؤمنين لم يتواجدوا في الجامعات في ذلك العصر، بل معناه أنّ المتدينين والمتديّنة التي كانت تحاول المحافظة على عقّتها وحجابها - وكذا الاستاذ الجامعي - كانوا غُرباء في الجامعة، فلم ينسجموا مع الوضع العام لها، بل كانوا معارضين ومخالفين له في كثير من الأحيان. لكن إذا كان الطالب الجامعي أو الاستاذ لا يبالي بالدين كان المجال مفسوحاً له، ولا يجد أية معارضة من الوضع العام في الجامعة. وهذا هو الأمر الذي كان إيماننا العظيم يشتكي منه وعلى أساسه طرح شعار الوحدة بين الحوزة والجامعة، ومن هنا يفهم معنى الوحدة بين الحوزة والجامعة. الوحدة في الأهداف العامة، الوحدة في إيصال الشعب والبلاد إلى الكمال، الوحدة في التحرك على خطين متوازيين وصولاً إلى هدف مشترك واحد.

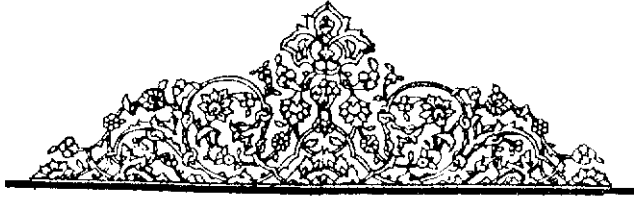
يجب أن تكون جامعاتنا معقلاً للدين. وعلى الطلبة المتدينين أن يستشعروا الأجواء الدينية والمعنوية والأخلاقية في الجامعة ومنها الشعور الثوري اليوم. وعلى التجمعات والاتحادات الطلابية الاستمرار في عملها بصورة مطلوبة خصوصاً مع وجود علماء الدين في الجامعات، وبالصورة والكيفية الجديدة كما أفضّله وأتمناه، لتحقيق البعد المعنوي والروحي في الجامعات.

كذلك على الحوزات أن تكون عصرية وتواكب الزمن، على الحوزات العلمية

العمل على سوق الناس إلى دين الله بكل شوق ورغبة، وعليها إبلاغ الدين إلى الناس كما أراد الله، وهذا الأمر بحاجة إلى تحقيق ونتاج وفكر وإطلاع على قضايا العالم ومخالفة الهوى والشهوات الدنيوية - إن لم نقل في الجميع لكن في عدد كبير منهم أو على الأقل في الذين يمسون بزمَام الأمور في الحوزات - .

لذا يلاحظ كيف أنَّ الإسلام يشدّد على شرائط مرجعية التقليد «صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه»<sup>٢</sup>.

على الحوزات العلمية والجامعات تبادل الخبرات والتجارب العلمية والدراسية فيما بينها لاستكمال مستلزمات استقلال الشعب وتحويل المجتمع إلى مجتمع نموذجي في جميع مناحي الحياة.



قال رسول الله (ص) :

مَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ  
وَعَمِلَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ رَادَّ  
بِهِ الدُّنْيَا فَهُوَ حَقَّةٌ.



(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعنه في الاحتجاج على أهل اللجاج للشيخ الطبرسي ٢ : ٤٥٨.

# عِبَادَةُ اللَّهِ وعِبَادَةُ الطَّاغُوتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

١

دراسات

• الشيخ

عيسى أحمد قاسم

(البحرين)

عبادتان في النَّاس لهما من العبادة في الأرض ما كان للانسان من مكث تقريباً وما يكون؛ عبادة الله، وعبادة الطاغوت. والانسان فعلية؛ فكراً وضميراً وإرادة وعلاقات اجتماعية، وأوضاعاً خاصة وعامة، وصيغةً حضارية، صورةً من عطاء هذه أو تلك العبادة ومقتضياتها. فعندئذ تجده إما صورة وضيفة مضيئة؛ تزخر بإشعاعات الله، وإما صورة قاتمة كالحة؛ تغمرها ظلمات الطاغوت.

والطاغوت كثير متنوع، تلقاه في كل معبود من دون الله، من صنم حجر، أو انسان فرد متفرع، أو طبقة اجتماعية مستكبرة، أو حزب مستعل. وتلقاه في شعار قومي أو وطني يستقلب من الناس ولائهم، وفي كل شيطان من انس أو جن إليه يصغى ومنه يؤخذ، سخطه المرهوب ورضاه المطلوب. فحيث تكون الطاعة معصية لله، إعظاماً لغيره في نفسه، واعترافاً بحق الخضوع إليه في ذاته، مستقلاً عن الملك الحق؛ يكون المطاع طاغوتاً، ويكون المطيع مشركاً، وهو يعطي ما لله غير الله من حق الطاعة إليه مستقلاً، وفي قبال طاعته سبحانه كذلك.

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا...﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام

مخاطباً لأبي بصير: أنتم هم، ومن أطاع جبّاراً فقد عبده<sup>١</sup>.

انظر إلى كلمة جبّار وأدائها الخاص في التركيب. فطاعته التي عدت شركاً هي طاعته في طغيانه وتجاوزه عن حدود الله ودائرة عبوديته، وليست طاعته بما هو ولي الله وعبده الذي لا يتجاوز حدوده، ولا يتخطى أحكامه.

والطاغوتية أكبر مظهر للتجاوز المنفلت، وأي تجاوز أكبر وأخطر من أن يوهّم المملوك ملكاً طلقاً حقيقة وواقعاً، بأنه مطلق وسيد شامل بحق، ثم يستجيب لوهمه، ويستجيب غيره له، فيحتمي بالفقر على أنه الغني، وبالجهل على أنه العلم، وبالعدم على أنه الوجود؟!!

والعبادة مرآة مستوى من الرؤية والنفسية والسلوك الذي يكون وراء الرضا من العابد بالمعبود قبل، ويكون من مردود عبادته له بعد. فحيث يكون المعبود لفرد أو أمة كبيراً حقاً وجليلاً حقاً - وليس غير الله كذلك في ذاته على الإطلاق - يكشف ذلك عن سمو رؤية، وعلو همة، وظهر نفس؛ هو ما شدّ العابد إلى المعبود الكبير، وتجاوز به كل الصغار، وكل الموهومين، وكل المحدودين. وكلما كان المعبود طاغوتاً - والطاغوت، حيث ينصب نفسه معبوداً، عبد من عبيد الشهوة والهوى، وأسير من أسراء العقد والأزمات الذاتية - يكون العابد ذلك القصير في رؤيته، الوضع في نفسيته، السقيم في ذاته.

هذه كلمة يأتي الموضوع بعدها في نقاط تستهدي الوحي، وتستضيء النص؛  
الوحي الصادق والنص الناطق:

### أولاً: مقابلات قرآنية:

تقابل آيات من الذكر الحكيم - وهي تنتظم طوائف - بين الايمان بالله والايمان بالطاغوت، والعبادة لله والعبادة للطاغوت. كما يأتي فيها التقابل على مستوى التحاكم والتضحية بالحياة. وهي تعطي من خلال ذلك صورة معبرة عن الظاهرة الطاغوتية في الأرض، ومدى ما أضلّت وتضل، ودمرت وتدمر، وعن عمق المعركة بين التوحيد والشرك وشموليتهما، وضناها ورفقها، حتى يكون دخول المعركة عن بصيرة وحزم وطول نفس.

(١) ميزان الحكمة ٥: ٥٤٢.

عن نوادر الراوندي ٤: ٤٨١.

أ - الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت:

﴿فَمَنْ يَخْضِرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ

لَهَا﴾<sup>٢</sup>

(٢) البقرة: ٢٥٦.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾<sup>٣</sup>

(٣) النساء: ٥٦.

حين يصل خداع الطاغوت والانخداع به إلى حدّ يحل الإيمان به محل الإيمان بالله، نكون أمام كارثة انسانية تفرز كلّ الكوارث. معناه أن هذا الانسان المؤمن بالطاغوت، فقد رؤيته النقية التي توفر عليها في أصل خلقته، وخسر بصيرته التي كانت له من عمق إنسانيته؛ فانتهى لا يفرق بين كبير وصغير، بين كامل وناقص، بل يرى الشيء غيره؛ فيقع الكبير في نفسه صغيراً، والصغير كبيراً، والواجد فاقداً والفاقد واجداً.

حاصل هذا العمى أن الطاغوت الضعيف المهزول صار يؤمن به هذا المخدوع له ربّاً ومنتهى وملاداً، ويربط به حياته ووجوده، حاضره ومستقبله، ويرى فيه على قبحه أجمل جميل، وعلى فقره أغنى غني.

وهنا قضيتان تثير الأولى وأولاهما، والثانية الثانية:

الاستمسك بالعروة الوثقى، عروة الفوز والنجاة، لا يتم إلا بأمرين مجتمعين: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، ولا يتم حين يكون مع الإيمان بالله إيمان بالطاغوت.

قد يكون واضحاً أنه حيث يكون الإيمان مشتركاً لا استمسك نهائياً بالعروة الوثقى، وليس الأمر أنه يوجد استمسك ناقص مهزول، لأن من يكون الطاغوت شريكاً له ليس هو الله تبارك وتعالى، فما آمن به انسان مخدوع مما جعل الطاغوت شريكاً له اله مزور قاصر من صنع النفس القاصرة التي وجدت في الطاغوت ما يملأ تطلّعها. وكيف يكون من رأي المخلوق المحدود في مقام الألوهية والربوبية قد عرف ربّه بمقدار واستمسك به بشيء؟!

ثم كيف يتمّ لنفس أن تستمسك بالعروة الوثقى، وأن تأتي صياغة إنسانية راقية... فكراً قوياً، ضميراً حياً، وروحاً مشعاً، هدفاً كبيراً، سلوكاً طاهراً، وهي تأخذ مثلها الأعلى في جانب من واقعها، إن لم يكن كله، من الطاغوت بزيغه وهواه،



وغروره ووهمه، برجسه وخبثه؟! وهل تعرف الله عز وجل إلا نفس عقت وشقت، وروح طهرت ورقئت؟! هذه قضية الآية الأولى.

وقضية الآية الثانية أن ممن يؤمن بالجبت والطاغوت جماعة ممن أوتوا نصيباً من الكتاب، ووقفوا على قدر من حقائق الوحي. وهذا يعطي أن الطاغوتية لا تستغفل من مستوى دون مستوى، ولا تستهوي من طبقة دون طبقة. بل لها من الناس الذين يتفاوتون التفاوت الكبير فيما هم عليه من معلومات، ومن غنى في جاه ومال وغير ذلك، صرعى يشتركون في غلبة الهوى والانهازمية أمام الشهوات. ثم من بعد ذلك لا يحميهم من السقوط والخسة والهوان في الذات، والغفلة عن الحق، والتسليم للجهل مال ولا جاه ولا كثرة من معلومات وتدقيق في مطالعة أو نظر. نعم قد يكون لأحدهم من العلم ما يثقل ظهر الجمل، إلا أنه وأمام زوبعة الهوى ليس له من روح التقدير للعلم، وتمثل الحقيقة ما هو بحمل بعوضة.

الحماية من الذوبان أمام الإغراء والإغواء، والوعيد والتهديد، مما يتاح لطاغوت أن يفعل؛ أمرٌ يتكفل به - بعد صحة التمييز - سمو النفس، وسلامة القصد، وبعد الهمة، وإلا فالفكرة وهي تكبرُ النفس، وت فوق الإرادة، ولا يرقى إليها التطلع؛ أو يكون تطلعاً من مستوى الأحلام العابرة؛ هذه الفكرة تظل مستوى في الذات، والذات مستوى آخر فيما ترى وتشعر وتريد وتقرر، وفيما تفعل وتترك، وتتقدم وتتأخر. أن يقيم المرء أمره على العلم، متابعاً له، بانياً مواقفه كلها في ضوئه؛ مرتبة من مراتب النفس العالية؛ ليس عندها أن يعلم وأن يكتنز علماً، بل ولا أن يكتنك التحليل والربط والاستنتاج. والأكثر في الناس أن يؤتوا من قبل أنفسهم، لا أن يكون مأثام من قبل أفكارهم وشبهاتها. وهم لا يؤتون مطلقاً من قبل كينونتهم الأولى فيما تستبطنه هذه الكينونة من معرفة، وما تنطوي عليه من قيم. كيف وهي لا تكون أصلاً إلا متعششة لله تبارك وتعالى متلهفة للعب من فيوضاته والطاق رحمته؟! ب - عبادة الله وعبادة الطاغوت:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾<sup>٤</sup>

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَمَنْ شَرَّ

عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ  
أُولُو الْأَنْبَابِ ﴿٥﴾

بعد الانقسام في الايمان يكون الانقسام في العبادة؛ في المشاعر والمواقف  
فعلاً أو رد فعل. وفي ضوء انعكاسات العبادة، ومسقطات المعبود الذي تنشذ إليه  
النفس تنبني شخصية العابد في كل أبعادها وأوضاعها داخلاً وخارجاً من كل ما  
يقع من ذلك في دائرة الارادة وما تمتد إليه الحركة الارادية بالتأثير مباشرة وعبر  
الوسائط من مجمل الذات الانسانية وعلائقها. فإما أن يأتي الانسان مردوداً لهذه  
العبادة أو تلك شخصية كبيرة عملاقة، طليقة محلقة، وإما أن تأتي صغيرة حقيرة،  
حبيسة الطين، أسيرة الشهوة، كثيرة العلل، شديدة العقد.

والآيتان الكريمتان تخصّان الهدى والبشرى ودقة التمييز والانتقاء بطائفة من  
ثلاث: طائفة عبدت الله مخلصه له الدين، مجتنبه الطاغوت، لا تصغي منه إلى قول،  
ولا تستجيب إلى أمر ولا نهى دخولاً في طاعته، وتسليماً بأهليته. وطائفتان  
نصيبهما الضلال، ونهايتهما الخسران؛ طائفة توجهت بكلها إلى الطاغوت،  
وأخلصت وجهها إليه. وطائفة حاولت أن تقسم نفسها بين الله عزوجل والطاغوت،  
وأن تحوز رضا الكامل وهي لا تغضب الناقص بأن تستجيب لما يقضي به نقصه،  
ويشير به هواه. وإذا تقدمت خطوة جعلت مواقفها قسمين، قسم لله حيث لا يستثار  
الطاغوت، وقسم للطاغوت كلما كان لا يرضيه إلا أن يأتي الموقف على ما يشتهي.  
وسميناً هذا تقدماً مسامحة وإلا فمعبود هذه الطائفة بهذه الصورة هو الطاغوت  
لأنه هو الذي تطمع فيه وترجوه، وهو الذي تحذره وتخشاه.

ولافت في الآية الأولى من الظاهرة الطاغوتية تغلغلها في تاريخ الأمم، وأن  
تواجدها الفعلي، أو قيام أسباب من أسبابها كان يتطلب من كل رسول في كل أمة  
أن يواجهها. لافت أن كانت دعوة الرسل سلام الله عليهم، لكل الأمم أن اعبدوا الله  
 واجتنبوا الطاغوت، وكانت الاجابة البشرية منقسمة ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ  
مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾. حقت عليه حيث ابتدأ تلبسه بها، والاندفاع في طريقها.

أما لماذا تغلغل هذه الظاهرة على انحرافها هذا التغلغل في تاريخ الانسان،  
وهي التي لا تلقى وصفاء الفطرة، وشفافية الروح، والرصيد الأول من هدى الله

تبارك وتعالى في نفس هذا الانسان؟ فهذا ما يأتي تلمس جواب له في مكانه من هذه المطالعة.

### ج - التحاكم إلى الله أو الطاغوت:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>٦</sup>  
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ فَتْلِكَ يَزِيدُونَ أَنْ يُنْحَاكُمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>٧</sup>

التحاكم إلى الطاغوت - قاعدة - اعلان بتركيبته، وشهادة بعلمه وحكمته ونزاهته، وهو تثبيت له، وتركيز لطاغوتيته، واعتراف له بمقام من مقامات الربوبية، وحق من حقوقها حيث لا تنتهي حاكميته إلى الله، بل تقابل حاكميته، والكفر به إنما يجب أن يكون كفراً شاملاً واسقاطه اسقاطاً نهائياً، ما يجب أن يجرد من كل مظهر من مظاهر الربوبية، وأن يلبس كل ما هو من زي العبودية. وما دون ذلك غواية شيطانية، وضلال بعيد.

إن من افراد الله بالايمان، أن يفرد بالتحاكم إليه، والتقاضي في محكمة شرعه، وعلى يد خلفائه، فما انحصرت الألوهية والربوبية إلا وانحصر حق الحاكمية، وكان الاله والرب والحاكم واحداً لا شريك له، ولا عديل.

ومن ناحية الواقع الأرضي الحاكميتان قائمتان تقسمان الناس اقتسام الايمان والعبادة لهم. هذا في الدنيا ومن حيث المساحة التي يمسها التشريع. أما في الآخرة فالتفرد بالحاكمية لله وحده، ويموت كل مظهر من مظاهر الحاكميات الأخرى الكاذبة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>٨</sup>. ذلك يوم ترتفع فيه الحجب عن الموهومين، وتظهر الحاكمية المطلقة لله وربوبيته والوهيته الحقّة، لا يستترها ساتر عن نفس، ولا يحجبها خداع عن قلب ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>٩</sup>. أما الحاكمية التكوينية فهي لله وحده؛ كانت ولا تزال، ولن تزال.

د - القتال في سبيل الله أو في سبيل الطاغوت:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

(٦) النساء: ٥٩.

(٧) النساء: ٦٠.

(٨) الحمد: ٤.

(٩) غافر: ١٦.

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا<sup>١٠</sup>.

(١٠) النساء: ٧٦.

القتال في سبيل شيء أقصى درجات الولاء له، وأصرح ما يكون من التعبير في الايمان به، والتسليم بعبادته، وهذا المستوى من الفناء في المعبود ونسيان الذات يعطى في غمرة من العقل، وانطماس من الفطرة، وغياب من تقدير المصلحة، ومن وزن الذات من عبدة الطاغوت للطاغوت، وكأنهم لا يرون عجزه وضعفه ومسكنته... لا يرون زيفه وسقوطه وخسته.

وهكذا يسرق الطواغيت من الناس وعيهم لذواتهم ومعرفتهم بربهم، ويستحذون بالحيلة والختل، والوعد والوعيد مما الله أملك له على الإطلاق على داخلهم، فتكون الاستجابة منهم لهوى الطاغية كاملة، والاندفاع في خط رغائبه تامة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ<sup>١١</sup>﴾.

(١١) البقرة: ١٦٥.

وهذا التهاك في حب الطاغية، والتفاني في خدمته، والتضحية في سبيله يزيد وهمه بعظمته وهماً، وتخيله لحقه المطلق على الناس تخيلاً. ويمده بطفيان أكبر واستعلاء أفحش. انظر إلى فرعون الذي يقول عنه الكتاب الكريم: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لِي قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ<sup>١٢</sup>﴾. إنه يرى لنفسه أنه يملك من السحرة وغيرهم كل شيء حتى وجدانهم وضميرهم، وليس لهم أن يخفق منهم قلب بفكرة، أو أن ينعقد لهم ضمير على معتقد إلا باذنه، وإن لم يكن ذاك فقد أراد أن مماشاتهم قناعتهم عملاً وبناء موقفهم الخارجي في ضوء ايمانهم أمر يقضي حق ربوبيته وألوهيته وحاكميته لا يكون إلا حيث يأذن.

(١٢) الشعراء: ٤٩.

وهذا الشعور الجنوني لهذا الطاغوت السافل كانت من وراء تضخمه وتعاليه مواقف طاعة، وكلمات اعتراف بذل العبودية وافتقار أمام عزة فرعون الموهومة، منها كلمة السحرة أنفسهم قبل ايمانهم الذي مثل النقلة الهائلة في وجودهم كله ﴿فَالْتَوَىٰ حِبَاهُئِهِمْ وَعَمِصْتُهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ<sup>١٣</sup>﴾.

(١٣) الشعراء: ٤٤.

تعكس المقابلات القرآنية الأربع صورة لأخطر ظاهرة من ظواهر الانحراف في الأرض، تجدها منبع كل الانحرافات الضخمة في حياة الناس. ظاهرة الطاغوتية التي يتبعها الانحراف الثقافي والسياسي والتأزم الاجتماعي والاقتصادي، ويدخل

منها الخلل والتشوه على التصور والشعور والممارسة في الخارج، وتأخذ بالإنسانية بعيداً عن الله. وما للإنسانية على غير طريق الله من دون التشرذم والضياع والأزمات؟ الحياة نائية عن الله عز وجل لا تتجاوز الطين، ولا تجد لها قدماً ثابتاً ولا وضعاً مستقراً في زلقه.

### ثانياً: من أين تبدأ العبادة بصورة عامة؟

تبدأ العبادة من الشعور بالفقد، وانفتاح فرصة الأخذ أخذاً لا عن مقاومة ولا مساومة، إنما عن تذلل واستكانة، وخضوع وتسليم. صاحب الشعور بالغنى لا يجد من شعوره هذا ما يقوم سبباً لعبادة الغير. ولو كان شعور بفقر ليس معه شعور بغنى الغير، أو بعطائه، ودفعه ومنعه، وأن اللواذ به فيه حمى ولو من سطوته؛ لم يكن للمرء من شعوره ذلك بفقره ما يجعله يلوذ بالغير ويتطلب رضاه ولو بذلته، ومتابعة أمره ونهيه.

وحيث يكون الشعور بالفقد وانفتاح فرصة الأخذ لا يفرق فيه ليضع صاحبه على طريق عبادة الغير، أن يكون تسرُّبه إلى النفس من وحي عقل أو وهم. فكلما تمكن الشعور في النفس بأن للغير جمالاً لا تجده، أو قوة لا تملكها، أو خيراً لا تتوفر عليه، أو وجوداً أكمل أو حياة أشد وأدوم مما هي عليه، وأنها لا تصل إلى شيء من ذلك إلا بموافقتها لارادته، والدخول في طاعته لم تمتنع من ذلك، ولم تتريث في قبوله. ومن أين لها أن تمتنع أو تتريث، والسبب في داخلها من حب الكمال والخير لذاتها قاض بأن تندفع في هذا الطريق؟

نعم قد تنفصل في شعورها المصلحة عن الكمال، والخير عن السمو، فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتنسقط مواطن الشهوات متحدرة عن مراتب الكمال، ولكنها وهي تذلل للهدف الكبير، أو الفرض الصغير إنما تذلل من شعور بحاجتها وشعور بغنى غيرها.

إذا كانت عبادة فلا يفرق في سرّها ومنطلقها بين نفس واقعت الحقيقة، ورأت بصيرة أن تنتهي كل خير، وكل قوة وكمال لله، فلم تعبد غيره ولم تتعلق بسواه، وبين نفس قصر من وراء شعورها النظر ووقفت رؤية صاحبها عند الأسباب

القريبة فتشبتت بها على أنها مصدر العطاء والمنع، فكان ولاؤه لها، وتذللته بين يديها. الشعور المحرك هناك محرك هنا، والدافع الفطري العريض للعبادة مشترك في الحالتين. الكل شاعر بفقره، والكل طالب غنى، والكل يرى في معبوده الغني الذي يفقده، وقضاء الحاجة التي يطلبها. والتفاوت أن الرؤية انطلقت من عقل أو وهم، وصارت إلى حقيقة أو خيال.

ولذلك يكون من هم الطغاة - وهو دأبهم - أن يخلقوا وهماً مستولياً في نفوس الآخرين بعظمتهم وقدرتهم على النفع والضرر والتحكم في مصائر الأشياء والأحداث، وأن يحولوا بين الناس وبين رؤية الحقيقة؛ رؤية أنفسهم، رؤية الطاغية، رؤية الله العظيم.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>١٤</sup>، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي...﴾<sup>١٥</sup>، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَخِي وَآمِيتُ...﴾<sup>١٦</sup>.

أ - من أين تبدأ عبادة الله؟

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>١٧</sup>.

النفس الانسانية في تكوينها الفطري، وعجينة معنوياتها على مستوى الأصل من الخلقة، مدعوة ومن داخلها إلى الارتباط بالكامل المطلق والصمد الذي يحتاج إليه كل شيء، ولا يحتاج إلى شيء، ويقدر على كل شيء ولا يقدر عليه شيء. وإن تقرَّب في هذا الارتباط لا تجد لها أمناً، ولا تفقه لوجودها معنى، ولا تطمئن على حاضر لها ولا مصير. ومن غير حاجة إلى رؤية، وحيث لا شبهات تثار، لا ترى في من لم يكن ثم يكون، في من يجيء مضطراً، ويذهب مقهوراً إلها حقاً، ولا في أي من المحدودين كل المحدودين رباً صدقاً.

فالفطرة على هذا منطلق إلى الله، ونافذة تستضيء بها النفس درب بارئها، وحنين من الداخل إلى مصدر الوجود والحياة، ونداء للحق في وجدان الانسان، رحمة به وحجة عليه وهو ثابت في النفس وإن وقعت في غيبوبة قد تطول وقد

(١٤) الزخرف: ٥٩.

(١٥) القصص: ٣٨.

(١٦) البقرة: ٢٥٨.

(١٧) الروم: ٣٠.

تقصر، تأتيتها من متابعة هوى وخداع شيطان.

هكذا يبدأ الايمان بالله تبارك وتعالى، وعبادة العباد له من شعور فطري أولي بالعبودية التكوينية له، والحاجة إلى التعلق به، وطلب الرضى والاطمئنان بالانشداد إليه.

ويأتي دعم الفطرة من تأمل العقل واعماله منطقيته، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ \* إِنَّكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ...﴾<sup>١٨</sup>.

الآيات الكريمة ناطقة بما ألهمه الله العقل من طريق لقصر العبادة عليه سبحانه؛ فبعد الربوبية التكوينية الشاملة، وعموم الرحمة وذوامها، والمالكية المتفردة ليوم الجزاء، وانتهاء كل فعل جميل اختياري إليه تبارك وتعالى مما يجعل الحمد له وحده تأتي العبادة مترتبة ترتباً عقلياً لا تردد فيه، مقصورة عليه جلّ حمده؛ إذ لا منشأ من مناشئ العبادة إلا وهو له لا لسواه. فلمن يكون الشوق والحب؟ إلا للكامل بلا حدود. وبمن يتعلق الرجاء؟ إلا بالمالك الجواد على الإطلاق، ومن يخاف؟ إلا من القادر العادل بلا نهاية.

نعم يقول العقل مع الآية الكريمة وبلغه منطقها: ﴿قُلْ اغْنِزِ اللَّهُ ابْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>١٩</sup> يقول ان كل الأشياء وهي مربوبة لله، سائرة في خط تدبيره، مقهورة لارادته لا يكون منها ما هو ربّ ومرجع ومعبود، وإن عليها جميعاً أن تسجد له وتسبح بحمده وأن تعنو بوجهها خاضعة لربوبيته وعظمته ما وسعها الادراك، وأمكنها الشعور.

ب - من أين تبدأ عبادة الطاغوت؟

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>٢٠</sup>.

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>٢١</sup>.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي

غُرُورٍ﴾<sup>٢٢</sup>

الاستغفال والتغريب الذي تشارك فيه الدنيا بلذائذها: مطعمها ومشربها ومنكحها وزينتها ومواقعها وشهرتها، والشيطان بحباله وحيله وجنده من طواغيت الانس والجن؛ نجاحه يلفت نظر النفس لأمر غير مركزية عن أمور

(١٨) الحمد: ١ - ٤.

(١٩) الانعام: ١٦٤.

(٢٠) لقمان: ٣٣.

(٢١) الزخرف: ٥٤.

(٢٢) تبارك: ٣٠.

مركزية، ولحقائق صغيرة ومحدودة بل وأوهام عن حقائق كبرى ومطلقة، فلا يكون لها حضورها الفاعل في الذات الانسانية وإن كانت تستبطنها ولا تنفك عنها. والانسان الواقع فريسة لهذه العملية يظل مبهوراً بما غرر به، مكبراً اياه، مستعظماً له لا يرى على مستوى المعاشية النفسية المفصولة عن وعي العقل، وهدى الفطرة الكبير حقاً والعظيم حقاً ليسقط في عينه ما أكبره تحت تأثير المؤثرات العارضة، ويذهب عنه بريقه الكاذب. إنه يظلّ ملهوّاً مخموراً غافلاً ناسياً حقيقة ذاته، وكرامته، ونداء فطرته، وصوت عقله وهي أمور من صميم الذات ونسيجها الأصل. إنّ عملية التفرير تذهب به بعيداً عن نفسه ودوره وهدفه... عن مبدئه ومصيره، وتجعله مشدوداً بكلّه لما تريد تكبيره وتعظيمه وتهويله.

والطغاة دورهم كبير في استخفاف العقول والأحلام، وجعل الأتباع لا يفكرون حين يقفون أمام ما يراد لهم أن يصدقوا به أو يكذبوه، أن يستحسنوه أو يستقبحوه، أن يكونوا معه أو عليه ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>٢٣</sup>.

(٢٣) الزخرف: ٥٤

وفريسة الشيطان والدُّنيا والطغاة لا يشفع له في مقام الاعتذار ان كان مستهدفاً لعملية التفرير والاستخفاف من قوى تعرف من أين تؤكل الكتف. إنه مع قابليته أن يعطي رد فعل مجاوب، يجد القابلية لاعطاء رد فعل معاند. يهتئ له ذلك ماله من رسول في الباطن - عقله وفطرته - ودعوة إلى الله في الخارج من أنبيائه ورسله، وما أنزل الله من كتب، وما بثّ من آيات في الآفاق والأنفس، وما جعله مشهوداً من أمر الحياة والموت، وتحوّل الأحوال مما يأتي على كلّ شيء من زينة الحياة وبهجتها، ومن قوى الطواغيت وزهرة دنياهم. ويُمكنه من أن يقول نعم أو لا للشيطان وجنده الغاوين، أن جعل حراً في اختياره، غير مجبور ولا مقهور في قرار انتمائه.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾<sup>٢٤</sup>.

(٢٤) النجم: ٢٣.

إنهم يتحملون مسؤوليتهم في متابعتهم الظنّ وما تهوى الأنفس، كيف لا وقد جاءهم من ربهم الهدى؟!



## ثالثاً: المعركة الدائمة:

(٢٥) النحل: ٣٦.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾<sup>٢٥</sup>

(٢٦) الشعراء: ٣٩.

﴿قَالَ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾<sup>٢٦</sup>

(٢٧) القصص: ٣٨.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>٢٧</sup>

(٢٨) غافر: ٢٦.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ...﴾<sup>٢٨</sup>

رسل الله يتحملون أمانة من الله أن يطلقوا في الناس نداء جاداً بتجنب الطواغيت، تجنب الايمان بهم إلا عبيداً بعبادتهم، التحاكم إليهم، كل حالات الولاء لهم، التشرب بثقافتهم، التلوث بوضعياتهم في النفس والسلوك. تجنب كامل، وترفع شامل، وصيانة تامة للذات عن التأثير بهم.

ونداء الرسل في الناس باجتئاب الطاغوت لا يأتي مجرد نداء واعظ. نداء يستعمل كل الوسائل الشريفة لاسقاط وزن الطاغوت في العقول والنفوس. قل لتعريته عندها، لتراه على حقيقته، وفي ذاته بلا عظمة ولا وزن، مخلوقاً مملوكاً، وكالآخرين إن لم يكن مرجوحاً، كما هو الغالب من حال الكثير من الطغاة، بل الواقع دائماً حيث الانهزام أمام النفس، وغيوبة العقل، وسبات الضمير، وتسهم الوجدان، والوهم الغالب.

نداء يعطي للانسان رؤية نافذة لذاته، ولمبدئه ومصيره، ولهذه ومنهجه، بعد معرفته ربّه، وتنبيه العشق في قلبه لجمال الله وجلاله. نداء يعمل على صياغة أوضاع فكرية ونفسية وعملية اقتصادية واجتماعية وأمنية جديدة سليمة ومتقدمة؛ حتى لا يبقى جو عكر يمكن للطاغوت أن يصطاد فيه، في ظل الأوضاع الانسانية أو المادية المتردية.

هذا يعني أنه كلما وجدت رسالة ورسول وجدت حرباً شاملة على الطواغيت ومواجهة لألوهيتهم الزائفة.

وفي المقابل فالطاغوت لا يحتمل وجوداً للرسالة والرسول، ويشنّ حرباً بلا هوادة تستعمل كل أسلوب بلا تمييز للتصفية النهائية لهذا الوجود المضاد الذي يستهدف اقتلاع الأوضاع الطاغوتية من الجذور، والرمي بها بعيداً عن ساحة

الحياة والوجود. فالكلمة وما هو أسقط شيء منها، والدعاية وما هو أكذبها، والدعوى وما هو أفرغها، والاجراءات وما هو أشد ظلاماً وفتكا من بينها، والتزوير والتضليل؛ وسائل يسارع إليها الطاغوت وجند الطاغوت قضاءً على الرسالة، ومواجهة للرسول.

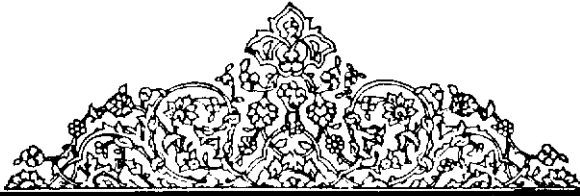
ويطغى الطغيان، ويتفاقم الغرور والطيش في نفس الطاغوت، وتتصاعد وتيرة تحدياته، وقفزات غروره فيكون تحديه لله عزوجل سافراً، ومواجهته له صريحة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ نَرَوْنِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ...﴾<sup>٢٩</sup>.

(٢٩) غافر: ٢٦.

والتحدي لله سبحانه ومبارزته شأن كل الطواغيت، ومن واقع كل الطغاة، وما زاده هذا الطاغية القدر اعلانه جهاراً، ومن خلال التصريح باللفظ الألوهية وانحصارها فيه ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكَ وَلَنَجْجزِيَنَّكَ عَذَابًا أَشَدَّ...﴾<sup>٣٠</sup>. وأما قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ فما أكثر ما يجري على ألسن الطغاة وجلاديهما ما هو منه، وما قد يتجاوزه.

(٣٠) القصص: ٣٨.

(يتبع)



قال الإمام الباقري:

إِيَّاكُمْ وَالرَّوْاجِعُ، فَإِنَّ كُلَّ رَيْجَةٍ  
دُونَهَا فِي طَائِفَتِ.

نقد

# العدالة الاجتماعية في النظرية الغربية

٢

## تأملات نقدية في الحيز النقدي

\* الدكتور السيد

زهير الأعرجي

(العراق)

استعرضنا في القسم الأول من دراستنا هذه النظريات الرئيسية في المدرسة الاجتماعية الغربية ، وحاولنا تقويمها وتفنيد مزاعمها الداعية إلى تبرير عملية الصراع الاجتماعي بسبب من الأسباب. وفي هذا القسم سنحاول بالتقويم الجانب التطبيقي لتلك النظريات في المجتمع الرأسمالي في حقلين:

### تقويم العدالة الاجتماعية في النظام الرأسمالي الأمريكي

لا نستطيع فهم معنى العدالة الاجتماعية في النظام الرأسمالي ما لم ندرس العوامل الثلاثة التي ذكرها «ماكس وبر»، والتي تتحكم في وضع الطبقات الاجتماعية، خصوصاً الطبقة الرأسمالية العليا، وهي: العامل الاقتصادي (الثروة)، والعامل السياسي (القوة)، والعامل الاجتماعي (المنزلة الاجتماعية).

#### ١- الثروة:

وهي على نوعين: الأول: الأرصدة والعقارات ووسائل الإنتاج. والثاني: الأجر أو

## الدخل السنوي.

ولا شك أن جميع المؤشرات تدل على انعدام العدالة الاجتماعية في البلدان الرأسمالية، خصوصاً الولايات المتحدة، وسببها في الاصل التوزيع غير العادل للثروة الاجتماعية بين الأفراد. حيث تقع نصف كمية الأرصدة والعقارات ووسائل الانتاج في حيازة مجموعة قليلة من الأفراد، تشكل واحداً بالمائة من نسبة السكان. بمعنى أن فرداً واحداً من كل مائة فرد يملك نصف الثروة العينية والنقدية للمجتمع، والباقي وهم تسع وتسعون فرداً يملكون النصف الآخر. وهذا يعكس ظلم النظام الرأسمالي للحياة الاجتماعية، لأن السيطرة على الثروة الاجتماعية تترجم غالباً الى سيطرة على مقدرات النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للدولة. حيث يتبين من إحصاءات الحكومة الأميركية في نهاية القرن العشرين أن هناك أكثر من ستمائة الف مليونير من ضمنهم ستة وعشرون فرداً ممن يملكون أكثر من بليون دولار. وهؤلاء الأثرياء يتميزون عن غيرهم من الافراد، لأن أموالهم تجاوزت حدود المكافأة الاجتماعية للجهود الانسانية في التاريخ. وتراكم المال بهذا الشكل عند بعض الافراد دون غيرهم له آثار سلبية على المجتمع من طرفين:

**الطرف الأول:** أن هذا التراكم يسبب حرماناً لعدد كبير من الافراد في الاستفادة من هذه الثروة وتوجيهها لمصلحة النظام الاجتماعي بصورة عادلة.

**الطرف الثاني:** أن الاسراف الذي يرافق تراكم هذه الثروة عند بعض الافراد ضمن طبقة معينة، يؤدي الى إهدار طاقات المجتمع، وتبديد موارده الطبيعية التي خلقت في الاساس لإشباع حاجات جميع الافراد دون استثناء.

أما الأجر أو الدخل السنوي للفرد فهو مؤشر آخر على عدم عدالة توزيع الثروة الاجتماعية في النظام الرأسمالي. حيث إن نسبة ضئيلة فقط من الأفراد تستلم أجوراً عالية تتجاوز الجهد المبذول. أو بتعبير آخر: إن واحداً بالمائة أيضاً من أفراد المجتمع الرأسمالي يستلم أعلى نسب الاجور، بينما تبقى الأغلبية العظمى من الأفراد دون ذلك. وبطبيعة الحال، فإن الطبقة الرأسمالية المتمثلة برجال الأعمال والمستثمرين ورؤساء المؤسسات الكبيرة تعتبر من أكثر الطبقات تمتعاً بالأموال، حيث تأتي غالبية وارداتها من الأرباح الربوية، والايجارات، وأرباح

تشغيل وسائل الانتاج، علماً بأن الجهود المبذولة من قبل هؤلاء لا تتناسب مع حجم الأجور المقبوضة.

## ٢ - القوة:

وتتركز القوة بيد القلة البيضاء في المجتمع الرأسمالي، بنفس الاسلوب الذي تتراكم به الثروة الاجتماعية. بينما يصيب الحرمان نسبة تقدر بأكثر من خمس عدد السكان. حيث يشكل المحرومون من القوة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الولايات المتحدة وإلى منتصف القرن العشرين ثلاثة أجناس، هم: الفقراء، والمواطنون من ذوي البشرة السوداء، والنساء. ومع أن عدداً من هؤلاء المستضعفين قد وصل الى مواقع عالية في سلم القوة السياسية والاجتماعية، إلا أن مبدأ الحرمان لازال موجوداً. فالطبقة التي تسيطر على مراكز القوة في النظام الرأسمالي، هم الأغنياء من ذوي البشرة البيضاء، ومن أتباع المذهب البروتستانتي. بمعنى أن الأصل في التحكم بالقوة السياسية في النظام الرأسمالي هو المال والمذهب وجنس الرجل. ومن المؤكد أن معنى الثروة، حسب النظرية الرأسمالية، يرادف معنى القوة السياسية. لأن الثروة المتراكمة بيد القلة لا تخلق محيطاً مناسباً لرخاء العيش فحسب، بل تخلق شهوة جامحة للتحكم والسيطرة السياسية على مقدرات النظام الاجتماعي. فنلت اعضاء الكونغرس الأميركي في النصف الاخير من هذا القرن من أصحاب الملايين، بل إن لعائلي «روكفلر وكندي» المشهورتين بالثراء حصصاً شبه دائمية في النظام السياسي الأمريكي، وحقوقاً سياسية متوارثة جيلاً عن جيل.

وبطبيعة الحال، فإن انعدام العدالة في النظام السياسي الاميركي يستند على عدة عوامل مهمة تشكل اساس ديمومة الطبقة الرأسمالية. وهذه العوامل هي:

الاول: وجود مجاميع المنفعة التجارية، وهي مجموعات تمثل مصالح الطبقة الرأسمالية الصناعية، وهدفها التأثير على صياغة القوانين المدنية والصناعية من قبل الكونغرس، حتى تضمن مصالح المؤسسات الرأسمالية الكبرى ضد المستهلكين. حيث تستخدم هذه المجموعات - بشكل يسمح به القانون الرأسمالي -

الاموال والهبات لمساعدة أعضاء الكونغرس في إعادة انتخابهم. لأن عملية الترشيح والانتخاب تحتاج الى كمية غير قليلة من المال. ولما كان عضو الكونغرس المنتخب مديناً في انتخابه لهذه المجاميع، أصبحت القوانين الصادرة عن الكونغرس تصب في مصلحة الشركات الصناعية والتجارية العملاقة، وبالتالي تصب في مصلحة الطبقة الرأسمالية. وهذا السلوك الرأسمالي يضّر الطبقات الاجتماعية الفقيرة، لأنه ليس هناك من يمثلها في التشكيل السياسي والتشريعي.

الثاني: عدم عدالة نظام الضرائب المفروضة على الأرباح الشخصية السنوية. فحسب القانون الضرائبي الرأسمالي يدفع الأغنياء كمية مالية تقل عما ينبغي دفعه فيما لو كان النظام الضرائبي عادلاً. وأفضل مثال على ذلك هو أن الضرائب الشخصية على الأفراد تشكّل ثلث واردات مجمل ضرائب الدولة، بينما تشكّل الضرائب المفروضة على المؤسسات الرأسمالية العملاقة أقلّ من عشرة بالمائة من تلك الواردات. وهذا يعني أن الأثرياء من الطبقة الرأسمالية، يحتفظون بفائض الأرباح التي يجنونها عن طريق إيداع أموالهم واستثمارها ضمن المؤسسات الرأسمالية الكبرى.

الثالث: سوء توزيع الثروة الاجتماعية. فتذهب الحصة العظمى من الأموال التي تحصل عليها الدولة الرأسمالية من الضرائب الى المؤسسات الرأسمالية الكبرى، كالمؤسسات الصناعية العسكرية، والنظام الطبقي الصحي، بما فيه من مؤسسات رأسمالية عملاقة، كصناعة الادوية والأجهزة الطبية، وجهاز القضاء بما فيه من شرطة ومحاكم وقضاة. ولا يبقى للخدمات الاجتماعية كإعالة الفقراء والمشردين وإشباع حاجاتهم الأساسية إلا النزر اليسير. وهكذا تدور الثروة الاجتماعية من الافراد في الطبقتين العليا والوسطى الى المؤسسات الرأسمالية العملاقة، ثم ترجع من المؤسسات الرأسمالية العملاقة الى الطبقة العليا بالخصوص والطبقة المتوسطة، تاركة الطبقة الفقيرة تسبح في بحر من التخلف والحرمان.

### ٣- المنزلة الاجتماعية:

ويحتل الأثرياء والرأسماليون ومن تركّزت القوة السياسية بأيديهم مكان

الصدارة والوجاهة في المجتمع الرأسمالي. بينما يحتل المفكرون وعلماء الطبيعة ورجال الدين والاساتذة الطبقة الوسطى. ويحتل الفقراء المنزل السفلى في السلم الاجتماعي. وتمايز الطبقات في النظام الاجتماعي الغربي ليس بحديث عهد، حيث يذكر المؤرخون أن العائلة المالكة في روما، مثلاً كانت لا تسمح لغير أفرادها بلبس الملابس الحمراء، وأن العائلة المالكة في إنجلترا كانت لا تسمح في القرن السادس عشر لغير نساها بلبس الملابس المخاطة بالذهب والفضة. وهذه الممارسات تؤكد على أن العوائل الحاكمة في أوروبا كانت تحرم على الناس التفكير بالصعود الى منزلتها الاجتماعية المتميزة، لأنها حسب زعمها، عوائل ملهمة ومسددة من قبل الخالق عزوجل؛ وما على الأفراد إلا الطاعة والتسليم! وعلى ضوء هذا التمايز تسيّر دقة النظام الرأسمالي. حيث يعكس تصميم هذه الأنظمة على فكرة تمايز الطبقات التوزيع غير العادل للثروة. فرفعة المنزل الاجتماعية التي يتمتع بها الفرد الرأسمالي تعكس تراكمًا لمواد عينية ونقدية تصبح لاحقاً السبب في البذخ وتجاوز حدود سد الحاجة الطبيعية للإنسان.

والمقياس في الرأسمالية الاميركية: أن وجاهة الفرد الاجتماعية تُحدد بموجب الدخل السنوي الذي يتقاضاه، لا بمقتضى نوعية العمل الذي يقدمه للنظام الاجتماعي. وعلى ضوء ذلك فقد صُمم النظام الاقتصادي على أساس أن الفرد حرٌّ في استخدام وسائل الانتاج لاستدراار أقصى ما يمكن استدرااره من الخيارات، فإذا تراكمت الثروة لديه ارتقى الى مستوى اعلى في السلم الاجتماعي، وعندها يمسك بزمام القوة السياسية ويحتل الصدارة الاجتماعية.

ولم تتوقف الفكرة الرأسمالية عند هذا الحد، بل اعتبرت تلازم المنزل الاجتماعية في النظام الرأسمالي بنظام الطبقات ونظام العمل أمراً طبيعياً، فطبقة رجال الاعمال والمستثمرين ينبغي أن تتميز عن طبقة العمال في الحقوق والمصانع. والطبقة الارستقراطية ينبغي أن تتميز عن الطبقة الوسطى. والطبقة الغنية ينبغي أن تترفع عن مستوى الطبقة الفقيرة. وهو تأكيد واضح على قياس تفاضل الأفراد على أساس نسبة رأس المال المملوك، وليس على أساس نفع العمل وقيمه الأخلاقية للنظام الاجتماعي. وهذا المقياس غير العادل يؤدي في النهاية الى

تفضيل الظالم على المظلوم، والسارق على المسروق، والباغي على المَبَغْي عليه، خصوصاً إذا كان الظالم والسارق والباغي أكثر ثروة من المظلوم والمسروق والمَبَغْي عليه. وهو شرح أخلاقي خطير في النظام الرأسمالي، واجحاف بحق الفقراء والمستضعفين والمظلومين.

وحتى نستقري حجم وأبعاد انعدام العدالة الاجتماعية في النظام الرأسمالي للولايات المتحدة، فلا بد لنا من ملاحظة الأرقام التالية:

ففي نهاية القرن العشرين يبلغ عدد نفوس الولايات المتحدة، حوالي مائتين وخمسين مليون نسمة تقريباً، منهم ستمائة ألف مليونير، بضمنهم ستة وعشرون بليونيراً، وخمسة وثلاثون مليون شخص ما بين جائع أو معدم أو مشرد أو فقير لا يملك قوت سنته. ومن بين هؤلاء تسعون عائلة أميركية غنية تسيطر على نصف ممتلكات أميركا من العقارات والأرصدة ووسائل الانتاج، حيث تراث هذه العوائل هذه الثروة العظيمة جيلاً بعد جيل، منذ مائتي عام إلى اليوم. ومن استقراء هذه الحقائق نتساءل: أين إذا العدالة في توزيع الثروات بين أفراد المجتمع في نظام يعتبر نفسه قمة التطور الرأسمالي في العالم؟

### نقد النظام الطبقي الاميركي

وبالرغم من أن المفكرين الذين كتبوا الدستور الأميركي كانت لهم وجهة نظر معينة تجاه العدالة الاجتماعية، إلا أن رؤية ثاقبة للنظريات الاجتماعية التي طرحت لتفسير الدستور تبين أن النظام الاجتماعي الأميركي بني على أساس رأس المال، بما فيه من ربح وخسارة وتراكم للثروات، دون وضع مفهوم واضح للعدالة الاجتماعية بعين الاعتبار. وعلى ضوء ذلك، فإن بروز الطبقات في نظام اجتماعي كهذا، واتساع الشقة الكبيرة بين الفقراء والاغنياء لا بد وأن يكون أمراً طبيعياً حتمياً لا مفر منه. وإذا كان حلم (بنجامين فرانكلين) و(توماس جفرسن) و(جيمس ماديسون) بإقامة مجتمع الثروة والغنى لكل الافراد لم يتحقق، فإن النظام الاجتماعي الأميركي المعاصر قد حقق تقدماً كبيراً في إنشاء الطبقات الاجتماعية المتفاوتة الثراء، حيث يبثني النظام اليوم على خمس طبقات متصارعة هي: الطبقة



الرأسمالية، والطبقة الوسطى العليا، والطبقة الوسطى السفلى، والطبقة العاملة، والطبقة الفقيرة المعتمدة.

فتعتبر الطبقة الرأسمالية الثرية، الصغيرة الحجم والمحدودة العدد، من أقوى الطبقات وأمضاها في المجتمع الأميركي. حيث تتشكل تركيبها الاجتماعية من بقايا النظام الارستقراطي الأوروبي القديم الذي هاجر الى العالم الجديد؛ والذي كان ولا يزال قائماً على الاساس العائلي، كالعوائل العريقة مثل: عوائل روكفلر، وروزفلت، وكندي، وفاندربيلت، ودي بوند، واستر، وغيرها، التي دخلت العالم الجديد بأموالها ومنزلتها الاجتماعية في أوربا، وهي ترى أن من حقها أن تتعامل مع المجتمع الجديد في السيطرة والاستعباد، كتعاملها مع المجتمع الأوروبي القديم. بمعنى أنها ترى أن من حقها التعامل مع بقية الأفراد تعامل السيد مع العبد، والحاكم مع المحكوم، والمالك مع المملوك. وقد بقيت هذه الطبقة القوية محافظة على وضعها الاجتماعي والاقتصادي المتميز عن طريق انشاء مؤسسات اجتماعية خاصة بها. فوسائل التعليم والخدمات الاجتماعية الخاصة بهذه الطبقة، تقدم خدماتها خصيصاً لهؤلاء الأفراد فقط، ولا تسمح لبقية أفراد الطبقات الأخرى بالتمتع بها. وطريقتهما في ذلك، رفع الاجور الدراسية - مثلاً - للمدارس والجامعات الخاصة، أو اجور الانضمام للمعاهد والنوادي الخاصة بالطبقة الى نسب خيالية، مما يحرم الطبقات الأخرى من الانضمام اليها، والتمتع بخدماتها الراقية. ونتيجة لذلك، فقد ابتعدت الطبقات الفقيرة عن الاختلاط بهذه الطبقة الرأسمالية رويداً رويداً، حتى انقطعت كل الصلات الاجتماعية بينها. وبطبيعة الحال، فإن هذه الطبقة الثرية تحافظ على نقاوتها وحيويتها جيلاً بعد جيل، عن طريق التزاوج فيما بين أفرادها. فالزواج بين ابناء الرؤوس الكبيرة يُبقي تراكم الثروة ضمن حدود وجدان الطبقة الغنية.

ولا بد من سائل يسأل: هل يسمح لفرد تراكمت الثروة في حوزته عن طريق القمار أو الربح السريع من الانضمام لهذه الطبقة؟ والجواب: أن القادم الجديد لا يسمح له بالانضمام الى هذه الطبقة حتى وإن تجاوزت أمواله أموال بعض أفرادها، لأنه لا يملك النسب العائلي الذي يسمح له بالدخول الى دائرة هذه الحلقة

## الاجتماعية العليا.

ولا شك أن التأثير السياسي لهذه العوامل يتجاوز الحدود الجغرافية للولايات المتحدة ليشمل العالم الواسع من خلال التجارة والتسلّح والتأثير السياسي والاقتصادي والثقافي. ولا ريب أن الظلم الذي لحق الافراد نتيجة سيطرة هذه الطبقة، لم يشمل الأفراد الذين يعيشون في بقعة جغرافية محددة، أو أولئك الذين يسكنون في دولة معينة، بل قد شمل الانسانية المعاصرة كلها على وجه الارض، خصوصاً إذا ما علمنا أن الطبقة الرأسمالية في أميركا لها ارتباطات وثيقة بالطبقات المالكة في الانظمة الرأسمالية الأوروبية كبريطانيا وهولندا والسويد.

والطبقة الوسطى العليا، وهي الطبقة التي تضم أعضاء يتجاوز دخلهم السنوي الحدود الطبيعية لنظام الاجر العادل، وينضوي تحت لوائها افراد من الجنس الابيض من معتقي المذهب البروتستانتية. ومثالها: رجال الاعمال الذين لهم منزلتهم الاجتماعية، ولكنهم لا يعتبرون من الطبقة الثرية المالكة. وبذلك فهم لا يديرون دفة الامور السياسية بل إن أغلب تطلعاتهم مالية واقتصادية.

والطبقة الوسطى السفلى، وهي الطبقة التي تضم تحت رايقتها أفراداً ذوي دخل وأجر محدود يتناسب تناسباً معقولاً مع الجهد المبذول. ويدخل تحت لوائها التجار والموظفون وأصحاب المهن الحرة، الذين يجهدون في العمل للحفاظ على وضعهم الاقتصادي والاجتماعي.

والطبقة العاملة، وهي التي تضم كلّ الافراد الذين يعملون بأجر محدود في الحقول والمصانع والخدمات العامة، وتتميز عن غيرها بأن عمل أفرادها عمل يدوي شاق غالباً. ومع أن الاجر والمكافأة المالية لهذه الطبقة جيد، إلا أن أفرادها لا يتمتعون بالمنزلة الاجتماعية اللائقة التي يتمتع بها نظراؤهم من الطبقات العليا.

والطبقة الاخيرة هي طبقة الفقراء، حيث يكافئهم النظام الرأسمالي بأدنى الاجور، ويعتبرهم من أوطأ الطبقات درجة وأهمية في السلم الاجتماعي، لسببين:

الأول: أن اغلب أعضاء هذه الطبقة عاطلون عن العمل.

الثاني: أن هؤلاء الافراد ليست لديهم المهارة أو الكفاءة في انجاز العمل الموكول لهم انجازه.

ولما كان هؤلاء الافراد لا يمثلون قيمة حقيقية في سوق العمل، فإنهم حسب الفكرة الرأسمالية لا يمثلون قيمة حقيقية في القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للنظام الاجتماعي. بمعنى أن الفرد الفقير الذي لا يستطيع أن يقدم إنتاجاً مربحاً للعجلة الرأسمالية، ليست له قيمة حقيقية في الحياة الانسانية. ولا شك أن الحرمان الذي يصيب هذه الطبقة يدل دلالة واضحة على فشل النظام الرأسمالي في نظام توزيع الثروات الاجتماعية، ويعتبر مؤشراً ضعيفاً في نظام عدالته القائم على أساس الربح والخسارة، دون النظر الى النظام الاخلاقي في التعامل الاقتصادي وجني الارباح. فاذا كان الانسان غير قادر على الابداع، فما ذنب ذريته التي تبقى ضمن الطبقة الاجتماعية نفسها، جيلاً بعد جيل؟ بل كيف نضمن عدالة النظام إذا كان اشتراط النسب والثروة هو المقياس في التمسك بأسباب القوة السياسية للنظام الرأسمالي الاميركي؟ وأي ظلم أقدم من حرمان الانسان الفقير حقه في تطوير قابلياته الذاتية لخدمة المجتمع الذي يرى فيه جذوره وتاريخه وثقافته وطموحاته؟

وبطبيعة الحال، فإن محافظة النظام الطبقي الاميركي على وجوده بكل قوة مدة قرنين من الزمان، نابع من إحكام قبضته الحديدية على النظام السياسي الذي تحركه الثروة والقوة والمنزلة الاجتماعية. فالطفل الذي يولد في دائرة الطبقة الثرية للمجتمع الرأسمالي يكتسب المهارة والقيم والثقافة المسيطرة على تلك الطبقة، وينشأ ويتطور وجوده الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ضمن أجواء تلك الطبقة الحاكمة. والطفل الذي يولد في طبقة فقيرة، يعيش مع أقرانه من المحرومين في الطبقة المحكومة، فلا يرى أمامه فرصة تؤهله للوصول الى الطبقة الثرية، أو حتى الحلم بالإبحار الى شواطئ الرخاء والرفاهية فيصبح معاقاً من قبل النظام الاجتماعي، وهو بعد لم يكتشف قدراته الإبداعية.

### الاثار المترتبة على تطبيق النظام الرأسمالي في الولايات المتحدة

ولا شك أن رسوخ فكرة تمايز الطبقات الاجتماعية في النظرية الرأسمالية الأميركية له آثار سلبية على روح العلاقات الانسانية في المجتمع، فالأفراد

المنضوون تحت راية الطبقة الرأسمالية الثرية يتمتعون بمختلف الامتيازات الممنوحة لهم على حساب الطبقات الاخرى، بينما يقبع المحرومون في زوايا الظلم الاجتماعي، حيث لا حيلة لهم لتغيير أسلوب حياتهم، ولا قدرة لهم على استثمار فرص لا تتوفر لنوابغهم.

فعلى الصعيد السياسي، تنشط الطبقة الرأسمالية في حركة التصويت والانتخاب للمرشحين السياسيين، لأن الانتخاب يعزز دعواها بسلامة النظام الديمقراطي، ويثبت في نفس الوقت المراكز السياسية التي صُممت أصلاً لخدمة الطبقة الرأسمالية. بينما تظهر الطبقة الفقيرة تجاهلاً عملياً تجاه عملية التصويت الرئاسي والبرلماني، لأنها تعلم أن التصويت لا يغير الواقع السياسي والاجتماعي للنظام الرأسمالي. ولا بد هنا من ملاحظة قضية مهمة، وهي أن اغلبية المرشحين السياسيين ينضوون تحت راية الطبقة الرأسمالية، كأفراد لهم قوة سياسية واقتصادية. وبسبب هذا التفاضل السياسي بين الأفراد على الأساس الطبقي، أصبح التمييز السياسي بين الطبقات الاجتماعية أمراً حتمياً، خصوصاً على المستوى الحزبي، حيث يمثل الحزب الجمهوري الطبقة الرأسمالية الغنية، بينما يمثل الحزب الديمقراطي الطبقة العاملة والأقليات العرقية كاليهود والمواطنين السود. وعلى المستوى الاجتماعي يمثل الجمهوريون الحركة المحافظة، وروادها من دعاة البقاء على القيم الاخلاقية التي أقرتها النصرانية، كحرمة الطلاق والاجهاض، وأهمية دور المرأة في العائلة، وضرورة المحافظة على القيم الدينية. بينما يمثل الديمقراطيون الحركة التحررية التي تدعو الى التحرر من القيم الاجتماعية، بالدرجة التي لا تتعارض مع المفهوم السياسي للديمقراطية، كتحرر المرأة من الروابط الاجتماعية، وضرورة إقحامها في النظام السياسي والقضائي والتشريعي، والدعوة الى التحرر من القضايا التقليدية الاجتماعية.

وعلى الصعيد الديني، فإن الطبقة الرأسمالية في الولايات المتحدة تنتمي الى المذهب البروتستانتي، فالبروتستانت يتحكمون بالقوة المالية والسياسية للنظام الاجتماعي دون غيرهم. ولكن التمييز الطبقي لا يترك فرداً ولا مذهباً ولا كنيسة دون ان يلعب دوره المخزب فيها. فحتى الكنائس البروتستانتية مقسمة على أساس

النظام الطبقي والدخل السنوي للأفراد. فالأفراد من ذوي الدخل المرتفع من الطبقة الرأسمالية يتعبدون في كنائس تختلف فيها الخدمة الدينية عن تلك التي تؤمها الطبقة الأضعف مالياً من نفس المذهب. حيث تقوم كنائس الطبقة الرأسمالية البروتستانتية بخدمة المتعبدین الأثرياء خدمة راقية، مبشرة إياهم بالجنان التي صنعها الباربي لهم في الحياة الآخرة. بينما تقوم كنائس الطبقة البروتستانتية الأضعف مالياً بدعوة الناس إلى قبول النظام الاجتماعي والسياسي القائم باعتباره نظاماً مباركاً من قبل الخالق عزوجل، مذكّرة إياهم بأن رفضه يمثل رفضاً للدين والحياة الروحية. وما شعار: «بارك الله في أميركا» الذي تستخدمه الحكومة الرأسمالية في المناسبات الرسمية، إلا شعار ديني ينبع من أصل الفكرة البروتستانتية الداعية إلى إطاعة النظام الاجتماعي القائم على أساس الرأسمالية.

وعلى الصعيد العائلي، فإن الطبقة الرأسمالية لا تعاني من مشاكل الطلاق وما يترتب عليها من أزمات نفسية واقتصادية، كما هو الحال في الطبقة الفقيرة. بل إن إهمال النظام السياسي لهوم الطبقة الفقيرة، سبب زيادة نسب حالات الطلاق في تلك الطبقة، إلى درجة أن تلك المشكلة أصبحت تهدد أصل وجود الفقراء. ولا شك أن أول نتيجة مدمرة للطلاق هي تشريد الأطفال، وجعلهم عرضة للانحراف الاجتماعي. وطالما كانت هذه المشكلة الاجتماعية مطوقة ضمن حدود الطبقة الفقيرة. فإن النظام السياسي الرأسمالي لا يعتبرها مشكلة خطيرة. بل يعتبرها، في واقع الأمر، قضية صحية على الصعيد السياسي، لأنها تبعد الفقراء عن السلطة السياسية. أما الطبقة المتوسطة، فإن الطلاق منتشر فيها أيضاً. ولكن الطبقة الوحيدة التي لا يمسه شروره، إلا استثناء، هي الطبقة الرأسمالية، بسبب قوتها الاقتصادية أولاً، وقدرة أفرادها على اختيار الشريك المناسب دون عراقيل اجتماعية أو مالية ثانياً. ولا شك أن العوامل التي تؤدي إلى الطلاق تختلف من طبقة إلى أخرى، ولكن أهم عوامل الطلاق في الطبقتين الفقيرة والمتوسطة هي العوامل الاقتصادية والدينية والسياسية:

أولاً: العامل الاقتصادي: حيث يساهم الفقر في تمزيق العلاقة الزوجية، بسبب عدم قدرة الزوج على إشباع حاجات أفراد عائلته الأساسية.

ثانياً: الرادع الديني: حيث لم يعد الدين رادعاً لفكرة الطلاق، بسبب إيمان الرأسمالية بفكرة (المذهب الفردي)، وما يترتب عليها من حرية وانعتاق من قيود الدين.

ثالثاً: إن نظام الخدمات الاجتماعية التابع للحكومة الأميركية يساعد بشكل غير مباشر على إيقاع حالات الطلاق، فالحكومة لا تساعد العوائل الفقيرة المؤلفة من آباء وامهات واطفال، وإنما تقدم المساعدة المالية للعوائل المنكسرة التي يعيها معيل واحد، أبا كان أو اما. وفي هذا التشريع الحكومي تشجيع للزواج على الانفصال والطلاق. ولا ريب أن من أوضح علامات النظام الاجتماعي والتشريعي في المجتمع الرأسمالي هي أن نصف عدد العلاقات الزوجية في المجتمع الاميركي تنتهي في فترة من الفترات الى الانفصال ثم الطلاق.

وعلى الصعيد التعليمي، تتمتع الطبقة الرأسمالية بمستوى ثقافي وتعليمي أعلى من مستوى الطبقة الفقيرة. فأطفال الأغنياء هم المتفوقون علمياً في مدارسهم على أقرانهم من الطبقة المحرومة اقتصادياً، ولذلك فإن الجامعات ومعاهد العلم تغض بذرية الطبقة الرأسمالية، مما يهيئ لها فرصاً أكبر لاحتلال الأدوار الاجتماعية التي يحتاجها المجتمع لاحقاً.

وعلى صعيد القيم، فإن إيمان الطبقة الرأسمالية بأن قوة الانسان السياسية والاجتماعية نابعة من قوته الاقتصادية وقدرته على تحصيل المال، يعتبر من أهم خصائص تلك الطبقة، فهي ترى أن للنقد صوتاً مسموعاً، وللمسكوك رنيناً جذاباً. بمعنى أن على الافراد في الطبقة الرأسمالية الاجتهاد بشئ الوسائل لكسب المال وتجميع الثروة، لأنها الأصل في تحصيل القوة الاجتماعية والسياسية. على عكس إيمان الطبقة الفقيرة التي تتمسك بعقيدتها بدور الحظ والتوفيق في الحياة الاجتماعية، وبأن التوفيق يصيب قوماً ويحيد عن آخرين، على القاعدة العربية القائلة: «ما كلُّ رامي غَرْضٍ يُصِيبُ» وعلى هذا الاساس يبني أفرادها مستقبل حياتهم الاجتماعية، فيتركزون التخطيط لمستقبل الحياة، ويصتوون جلَّ اهتمامهم لمعاشهم اليومي وهمومهم الآتية.

وعلى الصعيد الصحي، فإن الطبقة الرأسمالية تتمتع إجمالاً بأفضل الخدمات

الصحية، ويعيش أفرادها عمراً مديداً يتجاوز أعمار أفراد الطبقات الأخرى. بل إن أغلب الأمراض العقلية في النظام الاجتماعي تنتشر بين أفراد الطبقة الفقيرة. وتنتشر أيضاً بين أفراد الطبقات المعدمة أمراض القلب والسرطان بنسبة تزيد على انتشارها بين أفراد الطبقات الأخرى من ذوي الدخل المرتفع. وتعمى قلة انتشار الأمراض بين أفراد الطبقة الرأسمالية إلى عاملين:

الأول: حسن التغذية.

الثاني: توفر أسباب الأمان في مراكز الأعمال التي يؤديها هؤلاء الأفراد.

اضف الى ذلك أن الجهاز الصحي في النظام الرأسمالي الأميركي قائم على مبدأ النظام التجاري، فالخدمات الشفائية تقدم على أساس المنفعة التجارية البحتة. فلو افترضنا أن الغني يستطيع أن يستلم أفضل الخدمات الشفائية لأنه يدفع أجراً أعلى، يتبين لنا أن الفقير محكوم عليه بالمرض والموت، لأنه لا يستطيع أن يدفع أجراً يطرد به الآلام والمعاناة والنوازل التي تنزل به وبأفراد أسرته. فالأغنياء يشتررون حياتهم وصحتهم وحياة أسرهم بثرواتهم المتركمة، بينما يجود الفقراء بنفوسهم، لا لأنهم عاجزون عن درء الأذى عن أجسادهم، بل لفساد النظام الاجتماعي الذي بنيت عليه الفكرة الرأسمالية التي تؤمن - بكل قوة - بمعيار المصلحة الشخصية والمنفعة التجارية الصرفة.

وعلى صعيد تربية الأطفال، فإن التربية الغربية تتلون بلون الطبقة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل. فالطفل الذي يرتع في محيط الطبقة الرأسمالية غالباً ما تشعره الطبقة بشخصيته المستقلة وكيانه المتطور، فيتزعزع ضمن الجو الاقتصادي وفكرة الاعتماد على النفس. على عكس الطفل الذي ينشأ في طبقة فقيرة، حيث ينشأ على تعلم إطاعة الأوامر الصادرة من الجهات الاجتماعية العليا، والابتعاد عن مواطن الصراع السياسي. أما الطبقة المتوسطة فهي تغرس في نفوس أبنائها أهمية السلوك المعتدل القائم على نظرية المجتمع الأخلاقية.

وعلى صعيد الانحراف الاجتماعي، تمارس أغلب الطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة، انحرافاً من نوع ما، كجرائم القتل، والسرقة، والاعتصاب، والزنى، والاعتداء، وغير ذلك من الجرائم الاجتماعية والخلقية. إلا أن أفراد الطبقة

الفقيرة معرّضون الى الاعتقال والمحاكمة والسجن أكثر من نظرائهم في الطبقة الرأسمالية، لنفس الجرائم المرتكبة. بل إن بعض الجرائم التي يقوم بها أفراد الطبقة الرأسمالية أعظم وأخطر من جرائم الفقراء، إلا أن الثروة ووسائلها في المجتمع الرأسمالي تستطيع أن تلوي عنق القانون لصالح الظالم ضد المظلوم.

### الحلم الأميركي وارتباطه بتغيّر الادوار الاجتماعية

يتمحور مفهوم السعادة في النظام الرأسمالي في الولايات المتحدة حول كلمتين لهما نغم خاص ورنين يداعب مشاعر معتنقي النظرية الرأسمالية، وهما: «الحلم الأميركي»، حيث يدعي منظرو الفكرة الرأسمالية أن مفهوم «الحلم الأميركي» دليل قاطع على نجاح النظام الرأسمالي كنظام اقتصادي عادل يفسح المجال لكل المتشوقين للصعود الى قمة السلم الاجتماعي، للسيطرة على منابع القوة والثروة والمنزلة الاجتماعية. فـ «ابراهام لنكولن» بدأ حياته الاجتماعية نزيل كوخ هرم في منطقة فقيرة، ولكن «الحلم الأميركي» أوصله الى قمة البيوت في الولايات المتحدة وهو «البيت الابيض» فأصبح رئيساً للولايات المتحدة، ولولا العدالة الرأسمالية لما وصل (لنكولن) الى البيت الابيض. وهناك أسماء أخرى من فقراء أميركا وصلت الى قمة الطبقة الثرية أمثال: (اندريو كارنيكي) و(جي بي موركن) وغيرهم، حيث انتشلهم جدهم وكدهم من مستنقع الفقر والجوع الى جنة المتعة والمال. ففكرة «الحلم الأميركي» إذاً تصرّ على أنه بإمكان أي فرد من أفراد المجتمع الرأسمالي الوصول الى قمة المنزلة الاجتماعية والثروة والقوة، بغض النظر عن خلفية ذلك الفرد الاقتصادية والاجتماعية. فيبشر رواد هذه الفكرة ومعتقوها إذن بالجنة والنعيم الدنيوي لكل العمال والمنتجين الذين يجدّون ويكدحون تحت راية النظام الرأسمالي للوصول الى منبع الثروات في النظام الاجتماعي.

والبصير يرى أن الاحلام غير الحقائق، والوقائع غير الأوهام، ولو كان «الحلم الأميركي» حقيقة لما سمي حلماً. فما بال هذه الملايين التي تستنزف كل طاقاتها الجسدية والفكرية للإبحار الى مستوى كريم للعيش لا تصل الى شاطئ الأمان



الرأسمالي؟ فأين «الحلم الأميركي» من هؤلاء الفقراء؟ وأين «الحلم الأميركي» من الذين يولدون في الطبقة الفقيرة من المجتمع فلا يجدون من يأخذ بأيديهم الى سبيل العلم والمعرفة، ثم الى السعادة والعيش الكريم؟ وأين «الحلم الأميركي» من هؤلاء الذين ينقصهم التوفيق في تحصيل أرزاقهم، وهم شعلة من نار في الجحيم والعمل؟

ومع أن القائلين بحتمية «الحلم الأميركي» لا يعتقدون أصلاً بنظام «الطفرة الطبقيّة» وهو الإثراء السريع خلال فترة قصيرة من العمل الجاد، إلا أن مبدأ «الحلم الأميركي» باطل من الأساس، لأنه يشجع الافراد على التسابق لتجميع الثروة وتركها غير المشروع ضمن مجموعة محدودة من الافراد. وبذلك فإن كل دولار يضاف الى أموال الطبقة الرأسمالية الثرية، يؤخذ في الواقع من أموال الفقراء، لأن الاموال محدودة بحدود الاستثمار والتعامل في النظام الاجتماعي. فأى زيادة مالية في طبقة تؤدي الى اختلال اقتصادي واجتماعي في الطبقة الاخرى.

وعلى ضوء ذلك، فلما كانت الثروة العينية الموجودة في المجتمع ثروة محدودة بحدود توفر النقد، أصبح واضحاً أن تحقيق «الحلم الأميركي» وتراكم الثروة لدى مجموعة قليلة من الافراد، يسبب في نفس الوقت حرماناً لأفراد آخرين يعيشون في نفس المجتمع. فكيف يحقق «الحلم الأميركي» العدالة الاجتماعية لجميع أفراد النظام الاجتماعي؟

والجهد، الذي تزعم الفكرة الرأسمالية كونه العامل الوحيد في تراكم الثروة، لا يعتبر عاملاً حاسماً في تحقيق هذا الحلم. نعم إن الجهد عامل مهم في تحقيق الاستبقية في جني الثروة. ولكن العوامل الاجتماعية والتأثيرات السياسية والاقتصادية الاخرى ترفع أفراداً من طبقة دنيا الى طبقة عليا دون بذل جهد معتبر. فابناء الطبقات المختلفة في المجتمع الحديث، مثلاً، يوفّقون اجتماعياً أكثر من آبائهم في تحصيل الثروة والقوة السياسية، بسبب تطور وتغيّر الحياة الانسانية السريع في فنون الصناعة والزراعة والخدمات، فيتميّز الجيل الجديد عن سابقه بتحصيل أسباب الفنون الحديثة. ويتسلّق الابناء درجات معدودة في السلم الاجتماعي باتجاه الطبقة الثرية. فلماذا اختلفت، إذن، المكافآت الاجتماعية بين

الأبناء والآباء، مع ان الآباء بذلوا جهداً مضمناً في تحصيل العيش، ولكنهم لم يوفقوا لتجميع الثروة كما وُقِّعَ أبناءهم لاحقاً؟ فالنتيجة إذاً، أن الجهد في المجتمع الرأسمالي، بالأصل، لا يضمن للإنسان تراكماً غير محدود للمال.

وإذاً لم يكن الجهد عاملاً حاسماً في تراكم الثروة، فلماذا يشكل تغيير الأدوار الاجتماعية تحدياً صارخاً لصميم نظرية العدالة الاجتماعية الرأسمالية؟ وأمام هذا السؤال الكبير تعترف النظرية الرأسمالية بفشلها في توفير العدالة الاجتماعية لكل أفراد المجتمع، باعتبار أن المشكلة التي يواجهها النظام الاجتماعي تكمن في أن أعداداً كبيرة من الأفراد تبحث عن عدد محدود من المراكز الاجتماعية العليا المؤثرة في النظام الاجتماعي. فلو أخذنا عضو مجلس الشيوخ الأميركي كمثال لفرد يحتل موقعاً متميزاً في الطبقة الرأسمالية، وطلّبقنا فكرة «الحلم الأميركي» التي تقول: بأن كل فرد من أفراد المجتمع له حق متساوٍ في الوصول إلى أعلى منصب في النظام السياسي، فإن مائتين وخمسين مليون فرد سيتنافسون نظرياً على مائة منصب، وهو عدد أعضاء مجلس الشيوخ. فأين موقع «الحلم الأميركي» من الذين يفشلون في الوصول إلى هذا المركز الاجتماعي المتميز، حتى لو بذلوا جهداً استثنائياً للوصول إلى ذلك المركز الذي يحقق كل طموحاتهم الاجتماعية؟ ولو افترضنا أن هناك ألف مؤسسة مالية كبرى تدير النظام الاقتصادي والمالي في المجتمع الرأسمالي، وتشقّل ألف مدير يتمتعون بمراكز رفيعة في الطبقة الاجتماعية العليا، فأين موقع «الحلم الأميركي» من ملايين الأفراد الذين لا يستطيعون الوصول إلى هذه المراكز لسبب من الأسباب؟ فكيف يزعم رواد المدرسة الرأسمالية أن بتوفر الفرص لكل أفراد المجتمع للوصول إلى أعلى المراكز الاجتماعية، وتجاوز الرحلة الشاقة الطويلة من الفقر والعدم إلى الغنى والثروة؟ وكيف تفسّر هذه النظرية مبدأ المساواة في الحقوق إذا كانت أغلب المراكز العليا في النظام الاجتماعي محجوزة لابناء الطبقة الثرية؟ إذاً، فإن «الحلم الأميركي» لا يعدو أكثر من شعار مزيف، وجرة مخدرة تداعب أحلام الفقراء في الانتقال من مستنقع البؤس والظلم والحرمان إلى عالم مليء بالملهي والآمال الخادعة.

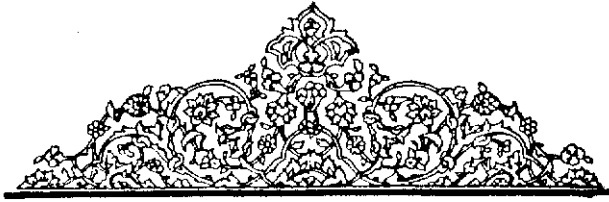
وحتى يكون الفرد مؤقلاً، حسب الفكرة الرأسمالية، للانضمام الى الطبقة العليا المسيطرة على شؤون النظام الاجتماعي لا بد أن تتوفر فيه صفتان اساسيتان، هما: النسب والعلم.

والمقصود بالنسب: هو المنزلة الاجتماعية للابوين. فإذا كان الأبوان من الطبقة العليا، فاحتلال الفرد للمناصب السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية العليا يغدو أمراً حتمياً. والمقصود بالعلم هنا هو حمل الشهادة الجامعية من جامعة خاصة بالطبقة العليا أمثال: جامعات «هارفرد وييل وبرنستون واكسفورد وكامبريدج» ونحوها. حيث إن هذه الشهادة الجامعية هي في الواقع دليل آخر على انتماء الفرد الى الطبقة الثرية. على عكس الطلبة من الطبقة الدنيا، الذين لا يؤقّلهم وضعهم الاجتماعي للحصول الجامعي لأسباب منها: عدم تكافؤ فرص الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي، ومنها: أن سوء تغذية أطفال هذه الطبقة تؤثر لاحقاً على أسلوب تفكيرهم وسلوكهم الاجتماعي ونظرتهم للحياة الاجتماعية. ومنها: أن نسبة الطلاق العالية بين أفراد هذه الطبقة تؤثر سلبياً على طموحات هؤلاء الافراد سياسياً، وتجعلهم أسرى وضعهم الاجتماعي البائس. ولذلك، فإنهم نادراً ما يصلون الى شغل المناصب العليا في النظام الاجتماعي.

ومجمل القول: إن النظام الطبقي الرأسمالي من أكثر الأنظمة معاداة للعدالة الاجتماعية، وأشدّها خداعاً للأفراد. وما «الحلم الأميركي» إلا مثال لذلك، فالحركة الاجتماعية بين المراكز التي يحتاجها المجتمع إنما هي حركة دائرة ضمن الطبقة الاجتماعية ذاتها. فإذا كان الاب عاملاً في مصنع من المصانع وحدث أن تدرّج ابنه في العمل فأصبح مشرفاً على عدد من العمال، فإن هذه الحركة الاجتماعية إنما تدور ضمن نفس الطبقة التي شغلها الاب، وليست انتقالاً من طبقة فقيرة الى طبقة غنية، أو من طبقة عمالية الى طبقة رأسمالية ولو كان الاب معلماً في المدرسة الابتدائية، وأصبح ابنه يشتغل بالتعليم الثانوي، فلا يعني ذلك ان الأسرة انتقلت من خلال هذه الحركة من طبقة الى اخرى. وهذه الحركة الاجتماعية ضمن الطبقة الواحدة تدحض الفكرة الرأسمالية القائلة بالمساواة التامة لكل أفراد المجتمع من مختلف الطبقات.

فلو كانت المساواة حقيقية لما حصلت الحركة بين الطبقة الواحدة فحسب، بل كانت بين الطبقات المختلفة، وبالأخص بين الطبقة الدنيا والطبقة العليا. ولو كانت العدالة الرأسمالية حتمية التحقق لما أنشأت النظرية الرأسمالية النظام الطبقي وأقوته وكرسته كأساس لتشييد صرح الحضارة الغربية الحديثة.

(يتبع)



قال الإمام علي عليه السلام :

إِنَّ الْقَدْرَ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي  
وَضَعَهُ لِلْخَلْقِ، وَنَصَبَهُ لِإِقَامَةِ  
الْحَقِّ، فَلَا تُخَالِفُهُ فِي مِيزَانِهِ  
وَلَا تُعَارِضُهُ فِي سُلْطَانِهِ.



## دراسات

# مِه الدس والتشويه في دائرة المعارف الإسلامية

٢

## ارفعن بالربية القرآن ورسالة النبي محمد ﷺ يا رسول الله

الحلقة الأولى

\* الشيوخ

هواد كاظم المقدادي

(العراق)

في الجانب الثاني من جانبي التقويم الرئيسيين لدائرة المعارف الإسلامية والخاص باكتشاف موارد الدس والتشويه الذي احتوته الدائرة المذكورة توجد عدة أقسام ينقسم إليها هذا الجانب، يختص كل قسم منها بمورد أساسي من الموارد الإسلامية التي طالتها يد الدس والتشويه الاستشراقي، وسنذكرها تباعاً حسب أهميتها من خلال تتبعنا التفصيلي لمواد وفصول هذه الدائرة، محاولين بمقدار ما تدل عليه النصوص والمقولات المتضمنة في تلك المواد والفصول اكتشاف موارد الدس والتشويه، وما يكمن وراءها من أهداف ومقاصد، أما كيف سنتم لنا معالجة هذه الدسائس والتشويهات ورد ما تحكيه من شبهات كلية فهذا ما سننهج له منهجين:

**المنهج الأول:** وهو المنهج التفصيلي الذي سنحاول من خلاله رد ومعالجة كل مفردة من مفردات الدس والتشويه بحسبها دون الخوض في الكليات الأساسية

الجامعة لها والحاكية عنها، وسنُضَمِّن هذه الردود والمعالجات في سياق تفصيلات الدس والتشويه التي نوردتها ونؤشر لها في اطار تبويبات بحثنا هذا.

**المنهج الثاني:** وهو المنهج الكلي، وفيه نقوم بانتزاع عنوان كلي عن كل مجموعة تفصيلات معتبرة عن شبهة اساسية معينة، ويتم ردها وبيان الحق في مقابلها ضمن بحث مستقل بها. وهذا المنهج سوف نُرجئ أمره الى ما بعد سوقنا لكافة النماذج التفصيلية للدس والتشويه التي قام بها المستشرقون في دائرة المعارف الاسلامية وساقوهم بها غيرهم من المبشرين والعلمانيين في كتاباتهم المختلفة عن الاسلام والمسلمين.

وأدناه نشرع ببيان عمدة نماذج الدس والتشويه في دائرة المعارف الاسلامية مبنية كالآتي:

**القسم الأول:** ادعاءات ومقولات مدسوسة ومشوّهة تهدف الى الطعن بإلهية القرآن الكريم ورسالة النبي محمد ﷺ بالاسلام.

وقد صيغت هذه الادعاءات والمقولات بأشكال مختلفة، بعضها جاء صريحاً، وبعضها الآخر يدلّ بالدلالة الالتزامية على الطعن والتكذيب، ويمكننا تنظيمها وتحديدتها بما يلي:

**أ - دس وتشويه يهدف الى القول بأن ذكاء محمد ﷺ وخياله المتوقّد هما اللذان كانا وراء ما جاء به من دعوة:**

ونجد مصاديق هذه الشبهة في عدة موارد، منها ما جاء تحت مادة «ابراهيم». ففي معرض بيان دعوى «سنوك هجرونييه» بأن شخصية ابراهيم مزّت بأطوار متناقضة في القرآن الكريم، والاشارة الى السر في هذا الاختلاف يقول «فنسنك A. J. Wensinck»: «إنّ محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكّة، فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بدّ من ان يلتمس غيرهم ناصراً. هناك هداه ذكاء مسدّد الى شأن جديد لأبي العرب ابراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهوديّة عصره ليصل حبله بيهوديّة ابراهيم»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما تحت مادة «الله» الفقرة «ج»: «الله في ذاته لذاته، يقول «ماكدونالد D. B. Macdonald»: «وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقّد ان يصف الله بصفات

(١) دائرة المعارف

الاسلامية ١ : ٢٧.

(٢) المصدر ٢: ٥٦٢.

واضحة معينة، مثل الأول والآخر، والظاهر والباطن «سورة الحديد - الآية ٣»، وأن القيتوم «سورة البقرة - الآية ٢٥٦»، «سورة آل عمران - الآية ١»<sup>٢</sup>.

وفي معرض الرد والمعالجة لهذه النصوص من الدس والتشويه تؤشر أولاً إلى أن الأساس في مثل هذا الدس والتشويه والهدف من وراء ارجاع النجاح في خطوات دعوة النبي محمد ﷺ ومواقفه الرسالية إلى ذكائه مثلاً أو خياله المتوقع - كما يعتبرون - هو إنكارهم الوحي الإلهي للنبي محمد ﷺ، وأمر رد هذه الشبهة بعنوانها الكلي وإثبات الوحي الإلهي للرسول ﷺ سنقوم ببحثه في فصل مستقل يستوعب جميع جوانب الإثارات التي ذكرناها عن المستشرقين، أو ما سيأتي منها في موارد وأبواب أخرى، وبصيف وزوايا مختلفة.

أما ردنا وعلاجنا لموارد الدس والتشويه التفصيلية التي أوردناها في هذه الفقرة فنرتبه كالاتي:

١ - قول «فنسنك A. J. Wensinck» أن محمد ﷺ كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فهذا ما لم يقله ولم ينقله لنا أي مؤرخ، سواء كان من المسلمين أم من غيرهم. بل الذي ورد هو العكس، حيث أن اليهود كانوا أول وأشد من نصب العداء ومارس تأليب مشركي قريش والتآمر على رسول الله ﷺ ودعوته الإسلامية، حتى نزل في ذلك قرآن كريم قال فيه الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾<sup>٣</sup>.  
أما قوله: «وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية ابراهيم» ففيه:

أولاً: أن اليهودية المدعاة التي كانت على عصر الرسول ﷺ هي انحراف عن الدين الحق الذي بعث الله تعالى به أنبياء بني اسرائيل وعلى رأسهم موسى عليه السلام، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم قرآنه الكريم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾<sup>٤</sup>، وقوله تعالى ايضاً: ﴿فَتَطَّلَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُخَرِّفُونَهُ مِن بَغْيٍ مَا وَعَقَلُوهُ وَهُمْ يُغْلَبُونَ﴾<sup>٥</sup>.

ثانياً: أن الرسول محمد ﷺ لم يكن بحاجة لأن يصل حبله باليهودية المدعاة، لأن الأصل في الاديان هو الاسلام، وقد توالى بعث الرسل والانبياء من الله تعالى

(٣) المائدة: ٨٢.

(٤) النساء: ٤٦.

(٥) البقرة: ٧٥.

للتبشير به ورد التحريف عنه والدعوة له قبل خاتمتهم محمد ﷺ، أما النصرانية واليهودية المدعاة فما هي الا انحراف عن الاصل الاسلامي، وبدعة املتتها عليهم أهواؤهم ودنياهم الرخيصة، وفي ذلك قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَحْبِثُنَّ بِلُغَاتِكُمْ وَأَلَّا تَكْمُوتُنَّ فَيَتَبَنُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾<sup>٦</sup>. وهذه هي العقيدة التي دعا لها النبي محمد ﷺ وذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ \* وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُصِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ \* فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَإِسْتَفْهِمَ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْلِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>٧</sup>.

(٦) آل عمران: ٨٨٧.

(٧) الشورى: ١٣ - ١٥.

ثالثاً: ان نبي الله ابراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً، لما قلنا من ان الاصل في الاديان المبشّر بها هو الاسلام، وكيف يكون ابراهيم عليه السلام يهودياً أو نصرانياً حسب دعواهم وقد نزلت التوراة والانجيل من بعده بزمان مديد؟ وهو قول الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* مَا أَنْتُمْ مَوْلَاءُ حَاجَّتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْظُمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>٨</sup>.

(٨) آل عمران: ٦٥ - ٦٦.

ثم ينفي الله عز وجل اليهودية والنصرانية المدعاة عن ابراهيم عليه السلام ويثبت كونه حنيفاً مسلماً لا غير، وذلك قوله عز من قائل في الكتاب الكريم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>٩</sup>.

(٩) آل عمران: ٦٧.

إن من فلو كانت هناك وصلة للنبي محمد ﷺ بابراهيم عليه السلام فهي وصلة الاسلام، ذلك الدين الحق الذي قال فيه الله تعالى في قرآنه المجيد: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>١٠</sup>.

(١٠) التوبة: ٣٣.

٢- قول «ماكدونالد D. B. Macdonald»: «وقد استطاع محمد بفضل خياله



المتوقّد ان يصف الله بصفات واضحة معينة، ...» الى آخر القول، ففيه ما في قول سابقه «فنسبك» من أنه يوحي بان الرسول محمد ﷺ لم يكن قد أوحى له من الله تعالى، انما هو الذكاء أو الخيال المتوقّد، رغم أن لفظهم لم يكن صريحاً في ذلك وسنؤجل رده - كما اشرنا سلفاً - الى بحث مستقل لاحق يستوعب الاشارات التي سيأتي ذكرها تباعاً في هذه الشبهة. والظريف ان «ماكدونالد» هذا قد اعترف بوضوح الصفات وجلاء معانيها رغم تناقضه في مقاطع اخرى من أقواله في ذلك يذكرها تحت نفس مادة «الله» وسنأتي على بيانها تباعاً ان شاء الله.

ب - دس وتشويه يهدف الى اشارة شبهة أن في القرآن تناقضاً وفي بعض آياته تردداً:

منها ما جاء تحت مادة «ابراهيم»، يقول «فنسبك»: «كان سبرنجر - : Leben Sprenger und Lehredes Mohammad ج ٣، ص ٢٧٦ وما بعدها - أول من لاحظ ان شخصية ابراهيم كما في القرآن مرّت بأطوار قبل ان تصبح في نهاية الأمر مؤسّسة للكعبة. وجاء «سنوك هجروينيه» (ص ٢٠ وما بعدها) بعد ذلك بزمّن فتوسّع في بسط هذه الدعوى، فقال: ان ابراهيم في أقدم ما نزل من الوحي «الذاريات - آية ٢٤ وما بعدها، الحجر - آية ٥ وما بعدها، الصافات - آية ٨١ وما بعدها، الانعام - آية ٧٤ وما بعدها، هود - آية ٧٢ وما بعدها، مريم - آية ٤٢ وما بعدها، الانبياء - آية ٥٢ وما بعدها، العنكبوت - آية ١٥ وما بعدها» وهو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل، ولم تُذكر لاسماعيل صلة به، وإلى جانب هذا يشار إلى ان الله لم يرسل من قبل الى العرب نذيراً «السجدة - آية ٢، سبأ - آية ٤٣، يس - آية ٥» ولم يُذكر قط ان ابراهيم هو واضع البيت، ولا أنه أول المسلمين، اما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك، فابراهيم يدعى حنيفاً مسلماً، وهو واضع ملّة ابراهيم، رفع مع اسماعيل قواعد بيتها المحرم - الكعبة - «البقرة - آية ١١٨ وما بعدها، آل عمران - آية ٦٠، ٨٤... الخ» ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم ايضاً المشيّد لبيت هذه المدينة المقدّس»<sup>١١</sup>.

وفي مورد آخر وتحت مادة «اسرائيل» يدعى «سنوك» تناقضاً آخر في نسبة يعقوب لابراهيم، فيقول: «ويظهر أن محمداً كان أول الأمر يعتبر يعقوب ابناً لابراهيم

فعندما رُكِّت البشري لسارة يقول: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَفْقُوتُ﴾

الآية - ٧١ من سورة هود. سنوك هجروينيه، ص ٣٢»<sup>١٢</sup>.

وتحت مادة «صالح» يقول «بول Fr. Buhl»: «ومما يستلفت النظر بالإضافة إلى ذلك أن قصتي صالح وهود (انظر هذه المادة) تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها محمد في سور العهد المكي من حيث إنه قال إنه لم يرسل من قبله نبي إلى العرب (سورة القصص، الآية ٤٦؛ سورة السجدة، الآية ٢؛ سورة سبأ، الآية ٤٣؛ سورة يس، الآية ٥)»<sup>١٣</sup>.

(١٣) المصدر ١٤: ١٠٧.

وحول الناسخ والمنسوخ كانت عباراتهم صريحة ومباشرة في ادعاء التناقض في آيات القرآن حيث يقول «نولدكه Nöldeke Sc. hwally» تحت مادة «أصول»: «وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن والتي تصوّر لنا تدرّج محمد في نبوته، أمّا بما عمدوا إليه من التوفيق فيما بينها، واما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في الآيات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات»<sup>١٤</sup>.

(١٤) المصدر ٢: ٢٧٣.

وجاء في موضع آخر تحت مادة «عقيدة محمد في الله»: «وقد عرّف محمد الله بأنه الملك، المنتقم الغيور، وأنه سيحاسب الناس من غير شك ويعاقبهم في اليوم الآخر، وبذا تحوّلت تلك الفكرة الغامضة عن الله إلى ذات لها خطر عظيم. وينبغي لنا الآن أن نتبسط في الكلام على هذه الذات كما تصوّرها محمد، ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها كثيراً في القرآن «سورة الاعراف - الآية ١٧٩، سورة بني اسرائيل - الآية ١١٠، سورة طه - الآية ٧، سورة الحشر - الآية ٢٤» وتبيّن شغف محمد بهذه الصفات وشدة تمسكه بها. وكانت الفطرة السليمة هي التي دفعت المسلمين بعد محمد إلى جمع هذه الصفات وتقديسها، وهذه الصفات تعتبر عن حقيقة إله محمد أحسن مما تعبر عنها الصفات التي ذكرها علماء الكلام في القرون الوسطى، وهي تعيننا كثيراً في فهم وتحديد عبارات محمد، المبعثرة المتناقضة»<sup>١٥</sup>.

(١٥) المصدر ٢: ٥٦١.

وفي موضع آخر يسوق «كارادي B. Carrade Vaux» دعوى تناقض القرآن بصياغة وجود تردد فيه كما في المقطع التالي تحت مادة «جهنم»: «الظاهر أن

القرآن قد تردد بعض التردد في مسألة خلود العذاب في جهنم، فالآيات التي تشير إلى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق، ولعل هذا التردد إنما يرجع إلى أن النبي محمداً لم يكن من الفلاسفة المتفكرين، فلم يستطع أن يعرض بوضوح المشكلة كمشكلة الخلود يدخل فيها مثل هذا التصور المجرد»<sup>١٦</sup>.

كما وتأتي دعوى التردد على سبيل الملازمة بين القرآن والتغييرات التي تحصل في توجهات النبي محمد ﷺ، حيث يقول «فنسلك» تحت مادة «الخمير»: «ولم يكن تحريم الخمير في برنامج النبي منذ البداية، بل نحن نجد في الآية ٦٧ من سورة النحل مدحاً في الخمير بوصفها آية من آيات الله للناس وهذا نصها: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً...﴾» بيد أنه قيل إن عواقب السكر قد ظهرت على الصورة التي يتنا، فدفعت ذلك النبي إلى أن يغير من اتجاهه. وأول ما نزل من الوحي مبيّناً هذا الاتجاه هو الآية ٢١٦<sup>١٧</sup> من سورة البقرة ونصها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...﴾ على أن هذه الآية لم تعد تحريماً. ولم يغير الناس من عاداتهم وحدث أن اضطرب نظام الصلاة فنزلت آية أخرى هي الآية ٤٦<sup>١٨</sup> من سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ ومع ذلك فإن هذه الآية أيضاً لم تعد تحريماً مطلقاً للخمر حتى نزلت الآية ٩٢<sup>١٩</sup> من سورة المائدة فوضعت حداً للخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾»<sup>٢٠</sup>.

إن الدس والتشويه الذي يوحى بشبهة أن في القرآن تناقضاً وفي بعض آياته تردداً فيه مغالطة فاضحة من جهة وجهل أو تجاهل بطبيعة القرآن الكريم من جهة أخرى، وتوضيح ذلك بما يأتي:

١- إن التطور المدعى أو بتعبير أدق التدرج الذي نجده في القرآن الكريم، سواء في آيات الارشاد العقلي للجانب العقائدي أو آيات الاحكام الخاصة بالتشريع الاسلامي أو آيات الاخلاق والتربية لإعداد الفرد المؤمن والأمة المؤمنة إنما هو أمر طبيعي اقتضته طبيعة الحكمة في الطرح الرسالي الهادف إلى توفير وإعداد عوامل الدعوة والبناء للإنسان والمجتمع، وليس كتاباً أكاديمياً مدرسياً يصنف موضوعاته

(١٧) في المصحف المتداول

بين المسلمين الرقم الصحيح

للآية المباركة ٢١٩.

(١٨) في المصحف المتداول

بين المسلمين الرقم الصحيح

للآية المباركة ٤٣.

(١٩) في المصحف المتداول

بين المسلمين الرقم الصحيح

للآية المباركة ٩٠.

(٢٠) دائرة المعارف

الاسلامية ٤٥١: ٨.

بفصول وأبواب تستوعب موضوعاتها مرة واحدة، وحتى الكتب المدرسية تخضع لمنهج التدرج في طرح الحقائق والمعلومات، فتبدأ بالاوليات والإجماليات وتترقى الى الرتب الاعلى في العمق والتفصيل العلمي، فهذه الشبهة المدعاة مغالطة فاضحة مردودة على أصحابها من رجال الاستشراق ومن سار على نهجهم ورأيهم المتهاافت.

٢- ان القرآن الكريم نزل نجوماً فهو إضافة لكونه كتاب تربية وإعداد للرسول ﷺ والأمة المؤمنة كما ذكرنا اعلاه، هو ايضاً كتاب حركة وارشاد وإحكام لقيادة الرسول ﷺ لدعوته للناس للاسلام، فجاءت آياته بشكل يرتبط بالزمان والمكان طبقاً للظروف والأحوال والمستجدات التي تفرزها طبيعة حركة الرسول ﷺ في دعوته سواء في الموضوع أو المنهج أو الاسلوب، لهذا نجد أن لكل آية من آيات القرآن الكريم شأنًا وسبباً للنزول له مدخلية اساسية في تحديد ما تتضمنه الآية من طبيعة للموضوع ومنهجية لعرضه وأسلوب لبيانه، كما أن له دوراً اساسياً في تأويل معاني الآيات ومداليلها، فأصحاب الشبهة من المستشرقين وربائبهم يتجاهلون هذه الحقيقة أو يجهلونها على اقل تقدير لو أحسنوا الظن بهم. وهكذا نميز بين المركوز لديهم عن الكتاب الاكاديمي المدرسي وبين القرآن الكريم باعتباره كتاب تربية ودعوة وحركة ارتبط بالزمان والمكان لدعوة الرسول ﷺ وحركته في المجتمع آنذاك.

٣- وعلى ضوء الحقيقتين الآتيتين، فمن الطبيعي ان تجد قصص الانبياء ﷺ والامم السالفة خاضعة لتلكما الحقيقتين، فالأطوار التي اشار لها المستشرق «سبرنجر» وامثاله في عرض ما يتعلق بالنبي ابراهيم ﷺ والنبي اسماعيل ﷺ ومكة المكرمة مرتبط بتلكما الحقيقتين، حيث يجمل تارة ويفصل اخرى، ويعرض الحقائق من زاوية معينة مرةً وبتفاصيل جديدة مرةً اخرى، وهكذا حسب مناسبات الموضوع وارتباطه بدعوة الرسول ﷺ وحركته التغيرية في الأمة آنذاك.

فلا غرابة ولا تردد ولا تناقض في آيات القرآن الكريم، بل الغرابة كلها فيما يخرصون.

٤- أمّا قول المستشرق «سنوك» تحت مادة «اسرائيل»: «ويظهر ان محمداً كان

(٢١) المصدر ٣: ١١١-١١٢.

(٢٢) النحل: ٧٢.

اول الأمر يعتبر يعقوب ابناً لابراهيم فعندما رُفَّت البشرى لسارة يقول:  
﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>٢١</sup>، فمرّده الى قصور هؤلاء  
المستشرقين عن فهم لغة القرآن العربية فعلى كل الأقوال اللغوية في هذه الآية  
يكون التقدير هو: «فبشرناها باسحاق ويعقوب من وراء اسحاق» وقد فهم  
المفسرون من مجيء هذه الجملة في هذا الموضع انها كانت لبيان أن ابراهيم  
سيبقى عقبه فهو سيولد له ويولد لولده أيضاً بدليل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ  
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَخَفَدَ...﴾<sup>٢٢</sup>. وهكذا نجد أن  
هذه الآية توافق جميع الآيات التي تنقل لنا هذه الحقيقة. كما ويرد على قولهم  
ان محمداً ﷺ كان اول الأمر يعتبر يعقوب ابناً لابراهيم في الآيات المكية، في  
حين ان الآيات المكية التي ذكرت هذا الامر بما فيها الآية اعلاه - والتي أوضحنا  
مدلولها - على خلاف ذلك المدعى. فالآية «٦» من سورة يوسف المكية جاء في  
آخرها: ﴿... وَبِئْسَ نَفِثَةٌ غَلِيظٌ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَتْهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهي بيان بأن يعقوب بن اسحاق وحفيد  
ابراهيم، وايضاً في الآية «٣٩» من سورة ابراهيم المكية ورد: «الحمد لله الذي وهب  
لي على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربي لسميع الدعاء» ولم يقل اسماعيل  
واسحاق ويعقوب، وفي مسألة البشرى لسارة انه ورد في الآية «٢٨» من سورة  
الذاريات المكية ذكر لولد واحد فقط: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ  
وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾. فأين التردد وأين التناقض في آيات القرآن الكريم، فما لكم  
كيف تحكمون؟.

٥ - وقول «بول Fr. Buhl»: «ان قصتي صالح وهود تناقضان الدعوة المألوفة  
التي أتى بها محمد في سور العهد المكي من حيث انه قال انه لم يرسل من قبله نبي  
الى العرب... الى آخره» فهي كسابقاتها تمحل غريب، وذلك لما يأتي:

أ - ان الآيات\* التي استدل بها «بول» هذا هي: الآية «٤٦» من سورة القصص  
التي جاء فيها: ﴿يُنذِرُ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾، والآية «٢» من سورة  
السجدة التي جاء فيها: ﴿يُنذِرُ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ...﴾، والآية «٤٣» من  
سورة سبأ والتي جاء فيها: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَنْذِرُ سَوْنَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ

(\*) بعض أرقام الآيات التي  
جاءت في دائرة المعارف  
الاسلامية فيها اختلاف بمقدار  
رقم واحد - ناقص - عما هو  
في ترقيم الآيات المعروف في  
القرآن الكريم، وما كان خلافاً  
ذلك نشير اليه، فالمفروض  
ملاحظة ذلك، لاننا نقل النص  
كما هو في الأصل.

قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ»، والآية «٥» من سورة يس التي جاء فيها: ﴿لِيُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ  
أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾، حيث إن الكاتب قد استدل بها على عدم ارسال الرسل وبعث  
الانبياء قبل الرسول محمد ﷺ إلى العرب، وبهذا ادعى اكتشاف تناقض بين هذه  
الآيات والآيات التي اوردت قصتي صالح وهود، وانهما نبيان أرسلتا إلى عاد وثمود  
وهما من العرب.

وجواب ذلك واضح لمن يتأمل في الآيات الأولى، حيث انها لم تقصد بالقوم  
«العرب» عمومهم منذ البدء وإلى عصر دعوة محمد ﷺ إنما كانت تقصد ذلك الجيل  
الذي يستوعب قوم العرب المعاصرين لنبوة محمد ﷺ وآبائهم القريبين، وهذا هو  
الواقع حقاً، حيث انقطع الوحي الالهي فترة من الزمن، ولم يُرسل رسول لهم او يظهر  
نبي بينهم، فلا تناقض بين الآيات الاولى والثانية.

ب - قول «بول Fr. Buhl» في دعواه هذه ان عدم ارسال الرسل وبعث الانبياء  
للعرب مألوف في سور العهد المكي، والواقع خلاف ذلك فهناك آيات مكية تصرّح  
ببعث الانبياء وإرسال الرسل إلى العرب وكل الاقوام والامم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا  
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>٢٢</sup>، ومنها الآيات المكية  
التي تحدثت عن قصتي النبيين صالح وهود ﷺ، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ  
أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ  
نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ  
الْيَمِّ...﴾<sup>٢٤</sup>.

(٢٣) فاطر: ٢٤.

(٢٤) الاعراف: ٧٣ وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثَمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ  
مُجِيبٌ...﴾<sup>٢٥</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ  
إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ...﴾<sup>٢٦</sup>، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ  
أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَّا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا...﴾<sup>٢٧</sup>، وقوله  
تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ...﴾<sup>٢٨</sup>، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ...﴾<sup>٢٩</sup>  
والمثير للاستغراب ان «بول» نفسه قال: «وقد وردت قصتا هذين النبيين في أقدم  
السور المكية، مثل سورة النجم الآية «٥١» وما بعدها، وسورة البروج الآية «١٧»

(٢٥) هود: ٦١ وما بعدها.

(٢٦) هود: ٥٠ وما بعدها.

(٢٧) الشعراء: ١٤١ - ١٤٤ وما بعدها.

(٢٨) القمر: ٢٣ وما بعدها.

(٢٩) الحاقة: ٤ وما بعدها.

وما بعدها، وسورة الفجر الآية «٨»، وسورة الشمس الآية «١١» وما بعدها، كما ترد كثيراً في السور التي تليها»<sup>٣٠</sup>. ثم أليست هذه الآيات قيوداً صريحة تشير إلى إرسال الرسل وبعث الانبياء للعرب لتتفي بذلك العموم المدعى وتخصصه بما قلناه أولاً من أنه ينحصر بالمعاصرين والآباء القريبين؟ فمن الذي وقع في التناقض؟ هل هو القرآن الكريم؟ وقد أثبتنا بوضوح عدمه، أم هو «بول» واضرابه من المستشرقين من الذين تكلفوا العلم وتمثلوا دعوى المعرفة وما هم إلا جهلون؟

٦- قول «نولدكه Nöldeke Sc. hwally» تحت مادة «اصول»: «وكان هم المفسرين التخلّص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن». وقوله أيضاً: «والتي تصوّر لنا تدرّج محمد في نبوته» إلى آخر مقولته في دعوى تناقض آيات القرآن الكريم، وفيه:

أ- أن «نولدكه» هذا ونظائره ونتيجة قصورهم عن فهم كثير من مسائل علوم القرآن ومنها مسألة الناسخ والمنسوخ هي التي دفعتهم لادعاء وجود تناقض في آيات القرآن الكريم دون تأمل ورجوع إلى المتخصصين في علم تفسير القرآن الكريم، بل ذهبوا كثيراً في الافتراء والتهمة عند صياغتهم لهذا الادعاء باتهامهم المفسرين المتأخرين بأن همّهم كان التخلّص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن!! وكأن هذه التناقضات حقيقة واقعة لا مفرّ منها!! وعليه فلا بد لنا من ايضاح مختصر لحقيقة النسخ في القرآن الكريم.

### النسخ في القرآن الكريم:

النسخ لغة: النقل والإزالة والإبطال، وأنسب المعاني اللغوية التي تنسجم مع فكرة النسخ هي الإزالة لقول أهل اللغة: نسخ الشيب الشباب إذا أزاله وحلّ محله<sup>٣١</sup>. ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾<sup>٣٢</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَنحُو إِلَهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>٣٣</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً نَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>٣٤</sup>.

والذي ينسجم مع المحو والتبديل الوارد في هذه الآيات الكريمة هو معنى الإزالة. اما اصطلاحاً فقد عرّفه السيد الخوئي<sup>رحمته</sup> بأنه: «رفع أمر ثابت في الشريعة

(٣١) لسان العرب ٤: ٢٨ ط بولاق.

(٣٢) البقرة: ١٠٦.

(٣٣) الرعد: ٢٩.

(٣٤) النحل: ١٠١.

(٢٥) البيان: ٢٧٧ - ٢٧٨ السيد  
الخوانساري

المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الامر المرتفع من الاحكام التكليفية - كالوجوب والحرمة - أم من الاحكام الوضعية كالصحة والبطالان. وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الامور التي ترجع الى الله تعالى بما انه شارع»<sup>٢٥</sup>. وهذا التعريف يخرج من النسخ كل صور المخالفة في الظهور اللفظي بين الآيات سواء أكانت على نحو العموم والخصوص من وجه أو العموم المطلق، أو كانت إحداها مطلقة والاخرى مقتدة، والتي تقوم بدور تفسير بعضها البعض الآخر. وقد كان المفسرون المتقدمون يدخلونها تحت عنوان النسخ مجازاً. وبيان جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً هو ان العقلاء من المسلمين وغيرهم اثبتوا جواز النسخ عقلاً، وخالفهم في ذلك بعض اليهود والنصارى محاولة منهم للطعن بالإلهية الدين الاسلامي، وتمسكاً بدوام الديانتين اليهودية والمسيحية، والشبهة التي يدّعيها المستشرق «نولدكه» وأمثاله تتأسس على نفس الرؤية والشبهة التي طرحها ذلك البعض من اليهود والنصارى، وجامع صياغتهم للشبهة هو قولهم إن التناقض في القرآن ثابت لعدم جواز النسخ عقلاً وعدم وقوعه شرعاً. فعدم جوازه عقلاً قائم على أساس استلزامه أحد أمرين باطلين: الاول البداء المستلزم للجهل والنقص، والثاني العيب. لأن النسخ إما ان يكون بسبب حكمة ظهرت للناسخ بعد أن كانت خفية لديه، أو ان يكون لغير مصلحة وحكمة. وكلا هذين الأمرين باطل بالنسبة الى الله سبحانه، ذلك أن تشريع الحكم من الحكيم المطلق وهو الله سبحانه لا بد وان يكون بسبب مصلحة يستهدفها ذلك الحكم فتقتضي تشريعه، حيث إن تشريع الحكم بشكل جزافي يتنافى وحكمة الشارع، وحينئذ فرفع هذا الحكم الثابت لموضوعه بسبب المصلحة إما ان يكون مع بقاء حاله على ما هو عليه من وجه المصلحة وعلم ناسخه بها، وهذا ينافي حكمة الجاعل وهو العيب نفسه، وإما ان يكون من جهة جهله بواقع المصلحة والحكمة وانكشاف الخلاف لديه على ما هو الغالب في الاحكام والقوانين الوضعية، وعلى كلا الفرضين يكون وقوع النسخ في الشريعة محالاً لأنه يستلزم المحال، أما الجهل أو العيب وهما محال على الله سبحانه لأنهما نقص ولا يتصف بهما.

وفي الجواب عن هذه الشبهة لا بد لنا من بيان مقدمة وهي أن الحكم المجعول



من قبل الشارع ينقسم إلى قسمين:

**الأول - الحكم المجعول الذي لا يكون وراءه بعث وزجر حقيقيّان، كالأوامر والنواهي التي تُجعل ويقصد بها الامتحان ودرجة الاستجابة. وهذا ما نسمّيه بالحكم الامتحاني.**

**الثاني - الحكم المجعول الذي يكون بداعٍ حقيقي من البعث والزجر حيث يقصد منه تحقيق متعلّقه بحسب الخارج، وهذا ما نسميه بالحكم الحقيقي. ونجد من السهل الالتزام بالنسخ في القسم الاول من الحكم، إذ لا مانع من رفع هذا الحكم بعد إثباته بعد أن كانت الحكمة في نفس إتيانه ورفعها، لأن دوره ينتهي بالامتحان نفسه، فيرتفع حين ينتهي الامتحان ولحصول فائدته وغرضه. والنسخ في هذا النوع من الحكم لا يلزم منه العبث ولا ينشأ منه الجهل والنقص الذي يستحيل في حقه تعالى.**

وأما القسم الثاني من الحكم فإننا يمكن أن نلتزم بالنسخ فيه دون أن يستلزم ذلك شيئاً من الجهل أو العبث، حيث يمكن أن نضيف فرضاً ثالثاً إلى الفرضين اللذين ذكرتهما الشبهة. وهذا الفرض هو أن يكون النسخ لحكمة كانت معلومة لله سبحانه من أول الامر ولم تكن خافية عليه، وإن كانت مجهولة عند الناس غير معلومة لديهم، فلا يكون هناك بداء بالمعنى الذي يستلزم الجهل والنقص لأنه ليس في النسخ من جديد على الله لعلمه سبحانه بالحكمة مسبقاً، كما انه لا يكون عبثاً لوجود الحكمة في متعلّق الحكم الناسخ وزوالها في متعلّق الحكم المنسوخ، وليس هناك ما يشكل عقبة في طريق تعقّل النسخ هذا إلا الوهم الذي يأبى تصور ارتباط مصلحة الحكم بزمان معين بحيث تنتهي عنده، وإلا الوهم الذي يرى في كتمان هذا الزمان المعين عن الناس جهلاً من الله بذلك الزمان. وهذا الوهم يزول حين نلاحظ بعض النظائر الاجتماعية التي نرى فيها شيئاً اعتيادياً ليس فيه من المحال أثر ولا من العبث والجهل.

فالطبيب حين يعالج مريضاً ويرى أن مرحلة من مراحل المرض التي يجتازها المريض يصلح لها دواء معين فيصف له هذا الدواء لمدة معينة ثم يستبدله بدواء آخر يصلح لمرحلة أخرى لا يوصف عمله بالعبث والجهل، مع أنه قام بوضع أحكام معينة لهذا المريض في زمان محدود ثم رفعها عنه بعد مدة من الزمن. وحين وضع

الحكم كانت هناك مصلحة تقتضيه، كما أنه حين رفع الحكم كانت هناك مصلحة تقتضي هذا الرفع، وهو في كل من الحالين كان يعلم المدة التي يستمر بها الحكم والحكمة التي تقتضي رفعه. ونظير هذا يمكن أن نتصوره في النسخ، فإن الله سبحانه حين وضع الحكم المنسوخ وضعه من أجل مصلحة تقتضيه، وهو سبحانه يعلم الزمان الذي سوف ينتهي فيه الحكم، وتتحقق المصلحة التي من أجلها شرع، كما أنه حين يستبدل الحكم المنسوخ بالحكم الناسخ يستبدله من أجل مصلحة معينة تقتضيه، فكل من وضع الحكم ورفع كان من أجل حكمة هي معلومة عند جعل الحكم المنسوخ. فليس هناك جهل، كما أنه ليس هناك عبث لتوقر عنصر العلم والحكمة في الجعل والرفع.

نعم هناك جهل الناس بواقع جعل الحكم المنسوخ، حيث كان يبدو استمرار الحكم نتيجة للاطلاق في البيان الذي وضع الحكم فيه، ولكن النسخ إنما يكون كشفاً عن هذا الواقع الذي كان معلوماً لله سبحانه من أول الأمر. أما وقوع النسخ شرعاً فإنه يتحقق في موارد عديدة سواء في الشريعة الموسوية أو الشريعة المسيحية أو الشريعة الإسلامية. فقد جاءت نصوص في التوراة والانجيل وفي الشريعة الإسلامية تتضمن النسخ ورفع ما هو ثابت في نفس الشريعة أو في غيرها من الشرائع السابقة، منها:

أ - تحريم اليهود العمل الدنيوي يوم السبت مع الاعتراف بأن هذا الحكم لم يكن ثابتاً في الشرائع السابقة، وإنما كان يجوز العمل في يوم السبت كغيره من أيام الأسبوع<sup>٣٦</sup>.

ب - أمر الله سبحانه بني إسرائيل قتل انفسم بعد عبادتهم العجل ثم رفعه لهذا الحكم عنهم بعد ذلك<sup>٣٧</sup>.

ج - الأمر ببده الخدمة في خيمة الاجتماع في سن الثلاثين ثم رفع هذا الحكم وإيداله بسن خمس وعشرين سنة ثم رفعه بعد ذلك وإيداله بسن العشرين<sup>٣٨</sup>.

د - النهي عن الحلف بالله في الشريعة المسيحية مع ثبوته في الشريعة الموسوية والالزام بما التزم به في النذر أو اليمين<sup>٣٩</sup>.

هـ - الامر بالقصاص في الشريعة الموسوية<sup>٤٠</sup>. ثم نسخ هذا الحكم في الشريعة

(٣٦) انظر سفر الخروج ١٦

٢٥ - ٢٦ و ٢٠ / ٨ - ١٢ و ٢٣

١٢ و ١٢ / ١٦ - ١٧ و ٣٥ / ١ - ٣

وسفر اللاويين ٢٣ / ١ - ٣

وسفر التثنية ١٢ / ٥ - ١٥

(٣٧) سفر الخروج ٢٢ / ٢١ - ٢٩

(٣٨) سفر العدد ٤ / ٢ - ٣ و ٨

٢٣ - ٢٤ وسفر أخبار الأيام

الاول ٢٣ / ٢٤ و ٣٢

(٣٩) سفر العدد ٣٠ / ٢ - انجيل

متى ٥ / ٣٣ - ٣٤

(٤٠) سفر الخروج ٢١ / ٢٣ - ٢٥

المسيحية ونهي عن القصاص<sup>٤١</sup>.

و - تحليل الطلاق في الشريعة الموسوية<sup>٤٢</sup>. ونسخ هذا الحكم في الشريعة المسيحية<sup>٤٣</sup>.

أما النسخ في الشريعة الإسلامية فهو أمر ثابت لا يكاد يشك فيه أحد من علماء المسلمين سواء في ذلك ما كان نسخاً لأحكام الشرائع السابقة أو ما كان نسخاً لبعض احكام الشريعة الإسلامية نفسها. ومن هذا النسخ ما صرح به القرآن الكريم كنسخه حكم التوجه في الصلاة الى القبلة الاولى «المسجد الأقصى»، القبلة الثانية في الشريعة الموسوية، وأمره بالتوجه شطر المسجد الحرام\*.

ب - ان قول «نولده» في تفسير المتناقضات التي يدعي ورودها في القرآن من أنها تصوّر لئاندرج محمد في نبوته، تشويه فاضح يفتقر الى المنطق السليم والموضوعية العلمية ويكشف عن روح التحامل، إذ انه لا يستفرغ الوسع في البحث العلمي عن الحقائق، انما يطويه سريعاً لينتقل الى ما يحكيه اليه ميله من تفسير وتعليل فيغمز في نبوة محمد ابتداءً ويصورها على انها كانت متدرجة، بدليل ان الآيات القرآنية بدأت متناقضة لان نبوة محمد بدواً لم تتحقق، وهكذا يترك قارئه في دوامة الشك والتردد. وقد أوضحنا في الفقرة السابقة ما هو ثابت من حقيقة النسخ في القرآن الكريم كما هو في الشرائع السماوية السابقة، وما هي المصلحة فيه، فلا متناقضات في القرآن، وبالتالي تبطل شبهة «نولده» واحتمالاته في تدرج نبوة محمد ﷺ.

٧ - قولهم تحت مادة «عقيدة محمد في الله»، بعد كلام لهم في تعريف محمد ﷺ لصفات الله سبحانه: «... وهي تعيننا [الصفات] كثيراً في فهم وتحديد عبارات محمد المبعثرة المتناقضة»، هي صورة جديدة من صور دعوى التناقض في القرآن الكريم غير تلك التي تناولنا الجواب عنها في مسألة النسخ في القرآن، وفي الرد عليهم نقول: أ - انكم لم تبتنوا لنا موارد التناقض في صفات الله الواردة في القرآن الكريم، فدعواكم هذه مجاملة وغامضة لا وضوح فيها.

ب - لو انكم قصدتم بالتناقض هو ما بين الصفات الكمالية المتقابلة معني لله سبحانه كالغفور الرحيم والمنتقم شديد العقاب، فجوابه، انكم أولاً: يجب ان تحيطوا

(٤١) انجيل متى ٥ / ١٣٨.

(٤٢) سفر التثنية ١٤ / ١ - ٣.

(٤٣) انجيل متى ٥ / ٣١ - ٣٢.

وانجيل مرقس ١١ / ١٠ - ١٢.

(\*) لمزيد من التفصيل: راجع

علوم القرآن للسيد محمد باقر

الحكيم، والتمهيد في علوم

القرآن للشيخ محمد هادي

معرفة.

بحقيقة عقيدة التوحيد والعدل الإلهي التي ارشد اليها القرآن الكريم في آيات الارشاد العقائدي والتي تعتبر صفات الله الكمالية عين ذاته لا شيئاً خارجاً عنها موصوفاً سبحانه وتعالى بها ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>٤٤</sup>، فيها تتجلى معرفة الكمال المطلق الذي يسعى الانسان للتكامل في طريقه المستقيم. وثانياً: إن هذه الصفات المتقابلة ليست متناقضة، لأنها تختلف باختلاف متعلقها، فالله سبحانه وتعالى غفورٌ رحيمٌ لمن اقتضى لطفه وحكمته رحمته والمغفرة له، وهو منتقم شديد العقاب لمن اقتضى عدله وحكمته الانتقام منه وتشديد العقاب عليه، وهكذا شأن الصفات الكمالية الأخرى. فلا تناقض فيها ولا غموض ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>٤٥</sup>.

(٤٤) الانعام: ١٠٠.

(٤٥) الصافات: ١٨٠ - ١٨٢.

٨- قول «كارادي فو B. Carrade Vaux» تحت مادة «جهنم»: «الظاهر ان القرآن قد تردد بعض التردد في مسألة خلود العذاب في جهنم، فالآيات التي تشير الى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق، ولعل هذا التردد إنما يرجع الى ان النبي محمداً لم يكن من الفلاسفة المتفكرين... الخ» فيه ما يلي:

أ - ان المقطع الاول الذي يشير الى دعوى تردد بعض آيات القرآن الكريم في مسألة خلود العذاب في جهنم جاء ناقصاً لا يتضمن دليلاً او مثلاً على التردد المدعى فهو قول جزافي لا قيمة علمية له.

ب - ان العذاب الإلهي في الآخرة له درجات تتناسب ومستوى الجريمة التي ارتكبها الانسان في الدنيا، فهي تتدرج من المعاصي والمفاسد على اختلاف خطرها وعظمتها، الى الشرك والكفر والطغيان جحوداً بالله وإنكاراً لألوهيته والاستكبار والعلو في الارض دونه سبحانه وتعالى.

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد الخلود والشدة في العذاب لدرجات القسم الثاني ودون ذلك في القسم الأول، وهنا يأتي دور تفسير بعض الآيات للبعض الآخر تخصيصاً لعمومها وتقييداً لاطلاقها إن كان هناك مخصص او مقيد لموردها، فيمتاز بعضها بالقول بالخلود في العذاب وبعضها الآخر بما دون ذلك، فلا تردد ولا تناقض عند اولي الالباب.

ج - ان تعليق «كارادي فو» دعواه بتردد القرآن في مسألة خلود العذاب في جهنم

بأنه يرجع إلى أن النبي محمداً لم يكن من الفلاسفة المتفكرين، فيه: أولاً: غمراً بنبوة محمد ﷺ وهذا ما أجلنا الحديث فيه إلى فصل مستقل إن شاء الله. وثانياً: لما قلنا سابقاً من أن القرآن الكريم ليس كتاباً مدرسياً ولا مؤلفاً أكاديمياً يعرض المسائل بطريقة تحليلية متسلسلة وبلغة مدرسية ومنهج أكاديمي مقرر، إنما هو كتاب دعوة وتربية للانسان والأمة وإرشاد وقيادة لحركة الرسول ﷺ الميدانية عند بعثته وطيلة حياته الرسالية وفهم القرآن واستنباط الحقائق والاحكام والتعليمات منه يحتاج إلى الإحاطة بجملة مقدمات وقواعد تسمى بعلم تفسير القرآن الكريم، الذي يتناول علوماً فرعية متعددة تحقق القدرة على التفسير والتأويل للقرآن، منها علوم اللغة وعلوم القرآن، وعلم الحديث، وأمثال ذلك، وإنما اضطررنا لهذه العلوم لابتعادنا عن زمن التنزيل، حيث أن وجود الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ كان يغني المسلمين آنذاك عن الإحاطة التفصيلية بهذه العلوم؛ فقد كان الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ تراجمة القرآن وعلماء حقائقه ودقائقه، ثم إن بلاغة القرآن وبيانه كانت واضحة لدى المسلمين في عصر الرسول ﷺ لتذوقهم الفطري لها، كما أن معاصرتهم للحوادث والوقائع التي تشكل شأن وأسباب النزول كانت تغنيهم عن البحث والاستقصاء عنها لمعرفة مدلول الآيات النازلة بشأنها، وهذا أمرٌ يدركه العقلاء ويلتزمون بلوازمه. فيبطل التعليل كما تبطل الدعوى.

٩- قول «فنسك» تحت مادة «الخمير»: «ولم يكن تحريم الخمر في برنامج النبي منذ البداية، بل نحن نجد في الآية ٦٧ من سورة النحل مدحاً في الخمر بوصفها آية من آيات الله للناس... الخ، بيد أن عواقب السكر قد ظهرت على الصورة التي بيّنا، فدفع ذلك النبي إلى أن يغير من اتجاهه»، فيه ما يلي:

أ- غمراً بنبوة محمد ﷺ وبصدق الوحي الإلهي له<sup>٦٦</sup>، وإلا فليس القرآن الكريم كلام النبي ﷺ ليبرمجه حسب رأيه، إنما هو كلام الله أنزله نجوماً على رسوله محمد ﷺ بواسطة الوحي حسب مقتضيات الحكمة الإلهية ومناسبات حركة الرسول ﷺ ودعوته للإسلام، فبرنامج التحريم للخمر - حسب قول «فنسك» - ليس إلا تدرجاً في طريقة ومستوى البيان للحكم الشرعي، من تقبيح وتحريم له مرةً وبيان لاشتماله على الاثم - وهو محرمٌ - أخرى، والزجر عن تناوله لحرمة ثالثة...

(٤٦) وجواب هذه الشبهة سنفرده بحثاً خاصاً به فيما بعد كما وعدنا.

ولا تعارض بين الآيات التي تناولت الخمر، فكلها تحزّمه بصيغ بيانية متنوعة اقتضتها تلك الحكمة الإلهية والمناسبات الواقعية، شأنها في ذلك شأن كثير من الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي تستلزم تدرّجاً زمنياً في طريقة ومستوى بيان الموقف الشرعي الكامل منها، وبالشكل الذي يتناسب وقابلية التلقّي الذهني والنفسي لمجتمع الدعوة والرسالة لهذا التشريع أو ذاك، ليتحقق الهدف الإلهي في إدراك الناس له وتحصيل الاستعداد للتسليم به، وهذه سنة الله في رسالاته وشرائعه للامم السالفة «كاليهودية والنصرانية» والتي ألمحنا لأمثلتها في بحث النسخ في القرآن الكريم في الفقرات السابقة من هذا البحث<sup>٤٧</sup>.

ب - أمّا قوله: «ان في الآية ٦٧ من سورة النحل مدحاً في الخمر بوصفها آية من آيات الله للناس...» فليس كذلك، ولعل السبب في سوء الفهم هذا هو روح التحامل على الاسلام من جهة - خصوصاً عند «فنسك» المعروف بذلك - وعدم الاحاطة باللغة العربية من جهة أخرى. فالآية الكريمة مكية وهي تخاطب المشركين وتجيّبهم في سياق الظواهر الطبيعية التي يعايشونها في حياتهم الاعتيادية، عن سؤالهم المقدر وهو: ما هي ثمرات انزال الماء من السماء؟ فكون اتخاذ المشركين السكر من ثمرات النخيل والاعناب لا يعني تحسينه لهم، خصوصاً وان الآية الكريمة تنسب السكر إليهم وانه من صنعهم، وليس هو إلا إشارة الى ثمرة طبيعية مألوفاً لديهم، بل هناك قرينة واضحة في الآية تدل على نوع من تقبيح السكر من جهة مقابلته بالرزق الحسن، فلو كان السكر حسناً لما ميّزته الآية الكريمة عن الرزق الحسن.

«يتبع»

(٤٧) هناك من يرى ان في الآيات التي تناولت الخمر ناسخاً ومنسوخاً، وعلى هذا الرأي يأتي كلامنا السابق في النسخ في القرآن الكريم وتنتفي بذلك دعوى فنسك. راجع الطبائباتي - تفسير الميزان ١٢: ٣٠٩ - ٢: ٣١٠. ٢٠٥ - ٢٠٦.



# مؤلف كتاب الآيات الشیطانية

شبهة ورد

\* سحاحة الشيخ

محمد علي التسخيري

تمارس وسائل الاعلام الاستكبارية في أميركا وأوروبا دوراً خبيثاً في محاولة حرف الرأي العام بما فيه رأي المسلمين في العالم وخصوصاً الغربي منه عن حقيقة ما انطوى عليه كتاب «الآيات الشيطانية»، وأمثاله من أهداف استكبارية خبيثة لمواجهة الصفحة الإسلامية في للعالم، منها في حليقة المخطط والمؤامرة الكامنة وراءه، ومنها في إجماع علماء الاسلام ومذاهبه على أن القتل هو الحكم الاسلامي في حق سلمان رشدي وأضرابه من المرتدين المأجورين للذين يتعرضون بالاساءة لمقدسات الاسلام ورموزه الكريمة وهم الرسول وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

ويتناول هذا المقال الخلفية الاستكبارية لهذه الهجمة الشرسة على المقدسات الإسلامية، وبيان الحكم الاسلامي بشأن المرتدين، وإثباته من المصادر الإسلامية بما لا يدع مجالاً للتقؤل والنقض.

«التحرير»

من هو سلمان رشدي؟

انه كاتب هندي الأصل، ولد عام ١٩٤٧ في عائلة مسلمة في مدينة بمبي، ورحل إلى انكلترا ودرس في جامعاتها، وهو الآن عضو في مؤسسة انتاج الأفلام البريطانية، وعضو مشاور في منظمة الفنون الحديثة، وعضو الجمعية الملكية الأدبية البريطانية، وله كتب، منها كتاب (الحياة)، وهذا الكتاب الذي

نركز عليه وهو كتاب (آيات الشيطانية).

### حقيقة الكتاب:

والملاحظ بكل دقة ان هذا الكتاب صيغ صياغة أدبية محكمة على شكل رواية خيالية، تبدأ من حادثة طائرة وتنتهي إلى أنماط من الحوار الوهمي. وقد حاول الكاتب فيه أن يدس الكثير من الخرافات والطقن، وينسب الكثير من الرذائل لأقدس الشخصيات الدينية، بدءاً من جبرئيل الأمين واسماعيل، وانتهاءً بشخصية الرسول الكريم ﷺ وزوجاته الطاهرات وأصحابه المنتجبين، ناسباً لهم الكذب والزور والقبايح، وناعتاً إياهم بشتى النعوت القبيحة. ومشتبهاً صدر الاسلام بمواخير الدعارة الغربية!! والعياذ بالله، ومركزاً على أسماء الرسول وزوجاته وأصحابه كل تركيز، ومستتهيناً بكل آيات القرآن الكريم، ساخرين من العبادات الاسلامية ومستتهيناً محزناً للأحكام الاسلامية، وهو بالتالي يعمل على إعطاء صورة كالحة رذيلة لأعظم سيرة إنسانية مقدسة، وذلك هدف صهيوني لثيم، يسعى أعداء الاسلام لتركيزه عبر هذه الصورة الرذيلة.

### أبعاد المؤامرة الكافرة:

وتتجلى أبعاد هذه المؤامرة إذا لاحظنا:

- ١- الجهد الضخم الواسع الذي بذلته الأوساط الغربية والصهيونية لإعداد هذا الكتاب وترجمته إلى مختلف اللغات ونشره بسرعة في أقصى نقاط الأرض، والدعم المالي السخي الذي لاقاه من قبل الكثير من الرؤساء الكبار.
- ٢- الجوائز التي منحت له في الدول الغربية، ومنها اعتباره كتاب العام في بريطانيا لسنة ١٩٨٨م.
- ٣- الوقوف السياسي والإعلامي لدول المجموعة الأوروبية وكل المعسكر الغربي خلف هذا الكتاب، وعدم استماعها لكل أنماط الاحتجاج ضده، واتخاذ شتى الإجراءات البوليسية والسياسية والإعلامية، والتهديد باتخاذ الإجراءات القضائية والاقتصادية ضد كل من يُدين هذا الكتاب ويعلم حكم الله تعالى فيه.



٤ - تجنيد العشرات من دور النشر والكتّاب للعمل على الدفاع عن الكاتب تحت شعار (حرية الرأي) وإدانة كل ما يقال حوله.  
ولنلاحظ ما كتبه هذا المجرم في الفصل السادس من كتابه الشيطاني بما خلاصته ما يلي:

#### خلاصة الفصل السادس من كتاب «الآيات الشيطانية»:

لقد سعى المرتد المجرم سلمان رشدي لتشويه الاسلام والطعن بمقدساته من خلال روايته القدرة الشيطانية «الآيات الشيطانية» وتعرض فيها لكل المقدسات، وانتهك فيها جميع الحرمات، ولم يستثن باستهاتته وسخريته أحداً من رموز الاسلام وحرماته، بدءاً بالرسول العظيم والملائكة الكرام، ومروراً بالكتب السماوية الخالدة، وانتهاءً بزوجات الرسول امهات المؤمنين، وأصحابه الميامين.

لقد تعرض هذا المرتد إلى الرسول الأكرم بالخصوص، وإلى زوجاته وأصحابه بالسب الفاحش والكلام الجارح البذيء، الذي يأنف منه صاحب أدنى خلق، وركز على ان القرآن الكريم ليس كتاباً سماوياً ووحياً إلهياً، بل هو من مختلقات النبي، وقد عمل أحد أصحابه، الذي هو سلمان الفارسي، على تحريفه، وكل ذلك كان بمسمع ومرأى من النبي، كما هو صريح في روايته التافهة.

إن كل هذه السفسطات الخبيثة والايحاءات الشيطانية الماكرة، التي أوحى بها إبليس وأعوانه إلى صنيعتهم «رشدي» يمكن ملاحظتها في هذا الفصل من كتابه - والذي هو الفصل السادس - ونحن إنما نشير إلى بعضها بالإيجاز ليكون القارئ على علم بالمستوى المنحط والمكانة المتردية التي وصل إليها هذا المسخ المتطفل على الكتابة، والمنتسب إلى الكتاب لا عن قدرة ومعرفة حقّة، وإنما لأنه يخدم مصالح الاستكبار، ويوقر عليه عناء الكثير من السبل والوسائل الحاقدة التي يستخدمها في حربه الشعواء ضد الاسلام وكيانه المقدس، وكذلك خدمة للصليبية والصهيونية، العدوان اللدودان للذان وحدتهما مواجهة الاسلام، والذان يقدم لهما المرتد خدماته خانعاً ذليلاً.

يبتدئ المرتد الفصل بذكر مكة المكرمة، التي يسمّيها «المدينة الجاهلية» ثم

يتطرق إلى طبيعة الحياة فيها، مدّعياً أن أحد تجارها ويدعى «ماهوند» \* قد ادّعى النبوة، وأنه قام بتأسيس دين جديد له في تلك المدينة.

ثم يتطرق إلى العلاقة بين الرسول الاكرم ﷺ وبين أحد أصحابه الأجلاء وهو «سلمان الفارسي» رضي الله عنه واصفاً تلك العلاقة بأنها علاقة مزيقة، نابعة عن خبث طوية عند سلمان، وعن لا مبالاة وعدم اكثرات عند الرسول. واصفاً سلمان بأنه كان سكيراً معاقراً للخمرة، وكان يتعاطاها بكثرة في جميع أوقاته.

ويتطرق الى علاقة أخرى بين سلمان وبين شاعر يختلقه المرتد ويسميه «بعل» الذي كان على غرار سلمان في الفسق والفجور وتعاطي الخمرة. وأن سلمان قد تعرف على «بعل» بعد ان التقاه في المدينة الجاهلية، وتتوطد العلاقة بينهما، فيتحدث «سلمان» لصديقه الموهوم عن علاقته بماهوند، وكيف أنه جعله من كتاب وحيه، الذي يعبر عنه المرتد بالقوانين التي يفرضها ماهوند.

ولا يكتفي المجرم بذلك، بل يدّعي ان سلمان كان يعمل على تحريف ما يلقيه إليه الرسول من آيات توحى إليه، فكان سلمان يكتبها بالشكل الذي يريده، ويستمر «سلمان» بعمله هذا في التحريف، والادّعي من ذلك أن الكاتب يستغفل نفسه، حينما يحاول استغفال الآخرين، مدّعياً ان الرسول كان على علم بالتحريفات التي كان يجريها سلمان على قوانينه، ولكنه كان يتغافل عن ذلك، بل قد يضحك بعض المرات.

ويحدث سلمان نفسه، وقد ساورته الشكوك حول الرسول وما يوحى إليه، إذ كيف يمكن لرسول أن يقبل بتحريف رسالته؟ وكيف يمكن أن يكون كلام «سلمان» المتواضع وغير العربي وغير الفصيح لا يتميز عن الوحي الالهي والكلام السماوي؟ بهذه العبارات الاستنكارية، يحاول المرتد أن يحقق ما يصبو إليه من استهانة بهذا الصحابي الجليل وبغيره. وبهذه السماجة والسذاجة يحاول أن يوحى بأن القرآن ليس إلا كلاماً انسانياً محرّفاً ومزيفاً، وما هو بالوحي الالهي.

ثم يتطرق المجرم إلى شخصية الرسول الاكرم ﷺ عن طريق آخر، ليسيء إليها، وليدّس قدسيّتها وهيئات وأثى له ذلك؟

يدّعي المجرم أن الرسول الاكرم ﷺ لم يكن غير رجل غارق في الشهوة

(\*) ماهوند: اسم كان يطلقه الصليبيون في القرون الوسطى، وخلال الحملات الصليبية ضد بلاد المسلمين، على الرسول الاكرم ﷺ استهزاء به وسخرية منه، وحقاً لشأنه وقدره، وقد استخدم المجرم المرتد هذا الاسم للاستهانة بقدسية الرسول ﷺ، حيث إن «ماهوند» يعني ابليس أو الشيطان في مصطلحهم.

والجنس، من خلال علاقته مع النساء، التي تتعدى الامهات إلى البنات، وأنه كان متسلطاً جباراً في بيوته، وكان لا يرغب في أن تناقشه زوجاته، وأنه كان غالباً ما يلتقي بالمرأة التي يرغب، وقد عملت النساء على ابيضاض نصف لحيته خلال سنة، وينفي أن يكون الرسول ﷺ نبياً رسولاً، بل يدعي أنه ملك متفطرس يفرض القوانين الظالمة والصارمة على أتباعه، ويكره نساءه على طاعته والاذعان له من خلال تلك القوانين التي يستنها ويشترعها، وكذلك فقد كان يريد من أتباعه أن يكونوا عبيداً له طائعين، يحنون رؤوسهم له خضوعاً وإذعاناً واستسلاماً.

ويتطرق في موضع آخر إلى بعض الصحابة، محاولاً الحط من شأنهم والتعرض لهم بأقذر الألفاظ، كما يتبين ذلك من تعبيره عن ثلاثة من الصحابة يذكرهم بأسمائهم هم «سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وخالد بن الوليد» واصفاً إياهم بأنهم يشكلون مثلثاً من الوساخة والقيء.

بعدها يصل الأمر إلى زوجات النبي ﷺ، فيبتدئ قصة جديدة، هي قصة: «بعل والحجاب». وبعل هذا هو الشاعر المخلتق الذي جعل المرتد له علاقة مع سلمان، والحجاب اسم لأشهر بيوت الدعارة في المدينة الجاهلية. وأنه كان يُدار من قبل امرأة فاجرة تدعى «سيدة الحجاب» التي كان صوتها يمتزج بالكفر ويقابل صوت «ماهوند» المقدس المحترم. كما هو تعبير المرتد الذليل.

لقد كان هذا الحجاب يضم بين جدرانها فتيات فاجرات، حاول المجرم أن يجعل منهن نماذج لزوجات النبي ﷺ، وأن يجعل من «بعل» شخصية مقابلة لشخصية الرسول الطاهرة، مفترضاً أن عدد فتيات الحجاب هو نفس عدد زوجات النبي، مقارناً بين كبراهن وبين أم المؤمنين خديجة الكبرى سلام الله عليها، وأوكل اليهن دور تمثيل زوجات النبي، حتى لقد غرقت هؤلاء الفتيات في أدوارهن بحيث نسين شخصياتهن السابقة وأصبحن يمثلن زوجات الرسول الذي يمثل «بعل» الشاعر الفاجر.

وعندما عرف «ماهوند» أن فاجرات الحجاب قد أطلقن على أنفسهن أسماء زوجاته، أمر بإغلاق كافة مراكز الرذيلة، واعتقال تلك النساء، وتنتحر «سيدة الحجاب» ويلقى القبض على الفاجرات الاثنتي عشرة كافة، ومعهن «بعل»، وتوضع

الفاجرات في كيس، ثم يرمجن بالحجارة، ويأتون ببعل إلى الرسول فيأمر بضرب عنقه، وعندما خرج الجنود به لضرب عنقه هتف: «ماهوند، الفاجرات والكتاب أناس لا تتمكن من الصفح عنهم» فرد عليه ماهوند: «أنا لا أرى فرقاً بين الكتاب والفاجرات».

وهذه العبارة الاخيرة يشير من خلالها المرتد إلى أن الرسول أصبح يعتقد ان لا فرق بين «سلمان» وبين اولئك الفاجرات، فكما عملت الفاجرات على تشويه سمعة زوجاته، فقد عمل سلمان على تحريف قوانينه ورسالته.

### رد الفعل الاسلامي:

أصدر الامام الخميني رحمة الله عليه حكمه بإعدام سلمان رشدي مؤلف كتاب (الآيات الشيطانية) فترك ذلك أصداء واسعة على المستوى العالمي. وقد لوحظ ان الكفر العالمي وقف صفاً واحداً خلف هذا الكتاب الذي يدعي صاحبه الاسلام، والاسلام منه بريء، ورأينا كيف أقدمت الدول الغربية على بعض الخطوات الدبلوماسية تضامناً مع الكتاب ومؤلفه، وأعلنت الصهيونية تأييدها له. وقد حاول الاستعمار العالمي أن يجد هنا وهناك بعض الأصوات العميلة أو المدخوعة التي تؤيده - والعياذ بالله - في موقفه المعادي للاسلام ولشخصية الرسول الأكرم الطاهرة عليه الصلاة والسلام.

ومن هنا، فقد رأينا من الواجب أن نذكر بكل اختصار بعضاً من النصوص الاسلامية ليطلع الجميع على الاصول الاسلامية لهذا الحكم الاسلامي الأصيل. من الملاحظ في كل كتب الحديث والفقه والسيرة، ان الاسلام يؤكد لزوم قتل المعتدي على شخصية الرسول، والشاتم والساب له، والمتمم له بالتهمة المنافية للأخلاق، فإذا كان هناك قذف في الكلام تعاضل أثره.

فكيف بنا ونحن نواجه هجوماً كافراً أعدته العتات من دور النشر الغربية، وهي تنشر هذا الكتاب الذي يتهم على شخصية الرسول وأزواجه وسيرته بشتى التهم الفظيعة التي يندى لها الجبين؟

القضية أعظم حتى من عملية سب فردي شخصي، فهي مؤامرة عالمية يقوم

بها الكفر العالمي وخلفه الصليبية والصهيونية العالمية لتشويه شخصية الرسول العظيم، وفيها من الاصرار الشيء الكثير.

وها نحن نذكر بعض ما ذكره العلماء القدامى والمحدثون والمؤرخون بهذا السبيل، وبكل اختصار، ليقف الباحثون عن الحقيقة على بعض ما قالوه في هذا المجال:

#### ١- أقوال فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

قال الشيخ الصدوق رحمته الله المتوفى سنة ٣٨١هـ في الهداية:

«ومن سب رسول الله ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام فقد حلّ دمه من ساعته»<sup>١</sup>.

(١) النبايع الفقهية ٢٣: ٢٠.

وقال أبو الصلاح الحلبي المتوفى سنة ٤٤٧هـ في الكافي في الفقه:

«ومن سب رسول الله ﷺ أو أحد الأئمة من آلِه أو بعض الانبياء عليهم السلام فعلى السلطان قتله، وإن قتله من سمعه من أهل الايمان لم يكن للسلطان سبيل عليه، وإن أضاف إلى بعضهم قبيحاً، جلد مغلفاً لحرمتهم عليهم السلام وثبوت عصمتهم». وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «لا أوتى برجل يزعم أن داود عشق امرأة «أوريا» إلا حددته حدّين، حدّاً للإسلام وحدّاً للنبوّة»<sup>٢</sup>.

(٢) المصدر نفسه ٢٣: ٧٤.

الكافي في الفقه ص ٤١٦.

وجاء في النهاية للشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ:

«ومن سب رسول الله ﷺ أو واحداً من الاثمة عليهم السلام صار دمه هدراً وحلّ لمن سمع ذلك منه قتله ما لم يخف في قتله على نفسه أو على غيره»<sup>٣</sup>.

(٣) المصدر نفسه ٢٣: ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه ٢٣: ١٦٩.

وقال القاضي ابن البراج المتوفى سنة ٤٨١هـ في المهذب:

«وإذا سب انسان النبي ﷺ أو واحداً من الاثمة عليهم السلام كان عليه القتل، وحلّ لمن سمعه قتله ان لم يخف على نفسه أو على غيره»<sup>٤</sup>.

(٥) راجع عباراتهم في النبايع الفقهية ٢٣:

٢٠٤ و ٢٩٣ و ٣٢٠ و ٣٩١.

والمقصود من الأئمة عليهم السلام

في كلماتهم هم خصوص

الائمة الاثني عشر من أهل

بيت النبي ﷺ كما هو

المصرّح به في بعض

العبارات.

وجاء في شرائع الإسلام للمحقّق الحليّ المتوفى سنة ٦٧٦هـ:

«من سب النبي ﷺ جاز لسامعه قتله ما لم يخف الضرر على نفسه أو ماله

أو غيره من أهل الإيمان، وكذا من سب أحد الأئمة عليه السلام»<sup>٦</sup>.

وقال في المختصر النافع:

«يقتل من سب النبي ﷺ وكذا من سب أحد الأئمة عليه السلام ويحلّ دمه لكل سامع

إذا أمن»<sup>٧</sup>.

وجاء في القواعد للعلامة الحلّي المتوفى سنة ٧٢٦هـ:

«ساب النبي ﷺ أو أحد الأئمة عليه السلام يقتل، ويحلّ لكل من سمعه قتله مع الأمن

عليه وعلى ماله وغيره من المؤمنين إلا مع الضرر»<sup>٨</sup>.

وجاء في كتاب اللعة الدمشقية وشرحه للشهيدين ما يلي:

«وساب النبي ﷺ أو أحد الأئمة عليه السلام يقتل ويجوز قتله لكل من اطلع عليه ولو

من غير إذن الامام أو الحاكم ما لم يخف القاتل على نفسه أو ماله أو على مؤمن»<sup>٩</sup>.

وجاء في جواهر الكلام للعلامة النجفي: «من سب النبي ﷺ جاز لسامعه بل

وجب قتله بلا خلاف أجده فيه بل الاجماع بقسميه عليه، الخ»<sup>١٠</sup>.

٢ - كلمات الفقهاء من سائر المذاهب الإسلامية الأخرى:

قال ابن قدامة في المغني:

«وقذف النبي ﷺ وقذف أمه ردة عن الاسلام، وخروج عن الملة، وكذلك

سبه بغير القذف»<sup>١١</sup>.

وجاء في كتاب الفتاوى الكبرى لابن تيمية الحرّاني المتوفى سنة ٧٢٨هـ:

«وعلى هذا المأخذ فقتلهم (أهل البدعة) من باب قتل المفسدين المحاربين

باللسان كالمحاربة باليد، ويشبه قتل المحاربين للسنة بالرأي قتل المحاربين لها

بالرواية، وهو قتل من يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ، كما قتل النبي ﷺ

الذي كذب عليه في حياته، وهو حديث جيد لما فيه من تغيير سنته، وقد قرّر أبو

العباس هذا مع نظائر له في الصارم المسلول كقتل الذي يتعرّض لحرمة أو سبه

ونحو ذلك»<sup>١٢</sup>.

ويقول أيضاً:

«المسألة الاولى أن من سب النبي ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله، هذا

مذهب عليه عامة أهل العلم.

(٦) المصدر نفسه ٢٣ : ٣٤١.

(٧) المصدر نفسه ٢٣ : ٣٦٧.

(٨) المصدر نفسه ٢٣ : ٤٦٦.

(٩) الروضة البهية في شرح  
اللغة الدمشقية ٩ : ١٩٤.

(١٠) جواهر الكلام ٤٦ : ٤٣٣.

(١١) ابن قدامة، المغني ١٠ : ٢٣١.

(١٢) الفتاوى الكبرى لابن  
تيمية الحرّاني ٤ : ٥١٥، ط:  
دار المعرفة، بيروت.

قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن حدَّ من سبَّ النبي ﷺ القتل...»<sup>١٣</sup>.

(١٣) ابن تيمية الحرّاني،  
الصارم المسلول على شاتم  
الرسول: ٥.

ويقول في موضع آخر من كتابه: «والحكم في سبِّ سائر الأنبياء كالحكم في سبِّ نبيّنا... ولا ريب أن جرم سابه أعظم من جرم ساب غيره، كما أن حرمة أعظم من حرمة غيره، وإن شاركة سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سابه كافر حلال الدم»<sup>١٤</sup>.

(١٤) المصدر السابق: ٧٠.

وقال القاضي أبو يعلى: «إنَّ سبَّ النبي ﷺ يتعلق به حقّان: حقُّ الله، وهو القذح في رسالته وكتابه ودينه، وحقُّ آدمي، فإنه أدخل المعرّة على النبي ﷺ بهذا السبِّ، والعقوبة إذا تعلّق فيها حقُّ الله وحقُّ من الآدمي لم تسقط بالتوبة، كالحدِّ في المحارب، فإنه يتعيّن قتله». (ص ٤٤٤) من الطبعة الأولى بمدينة حيدر آباد بالهند.

وجاء في كتاب الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام أحمد بن حنبل، تأليف علاء الدين ابي الحسن المرداوي الحنبلي:  
«وقيل: يتعيّن قتل من سبَّ النبي ﷺ».

قلت: وهذا هو الصواب، وجزم به في الارشاد، وابن البناء في الخصال، وصاحب المستوعب والمحزّر والنظم وغيرهم، واختاره القاضي في الخلاف، وذكر الشيخ تقي الدين أنّ هذا هو الصحيح من المذهب.  
قال الزركشي: يتعيّن قتله على المذهب وإن أسلم.

قال الشارح: وقال بعض أصحابنا فيمن سبَّ النبي ﷺ: يقتل بكل حال.  
ونذكر أنّ أحمد نصّ عليه»<sup>١٥</sup>.

(١٥) الانصاف ٤: ٢٥٧.

وجاء في كتاب حلية العلماء في معرفة مذاهب العلماء:  
«فإن ذكر الله عزّ وجلّ، أو ذكر كتاب الله أو رسوله، أو ذكر دينه بما لا ينبغي، فقد اختلف أصحابنا... ومن أصحابنا من قال: من سبَّ رسول الله ﷺ وجب قتله»<sup>١٦</sup>.

(١٦) حلية العلماء في معرفة  
مذاهب العلماء ٧: ٧١٢.

ويقول أبو البركات أحمد الدردير من فقهاء المالكية:  
«وان سبَّ مكلف نبيّاً أو ملكاً مجمّعاً على نبوته أو ملكيته أو عرض بواحد

منهما بأن قال عند ذكره: أما أنا أو فلان فلست بزأن أو ساحر أو لعنه أو عابه أي  
نسبه لعيب، أو قذفه أو استخف بحقه كأن قال: لا أبالي بأمره ولا نهيه، أو ولو  
جاءني ما قبلته، أو غير صفته كأسود أو قصير، أو الحق به نقصاً وإن في بدنه  
كأعور أو أعرج، أو خصلته (بفتح الخاء المعجمة) أي شيمته وطبيعته كبخيل أو  
غض أي نقص من مرتبته العلية، أو من وفور علمه أو زهده، أو أضاف له ما لا  
يجوز عليه كعدم التبليغ، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم... قُتل  
ولم يستتب (أي بلا طلب أو بلا قبول توبة منه) حدّاً إن تاب وإلا قتل  
كفرًا...» ١٧.

ونقل ابن حزم حديث محمد بن سهل، قال: «سمعت علي بن المديني يقول:  
دخلت على أمير المؤمنين، فقال لي: اتعرف حديثاً مسنداً فيمن سب النبي ﷺ  
فيقتل؟ قلت: نعم. فذكرت له حديث عبد الرزاق، عن معمر عن سماك بن الفضل، عن  
عروة بن محمد، عن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتم النبي ﷺ، فقال  
النبي ﷺ: من يكفيني عدواً لي؟ فقال خالد بن الوليد: أنا. فبعثه النبي ﷺ إليه  
فقتله...» ١٨.

(١٧) الشرح الكبير لأبي  
البركات أحمد الدردير، من  
فقهائ المالكية، وهذا الكتاب  
مطبوع في هامش كتاب  
حاشية الدسوقي على الشرح  
الكبير ٤: ٣٠٩.

(١٨) ابن حزم، المحلى ١١:  
٤١٣.

قال أبو محمد (ابن حزم): «هذا حديث مسند صحيح، وقد رواه علي بن  
المديني، عن عبد الرزاق كما ذكره، وهذا رجل من الصحابة معروف اسمه الذي  
سماه به أهله (رجل من بلقين) فصّح بهذا كفر من سب النبي ﷺ، وأنه عدو لله  
تعالى، وهو عليه السلام لا يعادي مسلماً. قال تعالى: ﴿المؤمنون بعضهم أولياء  
بعض﴾ فصّح بما ذكرنا أن كل من سب الله تعالى، أو استهزأ به، أو سب ملكاً من  
الملائكة، أو استهزأ به، أو سب نبياً من الأنبياء، أو استهزأ به، أو سب آية من آيات  
الله تعالى، أو استهزأ بها، والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى، فهو بذلك  
كافر مرتد له حكم المرتد، وبهذا نقول».

وجاء في كتاب «فتح الباري»:

«نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سب النبي ﷺ صريحاً وجب قتله» ١٩.  
ونقل أبو بكر الفارسي أحد أئمة الشافعية في كتاب «الاجماع» أن «من سب  
النبي ﷺ بما هو قذف صريح كفر، باتفاق العلماء، فلو تاب لم يسقط عنه القتل،

(١٩) ابن حجر العسقلاني،  
فتح الباري ١٢: ٢٣٦.



لأن حدّ قذفه القتل، وحد القذف لا يسقط بالتوبة.

قال الخطابي: «لا أعلم خلافاً في وجوب قتله إذا كان مسلماً».

وقال ابن بطال: «اختلف العلماء فيمن سب النبي ﷺ: فأما أهل العهد والذمة كاليهود، فقال ابن القاسم، عن مالك: يقتل، إلا أن يسلم، وأما المسلم فيقتل بغير استتابة».

وجاء في «زاد المعاد» مانصه:

«ثبت عنه ﷺ بإمداد دم أم ولد الأعمى لما قتلها مولاهما على السب، وقتل جماعة من اليهود على سبّه وأذاه. وأمن الناس يوم الفتح إلا نفرأ ممن كان يؤذيه ويهجوهم، وهم أربعة رجال وامرأتان، وقال: من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله ﷺ وأهدر دمه ودم أبي رافع. وقال: أبو بكر الصديق لأبي برزة الأسلمي، وقد أراد قتل من سبّه: ليست هذه لأحد بعد رسول الله ﷺ فهذا قضاؤه ﷺ وقضاء خلفائه من بعده رضي الله عنهم، ولا مخالف لهم من الصحابة، وقد أعانهم الله من مخالفة هذا الحكم. وقد روى أبو داود في سننه، عن علي كرم الله وجهه: أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتلق فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها. وذكر أصحاب السير والمغازي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: هجت امرأة النبي ﷺ فقال: من لي بها؟ فقال رجل من قومها: أنا. فنهض فقتلها، فاخبر النبي ﷺ فقال: لا تنتطح فيها عنزتان. وفي ذلك بضعة عشر حديثاً ما بين صحاح وحسان ومشاهير، وهو إجماع الصحابة. وقد ذكر حرب في مسائله، عن مجاهد قال: أتني عمر برجل سب النبي ﷺ فقتله، ثم قال عمر: من سب الله ورسوله، أو سب أحداً من الأنبياء، فاقتلوه»<sup>٢٠</sup>.

(٢٠) ابن قيم الجوزية، زاد

المعاد ٣: ٢١٣.

ثم قال مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أيما مسلم سب الله ورسوله، أو سب أحداً من الأنبياء، فقد كذب برسول الله ﷺ وهو ردة، يستتاب، فإن رجع وإلا قتل. وأيما معاهد عاند فسب الله، أو سب أحداً من الأنبياء، أو جهر به، فقد نقض العهد، فاقتلوه. وذكر أحمد بن حنبل، عن ابن عمر أنه مرّ به راهب، فقيل له: هذا يسب النبي ﷺ. فقال ابن عمر: لو سمعته لقتلته أنا. لم نعظم الذمة إلا على أن لا يستبوا نبينا».

والآثار عن الصحابة بذلك كثيرة، وحكى غير واحد من الأئمة الاجماع على قتله.

وجاء في (الموسوعة الفقهية) لدولة الكويت: الجزء الثالث ص ٢٤٩ تحت مادة: «استخفاف» ما يلي:

اتفق العلماء على أن الاستخفاف بالأنبياء حرام، وأن المستخف بهم مرتد، وهذا فيمن ثبتت نبوته بدليل قطعي، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ ٢١. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ٢٢.

(٢١) التوبة: ٦١.

(٢٢) الاحزاب: ٥٧.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ٢٣.

(٢٣) التوبة: ٦٦.

وسواء كان المستخف هانلاً أم كان جاداً، لقوله تعالى:

﴿قُلْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ \* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ٢٤.

(٢٤) التوبة: ٦٥-٦٦.

إلا أن العلماء اختلفوا في استتابته قبل القتل، فالراجح عند الحنفية، وقول للمالكية، والصحيح عند الحنابلة، أن المستخف بالرسول والأنبياء لا يستتاب بل يقتل، ولا تقبل توبته في الدنيا لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

وقال المالكية وهو الراجح عندهم، والشافعية، وهو رأي للحنفية والحنابلة: يستتاب مثل المرتد وتقبل توبته إن تاب ورجع، لقوله تعالى:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ٢٥.

(٢٥) الانفال: ٣٨.

ولخير: «فإذا قالوها عصموا مني دماءهم».

ومن الملاحظ أن هذا في الحالات الفردية وللحالات التأميرية الكبرى أحكامها المشددة الأخرى.

وجاء في كتاب «التشريع الجنائي» ما يلي:

«من سب نبياً أو ملكاً أو عرّض به أو لعنه أو عابه أو قذفه أو استخف بحقه وما أشبه فإنه يقتل ولا يستتاب. ولا تقبل منه التوبة لو أعلنها، ولو جاء تائباً قبل أن

(٢٦) عبد القادر عودة،  
التشريع الجنائي ٢: ٧٢٤.

يطلع عليه، لأن القتل في هذه الحالة حد خاص وإن كان يدخل تحت الردة»<sup>٢٦</sup>.

### أدلة الحكم من السنة الشريفة:

وقد وردت روايات كثيرة في كتب الحديث تدل على أن حكم ساب النبي ﷺ هو القتل، ولعلها تصل الى حد التواتر إجمالاً، وفيها ما هو تام من حيث السند، نستعرض بعضها فيما يلي:

١- الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن شتم رسول الله ﷺ فقال: «يقتله الأدنى فالأدنى قبل أن يرفع الى الإمام»<sup>٢٧</sup>.

(٢٧) وسائل الشيعة ١٨:  
٥٥٤.

٢- الكليني، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن علي بن جعفر قال: أخبرني أخي موسى قال: «كنت واقفاً على رأس أبي حين أتاه رسول زياد بن عبيد الله الحارثي عامل المدينة فقال: يقول لك الأمير: انهض إلي، فاعتل بعتة، فعاد إليه الرسول فقال: قد أمرت أن يفتح لك باب المقصورة فهو أقرب لخطوك، قال: فنهض أبي واعتمد عليّ ودخل على الوالي، وقد جمع فقهاء أهل المدينة كلهم، وبين يديه كتاب فيه شهادة على رجل من أهل وادي القرى قد ذكر النبي ﷺ فقال له الوالي: يا أبا عبد الله انظر في الكتاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أخبرني أبي أن رسول الله ﷺ قال: الناس في أسوة سواء، من سمع أحداً يذكرني فالواجب عليه أن يقتل من شتمني، ولا يرفع الى السلطان، والواجب على السلطان إذا رفع إليه أن يقتل من نال مني، فقال زياد بن عبيد الله: أخرجوا الرجل فاقتلوه بحكم أبي عبد الله عليه السلام»<sup>٢٨</sup>.

(٢٨) المصدر نفسه: ٤٥٩ ح ٢.

٣- الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رجلاً من هذيل كان يسب رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: من لهذا؟ فقام رجلان من الانصار فقالا: نحن يا رسول الله، فانطلقا حتى أتيا عربة فسألا عنه فإذا هو يتلقى غنمه، فقال: من أنتما وما اسمكما؟ فقالا له: أنت فلان بن فلان؟ قال: نعم فنزلا فضربا عنقه، قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: رأيت لو أن رجلاً الآن سب النبي ﷺ أقتل؟

قال: إن لم تخف على نفسك فاقتله»<sup>٢٩</sup>.

٤ - وجاء في فقه الرضا:

وروي أنه «من ذكر السيد، محمداً ﷺ أو واحداً من أهل بيته الطاهرين ﷺ

بالسوء وبما لا يليق بهم أو الطعن فيهم، وجب عليه القتل»<sup>٣٠</sup>.

٥ - وجاء في البحار عن أمالي الشيخ الطوسي:

عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من سب نبياً من

الانبياء فاقتلوه، ومن سب وصياً فقد سب نبياً»<sup>٣١</sup>.

٦ - وجاء في السنن الكبرى للبيهقي وسنن أبي داود: «عن علي عليه السلام: ان يهودية

كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فخلعها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله ﷺ

دمها»<sup>٣٢</sup>.

٧ - وجاء في كتاب المستدرک على الصحيحين:

عن ابن عباس قال: «كانت أم ولد لرجل كان له منها ابنان مثل المؤلفتين، وكانت

تشتم النبي ﷺ فينهاها ولا تنتهي ويزجرها ولا تنزجر، فلما كان ذات ليلة ذكرت

النبي ﷺ فما صبر أن قام إلى مقول فوضعها في بطنها، ثم اتكأ عليها حتى

أنفذها، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن دمها هدر»<sup>٣٣</sup>.

قال صاحب المستدرک: (هذا الحديث صحيح الإسناد على شرط مسلم).

٨ - وجاء في حديث: كان رجل يشتم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: من يكفيني

عدوأي؟ فقال خالد بن الوليد: أنا فبعته النبي ﷺ فقتله»<sup>٣٤</sup>.

٩ - وجاء في كتاب المستدرک على الصحيحين:

عن أبي بزره الاسلمي قال: «اغلظ رجل لابي بكر فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ ألا

اقتله؟ فقال: ليس هذا إلا لمن شتم النبي ﷺ»<sup>٣٥</sup>.

١٠ - وجاء في كتاب السنن الكبرى وكتاب المهذب:

ان رجلاً قال لعبد الله بن عمر: سمعت راهباً يشتم رسول الله ﷺ فقال: لو

سمعته لقتلته، إن لم نعطه الامان على هذا»<sup>٣٦</sup>.

١١ - وجاء في سنن البيهقي:

عن أبي هريرة قال: «لا يقتل أحد بسب أحد إلا بسب النبي ﷺ»<sup>٣٧</sup>.

(٢٩) المصدر نفسه: ٤٦٠ ح ٢.

(٣٠) فقه الرضا: ٢٨٥.

(٣١) بحار الأنوار ٧٩: ٢٢١.

٥٥ ح

(٣٢) السنن الكبرى، كتاب

النكاح ٧: ٩٦، ح ٨٣٣٧٦ ط:

دار الكتب العلمية - بيروت.

وسنن أبي داود ٤: ١٢٩.

(٣٣) المستدرک على

الصحيحين، كتاب الحدود ٤:

٣٥٤. والرواية موجودة مع

زيادة في سنن النسائي ٧:

١٠٧، وكذلك في سنن

البيهقي، كتاب النكاح ٧: ٩٦.

(٣٤) المحلى ١١: ٤١٢.

(٣٥) المستدرک على

الصحيحين، كتاب الحدود ٤:

٣٥٥. ويوجد نظيرها في سنن

النسائي، كتاب الحدود ٧:

١٠٩.

(٣٦) المهذب ٢: ٢٥٨، السنن

الكبرى ٩: ٢٠٠.

(٣٧) السنن الكبرى، كتاب

النكاح ٧: ٩٧، ح ٨٣٣٧٨.

١٢ - وجاء في سنن البيهقي أيضاً:

«عن رجل من بلقين: أن امرأة سبّت النبي ﷺ فقتلها خالد بن الوليد»<sup>٣٨</sup>.

وجاء في كتب التاريخ والسيرة الشريفة ومنها «السيرة النبوية لابن هشام» مصاديق لتطبيق هذا الحكم الاسلامي، منها: قصة كعب بن الأشرف الذي أنشد الشعر لصالح الكفار، ثم شجب بنساء المسلمين فبعث رسول الله ﷺ من يقاتله<sup>٣٩</sup>.

وكان سلام بن أبي الحقيق ممن يعادي رسول الله، فأذن الرسول ﷺ

بقتله<sup>٤٠</sup>.

وكانت هناك قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر ﷺ بقتلهما<sup>٤١</sup>.

وعليه:

فهل هناك بعد هذه النصوص مجال لعدم القبول بهذا الحكم الاسلامي؟  
إننا نرى أن من الواجب على علماء المسلمين أن يقفوا صفاً واحداً في قبال الكفر الذي وقف صفاً واحداً خلف سلمان رشدي وراح يدافع عنه، وأن يدينوا هذا العمل الشنيع انتصاراً لرسولهم ورسالتهم ومقدساتها:  
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا تُكَنُّ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

ولا مجال بعد هذا إلا تنفيذ حكم الله بهذا المجرم العتيد.

والله غالب على أمره.



(٣٨) السنن الكبرى، كتاب المرتد ٨: ٣٥٢ ح ١٦٨٦٤ ط: بيروت دار الكتب العلمية.

(٣٩) سيرة ابن هشام ٣: ٥٤.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢٨٦.

(٤١) المصدر نفسه: ٥٢.

# دَوْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ ٥ فِي بِنَاءِ الْكُتْلَةِ الصَّالِحَةِ

٩

## النَّظْمُ السِّرِّيُّ لِلْجَمَاعَةِ الصَّالِحَةِ

الْحَلَقَةُ الْأُولَى

دراسات

ملاحظة السيد

هشام جابر الحكيم

(العراق)

لقد اهتم أهل البيت عليهم السلام من أجل تحقيق الاهداف التي أشرنا إليها بأن يضعوا نظاماً عاماً للجماعة يحفظ لها وحدتها وخصائصها الذاتية، ويحدد لها علاقاتها في داخلها أو مع الجماعات الاخرى خارج الجماعة، ويسمح لها أن تنمو وتتطور وتتكامل، ويؤمن لها الحماية ضد عمليات العدوان.

وفي هذا المجال قام أهل البيت عليهم السلام بعملين متوازيين:

أحدهما: وضع النظام العام للجماعة الصالحة.

ثانيهما: وضع النظم والمناهج المختلفة في المجالات المتعددة ذات العلاقة بالنظام العام.

وفي هذا البحث نحاول أن نشير إلى المعالم العامة لهذا النظام الذي وضعه أئمة أهل البيت عليهم السلام سواء فيما يتعلق بالقاعدة النظرية له، او المهمات والمسؤوليات، أو طبيعة العلاقات العامة فيه، أو المؤسسات والتشكيلات، أو الهوية أو العلاقات الداخلية والخارجية.

هذا النظام الذي يمكن أن يتحرك ضمن النظام الاسلامي والحكومة الاسلامية ويتكيف مع ظروفها. ويمكن أن نحدد هذه المعالم الرئيسية بشكل عام في الامور التالية:

### المعلم الأول: الامامة أساس النظام

وهو القاعدة الفطرية لهذا النظام، حيث يقوم هذا النظام على أساس نظرية «الامامة والولاية لأئمة أهل البيت (عليه السلام)» ويمثل ذلك امتداداً للتصور النظري لحركة الانبياء والمرسلين، سواء في تشخيص طبيعة هذا الحق والمنصب، وأنه منصب إلهي يستحقه هذا الانسان من خلال التعيين المباشر له من قبل الله تعالى، كما هو الحال في الانبياء والمرسلين، أو بالواسطة، كما هو الحال في الأئمة والوصياء، حيث أوصى النبي ﷺ لعلي (عليه السلام) أن يكون إماماً من بعده، وهكذا بالنسبة إلى بقية الأئمة (عليهم السلام). أو في مواصفات الشخص، حيث يشترط في النبي والامام المنصوب الدرجة العالية من الكمالات الإلهية التي يعبر عنها «بالعصمة». أو في طبيعة المسؤوليات والواجبات والحقوق تجاه الامة أو عليها، حيث تجب له الطاعة، وله حق ولاية الأمر، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وعليه أن يتحمل مسؤولية إبلاغ الرسالة، وتزكية المؤمنين وتربيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، ورعاية شؤونهم والمواساة لهم في حياتهم.

إن النظام الذي وضعه أهل البيت (عليهم السلام) لتنظيم الجماعة يرتكز على هذه القاعدة النظرية، فإن الامام في زمن حضوره وشهوده، وإن لم تكن بيده السلطة، ولا يكون مبسوط اليد في القدرة، إلا أنه مع ذلك كله لا بد فيه من توفر هذه الخصوصيات، ويتحمل أيضاً هذه المسؤوليات والواجبات وله هذه الحقوق، ولكن بالقدر الذي تسمح به الظروف المعاشية. وتتناسب الواجبات والحقوق في السعة والضيق مع هذه الظروف المتاحة.

وأما في عصر الغيبة فإن المجتهد الجامع للشرائط هو الذي يقوم بهذا الدور باعتباره الوريث الطبيعي للانبياء والأئمة (عليهم السلام)، لأنهم لم يورثوا ذهباً ولا فضة ولا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا شيئاً من العلم والحكمة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن العلماء ورثة الانبياء، وذاك أن الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حقاً وافرأ، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»<sup>١</sup>.

(١) الكليني، أصول الكافي: ١.

٣٢

ولعل هذا التسلسل الطبيعي في الخلافة والمنصب الإلهي هو الذي تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُخَكِّمُ بِهِ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِضُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تُشْمِزُوا بِآيَاتِي فَمَنْ قَلِيلًا وَمَنْ كَثِيرٌ يَخَكِّمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>٢</sup>.

(٢) المائدة: ٤٤.

فالمجتهد الذي يمثل «الاحبار» في هذه الآية الكريمة لا بد أن يتصف بالمواصفات المطلوبة في الأئمة «الربانيون» ولكن بالقدر الذي يتناسب معه ومع مسؤولياته وحقوقه، وهي العدالة العالية والصفات الشخصية المناسبة من الخبرة والشجاعة والمواساة للمؤمنين والقُدوة في السلوك. وكذلك تثبت له الحقوق والواجبات نفسها، ولكن بالمقدار المناسب لهذا المستوى من الولاية.

إن هذا المنطلق في فهم ورؤية النظام العام للجماعة الصالحة هو أمر مهم فيما يتفرع عنه من أنظمة وسياسات ومناهج ومواقف تتسجم مع الفهم النظري لحركة الانبياء ودورها في التاريخ الانساني والسنن المؤثرة في هذا التاريخ.

### نظام المرجعية الدينية

وعلى أساس هذه القاعدة النظرية وضع الأئمة عليهم السلام نظام المرجعية الدينية (ولاية الفقيه). فإن هذا النظام يتلخص في تنصيب المجتهد\*، من علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام الجامع للشرائط التي أشرنا إليها آنفاً، للقيام بالوظائف الأساسية للامامة، وهي الولاية لشؤون المسلمين وبيان معالم الدين، والقضاء في موارد النزاع والتداعي والفصل للخصومات.

ويبدو من خلال مراجعة تاريخ أهل البيت عليهم السلام أنهم في الوقت الذي كانوا يمارسون فيه هذا الدور للامامة - بشكل محدود - بدأوا بتأسيس هذا النظام عندما

(\*) «المجتهد» هو الانسان الذي يملك قدرة استنباط الحكم الشرعي أو تشخيص الموقف العملي عن طريق استخدام الأدلة والموازين الشرعية التي وضعها الشارع للوصول الى الحقائق الشرعية، أو أقر استخدامها لهذا الغرض.



أخذت الجماعة الصالحة تنمو وتكبر، وتتسع دائرة أعمالها ونشاطاتها ووجودها، حتى أصبح هذا النظام هو نظام الجماعة العام بعد الأئمة.

وقد قام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بتأسيس هذا النظام للجماعة الصالحة في زمان حضورهم وشهودهم - كما سوف نلاحظ - ليكون له دوره النسبي في تكوين الجماعة الصالحة، وإدارة شؤونها في عصرهم، وليصبح نظاماً متكاملًا وفاعلاً يمكن الاعتماد عليه والاكتفاء به بعد غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه.

ولعلّ الدور المهم والاساس لأئمة أهل البيت الثلاثة «الجواد والهادي والعسكري (عليهم السلام)» هو إرساء وترسيخ دعائم هذا النظام، على ما سوف نعرف ذلك إن شاء الله عند دراستنا استعراض الادوار الخاصة التي قام بها الأئمة في كل عصر.

ويمكن أن نتعرف بشكل إجمالي على نظام المرجعية الدينية من خلال دراسة المعالم الاخرى التالية:

### المعلم الثاني: المهمات والمسؤوليات

يمكن تلخيص المهمات والمسؤوليات لنظام المرجعية للجماعة الصالحة في المجالات الثلاثة التالية: الافتاء، والقضاء، والولاية.

#### الافتاء:

ففي مجال «الافتاء» و«بيان معالم الدين» و«البلاغ» قام الأئمة بعدة خطوات لتنظيم هذه الحالة:

الاولى: هي تربية المجتهدين والعلماء والمحدثين من خلال رعاية خاصة كانوا يولونها لبعض الاشخاص الذين يتوسمون فيهم الاهتمام بطلب العلم، والقدرة الفعلية على التلقي، والمواهب العلمية المناسبة، حتى أصبح هؤلاء من المتميزين في خصائصهم ومواصفاتهم العلمية والاخلاقية. بالاضافة إلى عدد كبير من المتفقيين والمتعلمين والحفاظ في مختلف المناطق التي تعيش فيها الجماعة الصالحة، خصوصاً المناطق التي يتكاثف وجودهم فيها.

ونجد هذا واضحاً في أشخاص مثل: ابان بن تغلب، وزرارة بن أعين، وأبي

بصير، ومحمد بن مسلم، وبريد العجلي، ويونس بن عبد الرحمن، وعثمان بن سعيد، وابنه محمد بن عثمان، وغيرهم.

عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أحب الناس إلي أحياء وأمواتاً أربعة: بريد بن معاوية العجلي، وزرارة، ومحمد بن مسلم، والأحول، وهم أحب الناس إلي أحياء وأمواتاً»<sup>٣</sup>.

(٣) وسائل الشيعة ٨٨: ٨٠٤.

ح ١٨.

وعن إبراهيم بن عبد الحميد وغيره قالوا: «قال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه لاندست أحاديث أبي عبد الله عليه السلام»<sup>٤</sup>.

(٤) المصدر: ٨٠٤، ح ٢٠.

وعن سليمان بن خالد قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عبد الله عليه السلام إلا زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي عبد الله عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا، والسابقون إلينا في الآخرة»<sup>٥</sup>.

(٥) المصدر: ٨٠٤، ح ٢٦.

وعن أبي عبيدة الحذاء قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: زرارة، وأبو بصير، ومحمد بن مسلم، وبريد، من الذين قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أولئك المقربون»<sup>٦</sup>.

(٦) المصدر: ٨٠٥، ح ٢٢.

وعن عبد الله بن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كل ساعة ألقاك، ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه، فقال: ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي؟ فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيهاً»<sup>٧</sup>.

(٧) المصدر: ٨٠٥، ح ٢٣.

وعن يونس بن يعقوب قال: «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: أما لكم من مفرع؟ أما لكم من مستراح تستريحون إليه؟ ما يمنعكم من الحارث بن المغيرة النضري؟»<sup>٨</sup>.

(٨) المصدر: ٨٠٥، ح ٢٤.

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، في حديث أنه ذم رجلاً فقال: «لا قدس الله روحه، ولا قدس مثله، إنه ذكر أقواماً كان أبي عليه السلام استختمهم على حلال الله وحرامه، وكانوا عيبة علمه، وكذلك اليوم هم عندي مستودع سري وأصحاب أبي حقاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياء وأمواتاً، هم الذين أحيوا ذكر أبي عبد الله عليه السلام، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين

انتحال المبطلين وتأويل الغالين، ثم بكى، فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله، وعليهم رحمته أحياء وأمواتاً: بريد العجلي، وأبو بصير، وزرارة، ومحمد بن مسلم»<sup>٩</sup>.

(٩) المصدر: ١٠٥، ج ٢٥

وعن داود بن سرحان قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني لأحدث الرجل بالحديث، وأنهاء عن الجدال والمراء في دين الله، وأنهاء عن القياس، فيخرج من عندي فيتأول حديثي على غير تأويله... إلى أن قال: إن أصحاب أبي كانوا زيناً أحياء وأمواتاً، أعني زرارة، ومحمد بن مسلم، ومنهم ليث المرادي، وبريد العجلي، هؤلاء القائلون بالقسط، هؤلاء القوامون بالقسط، هؤلاء السابقون السابقون، أولئك المقربون»<sup>١٠</sup>.

(١٠) المصدر: ١٠٦، ج ٢٦

الثانية: إصدار التوجيهات للخاصة من أصحابهم والمتميزين بالعلم والفضيلة بالتصدي للافتاء، ونقل الحديث عنهم إلى أبناء الجماعة الصالحة. وكانوا أحياناً يطلبون منهم التصدي للافتاء بين المسلمين عامة حسب مذاهبهم المختلفة من أجل أن يأخذ هؤلاء الأشخاص دورهم الطبيعي في المجتمع الاسلامي في نفس الوقت الذي يؤدون فيه خدمة خاصة في المحافظة على الجماعة وخصوصياتها.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لمعاذ بن مسلم النحوي: «بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس، قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، إني أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل أعرفه بمودتكم وحبكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول: جاء عن فلان كذا، وجاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك، فقال لي: إصنع كذا، فإني كذا أصنع»<sup>١١</sup>.

(١١) وسائل الشيعة ١٨

١٠٨، ج ٣٦

وعنه عليه السلام: «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فإننا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، فقيل له: أويكون المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهماً، والمفهم المحدث»<sup>١٢</sup>.

(١٢) وسائل الشيعة ١٨

١٠٨، ج ٣٨

الثالثة: توجيه عموم المؤمنين إلى الرجوع في الفتيا والدين إلى هؤلاء الأشخاص المتميزين، بحيث تتكامل الصورة وتصبح منسجمة في أبعادها، فيرجع أبناء الجماعة الصالحة إلى هؤلاء العلماء، وينتظم بذلك هذا الأمر الديني المهم في

وسط الجماعة.

عن أحمد بن إسحاق قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام وقلت: من أعامل؟ وعمن آخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال: العمري ثقني، فما أدنى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون، قال: وسألت أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك فقال: العمري وابنه ثقتان، فما أدنى إليك عني فعني يؤديان، وما قال لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان، الحديث. وفيه أنه سأل العمري عن مسألة فقال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحل ولا أحرم»<sup>١٣</sup>.

(١٣) المصدر ١٨: ١٠٠، ج ٤.

وعن اسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة، فقال: إلقَ عبد الملك بن جريح فسله عنها، فإن عنده منها علماً، فليقلته فأملى عليّ شيئاً كثيراً في استحلالها، وكان فيما روى فيها ابن جريح أنه ليس لها وقت ولا عدد ... إلى أن قال: فأتيت بالكتاب أبا عبد الله عليه السلام فقال: صدق، وأقر به»<sup>١٤</sup>.

(١٤) المصدر ١٨: ١٠٠، ج ٥.

وعن المفضل بن عمر: «أن أبا عبد الله عليه السلام قال للمفيض بن المختار في حديث: فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس، وأوماً إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه، فقالوا: زرارة بن أعين»<sup>١٥</sup>.

(١٥) وسائل الشيعة ١٨: ١٠٤، ج ١٩.

وعن علي بن المسيّب الهمداني قال: «قلت للرضا عليه السلام: شقّتي بعيدة، ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قال: من زكريا بن آدم القضي، المأمون على الدين والدنيا. قال علي بن المسيّب: فلما انصرفتم قدّمنا على زكريا بن آدم، فسألته عما احتجت إليه»<sup>١٦</sup>.

(١٦) المصدر: ١٠٦، ج ٢٧.

وعن عبدالعزيز بن المهدي والحسن بن علي بن يقطين قال: «قلت للرضا عليه السلام: لا أكاد أصل إليك أسألك عن كلّ ما احتاج إليه من معالم ديني، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما احتاج إليه من معالم ديني؟ فقال: نعم»<sup>١٧</sup>.

(١٧) المصدر: ١٠٧، ج ٣٣.

عن الفضل بن شاذان، عن عبدالعزيز المهدي - وكان خير قمي رأيته، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته - قال: «سألت الرضا عليه السلام فقلت: إني لا ألقاك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ فقال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن»<sup>١٨</sup>.

(١٨) المصدر: ١٠٧، ج ٣٤.

وعن عبدالعزيز بن المهدي قال: «قلت للرضا عليه السلام: إن شقّتي بعيدة، فلست

أصل إليك في كل وقت، فأخذ معالم ديني عن يونس مولى آل يقطين؟ قال: نعم»<sup>١٩</sup> (١٩) المصدر: ١٠٧، ح ٣٥.

#### القضاء:

يمثل القضاء قضية من أهم القضايا في التنظيم العام للمجتمع الاسلامي بشكل عام، وللجماعة الصالحة بشكل خاص. ذلك أن موضوع القضاء من الموضوعات الاساسية التي نزلت من أجلها الكتب السماوية، وجاءت بها الرسالات الالهية، لأن موضوع القضاء يرتبط بموضوع النزاع والاختلاف بين الناس، الذي بدأ منذ بداية تكوّن المجتمع الانساني، وبقي هذا الموضوع يكتسب أهمية خاصة في جميع الأدوار، حتى يكاد يتصور الانسان أن موضوع الحكم والدولة إنما هو أمر مرتبط بهذا الموضوع بالأصل، ثم تطور بعد ذلك إلى النظام الاجتماعي.

ثم إن موضوع القضاء يبدو معقداً بعض الشيء، لأنه يرتبط - كما قلنا - بالنزاع والاختلاف، وهو - في بعض الأحيان - يرى فيه كل من الطرفين أو الأطراف المتخاصمة أن الحق إلى جانبه. بل قد تكون نتيجة القضاء أحياناً على خلاف الحق الواقعي، فتزداد الأمور تعقيداً، حيث يراد من صاحب الحق أن يتخلّى عن حقه ويسكت، بسبب الحكم الذي توصل إليه القاضي.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يربط بين الايمان والقبول والتسليم للقضاء الذي يصدر من الرسول ﷺ، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾<sup>٢٠</sup>.

(٢٠) النساء: ٦٥.

كما نجد الرسول ﷺ - وهو المعصوم المرتبط بالوحي الإلهي - يحتاط لنفسه ولمنصبه بين المسلمين عندما يقول: «إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان، وبعضكم أحن بحجته من بعض، فأیما رجل قطعت له من مال أخيه شيئاً، فإنما

قطعت له به قطعة من النار»<sup>٢١</sup>. وليس بعلم الغيب الإلهي، لأن القضاء قد لا يكون

متطابقاً مع الحق الواقعي، حيث لا يجد المدعي البينة، فيحلف المنكر كذباً ويقضى له، ويردّ اليمين على المدعي فيمتنع عن أدائها تعظيماً لله تعالى وتنازلاً عن حقه فيقضى للمنكر أيضاً، أو يأتي المدعي بالشهود الزور ويكون ظاهرهم الصلاح، فيرتب عليهم القاضي الأثر فيقضى له بغير حقه الواقعي.

١٢

(٢١) وسائل الشيعة ٨٨: ١٦٩.

ومن هنا نجد أئمة أهل البيت عليهم السلام قد واجهوا مشكلة حقيقية في أوساط الجماعة الصالحة عندما أرادوا ملء هذا الفراغ المهم في النظام العام للجماعة، واحتاجت هذه المشكلة إلى حل واقعي وعملي من قبلهم.

وهذه المشكلة لها أبعاد عديدة، بعضها يرتبط بالسلطة الحاكمة حيث كان القضاء من المناصب الحكومية التي يحتاج التصدي لها إلى قرار من جهاز السلطة والخلافة وإنذار منها. وبذلك يختلف القضاء عن الافتاء الذي كان يمارسه العلماء والمحدثون والمتفقهون بشكل عام.

وبعض هذه الابعاد يرتبط بالقوة الاجرائية التنفيذية، حيث إن القاضي يفصل الخصومة بحكمه، ولكن المنفذ للحكم إنما هو الاجهزة التنفيذية، كالشرطة وغيرهم الذين ينفذون الحكم بالقوة عند امتناع أحد الطرفين. ولم تكن لدى أئمة أهل البيت هذه القوة الاجرائية.

وبعضها يرتبط بالامة، سواء من ناحية وجود العناصر المؤهلة للقيام بهذا العمل الدقيق والحساس، أو من ناحية استجابة الامة للالتزام بهذا القرار الصادر من الأئمة عليهم السلام.

ومع كل هذا التعقيد في المشكلة تمكّن الأئمة عليهم السلام أن يوجدوا نظاماً للقضاء فعلاً ومؤثراً في زمان حضورهم، واستمر بعد ذلك في الأزمنة الأخرى. وقدموا من أجل تحقيق ذلك صيغة تتسم بالدقة والمرونة والوضوح، يمكن أن نلاحظها في ما ورد عنهم في هذا الموضوع.

ويمكن أن نشير الى بعض الابعاد والخطوات لإيجاد هذه الصيغة في النقاط التالية:

أ: الانكار الشديد على أولئك الافراد الذين يتحاكمون إلى قضاة الجور المنصوبين من قبل أئمة الجور والظلم. وهذا الانكار لا ينطلق من مسألة احتمال الاستناد في القضاء إلى حكم غير شرعي فحسب، بل ينطلق من مسألتين أساسيتين:

إحدهما: أن القضاء منصب إلهي لا يحق للانسان أن يتولاه، إلا إذا كان مؤهلاً لذلك. وبدون هذا التأهيل الذي هو روحي وعلمي يكون القضاء باطلاً حتى لو كان

قد أصاب الواقع. وإن هؤلاء القضاة غير مؤهلين لهذا المنصب الإلهي:

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اتَّقُوا الحكومة، فَإِنَّ الحكومة إِنَّمَا هِيَ لِلإِمَامِ الْعَالِمِ بِالْقَضَاءِ، الْعَادِلِ فِي الْمُسْلِمِينَ لِلنَّبِيِّ [كَنَبِيِّ] أَوْ وَصِيِّ نَبِيِّ...»<sup>٢٢</sup>.

(٢٢) المصدر: ٧، ج ٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «القضاة أربعة: ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة»<sup>٢٣</sup>.

(٢٣) المصدر: ١١، ج ٦.

وعن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنته، فننظر فيها؟ فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله»<sup>٢٤</sup>.

(٢٤) المصدر: ٢٤، ج ٦.

ثانيتها: أن الرجوع إلى هؤلاء القضاة (قضاة أئمة الجور) إنما هو اعتراف وقبول بإمامتهم، مع أنهم طواغيت، والرجوع إليهم إنما هو تحاكم للطاغوت، فيكون مصداقاً للآية الشريفة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ فَتْكِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>٢٥</sup>.

(٢٥) النساء: ٦٠.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال في رجل كان بينه وبين أخ له ممرارة في حق فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء: كان بمنزلة الذين قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ فَتْكِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾<sup>٢٦</sup>.

(٢٦) وسائل الشيعة ١٨: ٣.

ج ٢.

وعن عمر بن حنظلة قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى طاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾»<sup>٢٧</sup>.

(٢٧) المصدر: ٤، ج ٤.

ب - وقد شدد أئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا الموضوع بدرجة عالية، وفي

مناسبات مختلفة، من أجل أن يحققوا هدفاً عملياً، وهو إيجاد الوازع الذاتي القوي الذي يعوّض عن القوة التنفيذية التي يملكها القضاة، حيث استفاد أئمة أهل البيت من عوامل الرفض للفساد والانحراف والاعتداء على الحقوق في أجهزة الدولة بشكل عام، وفي جهاز القضاء بشكل خاص.

ج - اتّباع أسلوب يتّسم بالمرونة من ناحية، وقوة التنفيذ نسبياً من ناحية أخرى، في تشخيص القاضي، حيث كانوا يطلبون من المتنازعين والمتخاصمين أن يختاروا بأنفسهم ويتراضوا على تشخيص القاضي كما ورد ذلك في مقبولة عمر بن حنظلة وموثقة أبي بصير.

حتى إن بعض الفقهاء قد ذهب إلى أن هذه الروايات لا تعيّن القاضي بالمعنى المعروف، وإنما هي تبين قاضي الحكم والصلح، لأنها تشترط رضا الطرفين فيه<sup>٢٨</sup>، مع أن ذيل الرواية ظاهر في التعيين للقاضي.

د - إعطاء مواصفات عامة وميسرة وواضحة للمؤقّلات التي يجب أن يتمتّع بها هذا القاضي، وكذلك الصفات التي تشخص القاضي الذي يكون لقوله الفصل عندما يختلف القضاة فيما بينهم.

عن عمر بن حنظلة قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يكفر به. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخفّ بحكم الله وعلينا ردة، والراة علينا الراة على الله، وهو على حد الشرك بالله»<sup>٢٩</sup>.

الولاية:

لا شك أن الولاية والإمامة هي أهم منصب إلهي في النظام الاسلامي كما صرح القرآن الكريم بذلك، وكذلك النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على ما أشرنا

(٢٨) آية الله السيد الخوئي رحمته الله، منهاج الصالحين ٤: ١١.

(٢٩) وسائل الشيعة ١٨: ٩٩.



إليه في بعض المواضع السابقة.

ويمكن أن تدخل المهمة الأولى «البلاغ وبيان معالم الدين» والمهمة الثانية «القضاء» في ضمن هذا المنصب الإلهي الخطير أيضاً.

ولعلّ جلالة هذا المنصب وقديسيته من ناحية، وكثرة المدّعين لهذا المنصب من الطغاة والظالمين وأئمة الجور من ناحية أخرى، هي التي جعلت أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ينكرون على الآخرين ادعاءهم له من ناحية، وتؤكد لهم على اختصاص هذا المنصب بهم وحدهم من ناحية أخرى.

وهذا يفسّر لنا أيضاً قلّة أو غموض النصوص التي وردت في بيان أن المجتهد العادل والعالم بالاحكام الشرعية له حق الولاية العامة، لأن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يصدد التأكيد على جانب اختصاص الولاية بهم بالأصل، لئلا يفتح ثغرة نفسية أو ذهنية تقسح المجال لتصور آخر، وهو أن للآخرين الأدعاء مثل هذا الحق.

كما أن الملاحظ أيضاً في نصوص القضاء عموماً هذا الاتجاه، عدا بعض النصوص التي حاول بعض الفقهاء - كما أشرنا - تفسيرها بتعيين قاضي الصلح وحكم التراضي.

ومن هنا نجد أيضاً أن جماعة من الفقهاء يذهبون إلى عدم وجود النص على تعيين المجتهد بشكل خاص لهذا المنصب الإلهي، مع إيمانهم بأن هذا المنصب الإلهي لا يمكن أن يترك خالياً من المسؤولية، وإن الفرد الذي يمثل «القدر المتيقن» من المسلمين الذين يتحملون هذه المسؤولية هو المجتهد الجامع للشرائط. وبذلك ينتهون إلى نفس النتيجة الكلية في تشخيص المجتهد لهذا المنصب، ولكن بطريق آخر وهو «دليل الحسبة»<sup>٣٠</sup>.

وعلى أي حال فهناك مجموعة من النصوص تشير أو يفهم منها - ظهوراً أو صراحة - هذه الولاية. ومع قطع النظر عن المناقشات التفصيلية لكل واحد من هذه النصوص، إلا أنه يمكن أن يفهم منها بشكل إجمالي هذا الاتجاه النظري في رؤية أهل البيت (عليهم السلام) لنظام الجماعة الصالحة، وهي أن يتولّى الفقيه المجتهد هذه الشؤون.

بل يمكن أن نقول: إن هذه الولاية هي حقيقة قائمة في وسط أتباع أهل

(٣٠) لقد تناول الفقهاء هذا الموضوع في بحث الولاية العامة، وذهب بعضهم إلى ولاية الفقيه بالنص، وبعضهم إلى ولاية دليل الحسبة، أو بأدلة أخرى. وقد تناولناه بشكل مركز وميسر في كتابنا «الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق». ولا نريد هنا أن نتناول هذا الموضوع من هذا الجانب بل نريد أن نتناوله من خلال الأساس الكلي النظري.

البيت عليه السلام كان يمارسها المجتهدون، ويفتي بها العلماء، مع قطع النظر عن طريقة الاستدلال عليها.

ولعل من أفضل النصوص التي يمكن الاستدلال بها على هذا الحكم هو الآية الكريمة الرابعة والاربعون من سورة المائدة السابقة، وكذلك التوقيع المعتبر المروي عن الامام المهدي عجل الله فرجه في قوله: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله»<sup>٣١</sup>. حيث يفهم من الحوادث الموضوعات الخارجية التي يواجهها الانسان في حركته اليومية، والتي تحتاج إلى موقف شرعي، بالإضافة إلى اقتران حجّة الرواة مع حجّة الامام على الناس، وهي شاملة وعامة. كما يمكن أن يفهم هذا المعنى من أحاديث القضاء الذي يعتبر من أهم مناصب الولاية وأخطرها، كما أشرنا إلى ذلك.

وبهذه المفردة تكتمل صورة النظرية في نظام الجماعة، وهي نظرية الإمامة، ويصبح «المجتهد» هو المرجع للمؤمنين من أبناء الجماعة الصالحة الذي يقوم بدور الامام. ويتعيّن هذا الامام ويتشخّص باختيار الامة له بشكل طبيعي وتدرجي من خلال وجوب الفحص عن مواصفاته الذاتية المطلوبة من العلم والعدالة والخبرة وغيرها. والتي يشهد بها أهل الخبرة حيث يجب تقليده والارتباط به، أو بانتخابها له عن طريق الاقتراع المباشر أو غير المباشر بأن يقوم الخبراء وأهل الحلّ والعقد بانتخابه، وذلك عندما تملك الأمة إرادتها وحزبتها في هذا الانتخاب، ويمكنها أن تعتبر عنه بطريقة واضحة، كما اختار ذلك بعض الفقهاء، والتمز به دستور الجمهورية الاسلامية<sup>٣٢</sup>.

### المعلم الثالث: العلاقة بين الأمة والمرجع

حيث تمثل العلاقة بين الأمة والمرجع الرابطة التنظيمية الاساسية التي تنظّم أمور الجماعة الصالحة، حيث يمثل المرجع المحور المركزي لهذا النظام، والامة تمثل القاعدة التي يرتكز عليها هذا النظام.

ويمكن تلخيص أبعاد هذه العلاقة بين الامة والمرجع الديني بالنقاط التالية:

أ: إن محور الولاء الديني والسياسي هو الانسان الصالح بخصوصياته

(٣٢) تحدثنا عن ذلك في

كتابنا: الحكم الاسلامي بين

النظرية والتطبيق ص ١٩٣.

نص المادة الخامسة من

دستور الجمهورية الاسلامية

في ايران.

الكمالية التي تتمثل - بالإضافة إلى المواصفات الأساسية كالعقل وغيره - بالعدالة والاجتهاد والخبرة والصفات الشخصية كالشجاعة وغيرها.

وهذا الولاء يتخذ أبعاداً ومضامين متعددة على مستوى العواطف والمشاعر كالحب والود والتقدير، أو على مستوى السلوك والادب الاجتماعي العام كاحترام والتعظيم، أو على مستوى الالتزام والتعهد كالبينة والميثاق، أو على مستوى الأداء والتفويض والسيرة العملية كالطاعة والامتثال وأخذ الشريعة منه أو القبول بحكمه.

وبهذا الصدد لا بد أن نشير إلى أن المرجع قد يكون مرجعاً في «الفتيا» وأخذ معالم الدين منه، وقد يكون مرجعاً في القضاء وقبول فصل الخصام والخلاف بحكمه، وقد يكون مرجعاً في الأمور السياسية والاجتماعية والطاعة له في أوامره والالتزام بإدارته لهذه الأمور.

وقد تجتمع في المرجع كل هذه الأمور، وقد تتعدد لتعدد الكفاءات والاختلاف في مستوياتها، ولا بد من الرجوع فيها إلى الأعم في المجال الخاص، الفتيا أو القضاء أو الولاية والإدارة عند التعدد والاختلاف ووجود الحاجة إلى الفصل وتشخيص الموقف.

ب - المقاييس في درجة العلاقة ومستواها، وتحقق الامتيازات والتفاضل بين أبناء الجماعة يكون من خلال هذه المقاييس الأصلية في الإسلام التي وضعها للتفاضل والامتياز، حيث تكون هذه المواصفات هي الدرجة التنظيمية للجماعة، وذلك مثل: الإيمان بالله والرسالة والامامة، والتقوى والجهاد والعلم والسبق للتضحية والفداء.

ج - طبيعة هذه العلاقة إلزامية تنصف بالوجوب - بشكل عام - وذات مسؤولية وحقوق وواجبات ترتبط بالتكاليف الشرعية لكل من المرجع والإنسان المؤمن من أبناء الجماعة الصالحة<sup>٣٣</sup>.

د - وتتحقق وتتكون وتوجد هذه الرابطة من خلال حركتين متلاقيتين: إحداهما: يقوم بها المرجع، حيث يتحمل مسؤولية التصدي للقيام بالمسؤوليات والواجبات الإلهية من البلاغ والتركية والتعليم.

(٣٣) تناولنا هذا الموضوع في

بحث خاص تحت عنوان:

العلاقة بين القيادة الإسلامية

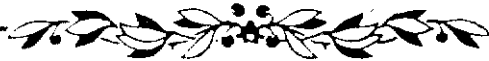
والأمة من منظور نهج البلاغة.

وثانيتها: يقوم بها الانسان المؤمن، حيث يتحمل مسؤولية الفحص للوصول إلى الحقيقة، والارتباط بالمحور الصالح (المجتهد العادل) وبعد الوصول إلى هذه الحقيقة الالتزام بمضمون هذا الارتباط أخلاقياً ودينياً، كما أشرنا في البعد الأول. فالمرجع يتصدى، والانسان المؤمن لا بد له أن يفحص ويعرف الحقيقة انطلاقاً من الحديث المتضافر: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»<sup>٢٤</sup>.

ونرى في هذه العلاقة أن أبناء الجماعة الصالحة يعرفون المرجع والقيادة الاسلامية لهم، ويلتزمون بواجباتهم تجاهها، حتى لو لم تكن علنية تجاه الآخرين. ولكن ليس من الضروري أن يعرف المرجع والقيادة جميع أبناء الجماعة، بل يمكن أن تقوم القيادة بواجباتها العامة تجاه أبناء الجماعة.

وبهذه الابعاد يمكن أن نميز بشكل واضح الفروق الاساسية بين نظام الجماعة الصالحة والتنظيمات الحزبية المعروفة، حيث يكون الولاء في التنظيمات الحزبية عادة للتنظيم لا للشخص الصالح، وتكون مقاييس التفاضل فيها هي النشاط التنظيمي لا المقاييس الواقعية، ويكون التحرك لإيجاد العلاقة بالاصل من خلال حركة القيادة على الافراد لا حركة الافراد على القيادة. وكذلك يجب في التنظيمات الحزبية أن تعرف القيادة الافراد، وقد تكون القيادة سرية تجاههم، على العكس من صورة التنظيم في الجماعة الصالحة.

(٢٤) مسند أحمد ٩٦:٤  
الطبراني، المعجم الكبير ١٠  
٣٥٠. الشهرستاني، الملل  
والنحل ١: ١٧٢. ابن أبي  
الحديد، شرح نهج البلاغة ٩  
١٥٥. كنز العمال ١: ٢٠٧  
و ٢٠٨. ينابيع العروة: ١٣٧  
ط: النجف و ١١٧ ط  
استنبول. وغيرها من  
المصادر كثير.



قال الإمام علي عليه السلام:

يُعَيِّنِي وَاللَّهُ الْخَلَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ وَدِينِهِ،  
الْعَامِلُونَ بِطَاعَتِهِ وَأَمْرِهِ، أَلَمْ يَشْدُونْ بِحُبِّهِ.

## مقارنات

# منهج البحث في العقيدة الإسلامية وتفوق المنهج العلماني

• الشيخ

عبدالله علي بن علي

العقيدة الإسلامية كانت ولا تزال موضع بحث ودراسة المسلمين، والباحثين عن الاسلام، وبمرور السنين والقرون ظهرت اختلافات في الآراء حول العقيدة الاسلامية، مع الاتفاق على أن مصدرها هو القرآن والحديث، وإنما جاء الاختلاف نتيجة أسباب عديدة<sup>١</sup> نشير إلى بعضها:

- ١ - الاختلاف في منهج البحث والاجتهاد.
- ٢ - انخراط الاحبار والزهاد في صفوف المسلمين ودش قصصهم (الاسرائيليات) في الروايات.
- ٣ - البدع والتأويلات الفاسدة.
- ٤ - النزعات القبلية والاهواء السياسية.
- ٥ - الجهل وعدم العثور على النصوص.

وفي هذا المقال نحاول بيان السبب الأول، ونستعرض المناهج الموجودة في دراسة العقيدة مقارنة بمنهج آل البيت عليهم السلام ونبين تفوق المنهج الأخير.

(١) الدكتور احمد محمود صبحي، في علم الكلام: ج ١، المقدمة: ٤٦، ط ٥، دار النهضة الحديثة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

## جذور الخلافات الاعتقادية وتاريخها

ظهرت الخلافات الفكرية والعقائدية في عصر صاحب الرسالة ﷺ، ولكن لم تصل إلى حدّ تكون المذاهب الكلامية والمدارس الفكرية، لأن النبي ﷺ كان يعالجها بنفسه ولا يسمح لها بالاستفحال، وكانت الصداقة تحلّ محلّها، والإخاء والوُدّ والتعاطف يخيّم على المجتمع الرسالي بشكل لم يوجد له مثيل في التاريخ إلا في فترات قصيرة.

وكمثال على ذلك نشير إلى مسألة «القدر» التي شغلت بال الصحابة، ودار النقاش والحوار حولها حتى وصل إلى الجدال والمراء، وعندما سمع رسول الله ﷺ أصواتهم خرج من البيت ونهاهم عن ذلك، كما جاء في كتب الحديث:

روى احمد بن حنبل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر. قال: وكأنا تلقأ في وجهه حبّ الزمان من الغضب قال: فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم»<sup>٢</sup>.

والقرآن والسنة تركا للأمة أصول العقيدة وإتهاتها، وطرحت بعض الأسئلة فيما بعد، حيث لم يكن لها جواب صريح في القرآن والسنة فكانت تحتاج إلى استنباط واجتهاد، فصار ذلك من مسؤولية الفقهاء والمجتهدين في العقيدة والشريعة، ولذلك نجد الصحابة يختلفون فيما بينهم في المسائل الاعتقادية، وهناك فرقٌ بين اختلافهم في عصر الرسول الأعظم ﷺ وبين اختلافهم بعد وفاته، ففي حياته كان هو الحكم بينهم وكلماته كانت تحسم الخلاف<sup>٣</sup>. ولكن بعد وفاته كانوا يحكمون اجتهاد واحد من الصحابة أو فئة منهم حسب اختيار الخلفاء والحكام، وإن كان للصحابة الآخرين آراؤهم ونظرياتهم، ومن أمثلة ذلك الأمران التاليان:

١- الخلافة أو الإمامة الكبرى بعد وفاة النبي ﷺ<sup>٤</sup>.

٢- قتل مانعي الزكاة وأن عملهم هذا هل أوجب الردّة؟<sup>٥</sup>

وكان كل خلاف مبدأ نشوء آراء وطوائف ومذاهب كلامية واعتقادية، وبطبيعة الحال، فإن كل واحد منها كان يشكل مجموعة مدقنة من الآراء والعقائد مرفقة بمنهج خاص في الاستدلال والاستنباط. وأهم المناهج -حسب ما أدت إليه دراستنا

(٢) مسند أحمد ٣: ١٧٨ - ١٩٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية ١: ٣٤١ - ٣٤٢، الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ١ - ٧.

(٤) الاشعري، مقالات الاسلاميين، واختلاف المصلين ١: ٣٤ و ٣٩، ابن حزم، الفصل في الملل والامواء والنحل ٢: ١١١، احمد امين، فجر الاسلام.

(٥) مسند احمد ٢: ١٩٦.

- تنحصر فيما يلي:

- ١ - المنهج النقلي المحض.
- ٢ - المنهج العقلي المحض.
- ٣ - المنهج الذوقي والاشراقي.
- ٤ - المنهج الحسي والتجريبي (العلمي).
- ٥ - المنهج الفطري.

### المنهج النقلي المحض

ويعتبر الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) رائداً لتلك المدرسة في ذلك الوقت، ومن أقدم شخصياتها، وهذا المنهج يمثل «اهل الحديث» الذين لا شأن لهم عدا المحافظة على التراث الروائي ونقله دون التدبر والتعمق في مغزاه، وتمييز غثه من سمينه، وصحيحه من سقيمه، ويسمى هذا الاتجاه في العصور الأخيرة باسم «السلفية» وينحو الحنابلة في الفقه هذا المنحى. إن هؤلاء حرّموا الرأي والنظر في المسائل الدينية، وعدّوا السؤال بدعة، والكلام والججاج فيها ابتداعاً وانحيازاً لأهل الأهواء، وعكفوا على دراسة السنّة دراسة خالية من التعمق، وسعّوا منهجهم هذا «اتباعاً» وغيره «ابتداعاً».

وقصارى جهد هؤلاء أن يدوّنوا الأحاديث الواردة في المسائل الاعتقادية، أو أن يبوّوها أو يشرحوا ألفاظها أو يذكروا أسانيدها، كما فعله الامام البخاري وأحمد بن حنبل وابن خزيمة والبيهقي وابن بطّة، وبلغ بهم الأمر إلى أن حرّموا علم الكلام والنظر العقلي في مسائل العقيدة، وأفرد بعضهم رسالة في تحريمه، كما فعل ابن قدامة في رسالته المسماة «رسالة تحريم النظر في علم الكلام».

قال احمد بن حنبل: «لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل». وبالغ في ذمّه حتى فُجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الردّ على المبتدعة، وقال له: ويحك ألسنت تحكي بدعتهم أولاً ثم تردّ عليهم؟! ألسنت تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث؟

وقال أحمد: علماء الكلام زنادقة!

وقال الزعفراني: قال الشافعي: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام.

وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه، وقالوا: ما سكت عنه الصحابة - مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم - إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر، ولذلك قال النبي ﷺ: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»، أي المتعمقون في البحث والاستقصاء<sup>٦</sup>.

وهؤلاء كانوا ينحون في العقيدة منحنى التجسيم والتشبيه والقول المطلق بالقدر وسلب الحرية عن الانسان<sup>٧</sup>.

وهذه الطائفة جوّزت التقليد في العقيدة وحزمت النظر كما مرّ، يقول الدكتور أحمد محمود صبحي:

«بما أن العقيدة لا يمكن فيها التقليد ولا يجوز، خلافاً لعبيد الله بن الحسن العنبري والحشوية والتعليمية<sup>٨</sup>. وكذا للرازي في المحضّل<sup>٩</sup>. ورأي جمهور العلماء على عدم جواز التقليد فيه، وأسند الأستاذ أبو إسحاق في «شرح الترتيب» إلى إجماع أهل العلم من أهل الحق وغيرهم من الطوائف، وقال إمام الحرمين في «الشامل»: لم يقل بالتقليد في الاصول إلا الحنابلة. ولكن الإمام الشوكاني يعتبر التكليف بوجوب النظر في العقائد تكليفاً بما لا يطاق، ويقول بعد سرده لأقوال الأئمة: فإيلاً العجب من هذه المقالة... فإنها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة، وتكليف لهم بما ليس في وسعهم ولا يطيقونه، وقد كفى الصحابة الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد ولا قاربوها الايمان الحملي... بل حزم على كثير منهم النظر في ذلك وجعله من الضلالة والجهالة...»<sup>١٠</sup>.

ومن ثم، فعلم المنطق أيضاً حرام عند هؤلاء، ولا يعتبر منهجاً في الوصول إلى المعرفة البشرية، على الرغم من أن علم المنطق من أشهر المقاييس وأقدمها، وهو ما وضعه ارسطو في كتاب سقاه أيضاً الارغانون وسماه علم الميزان.

(٦) الدكتور عبدالحليم محمود، التوحيد الخالص، ار الاسلام والعقل: ٤ - ٢٠.

(٧) الصابوني، ابو عثمان اسماعيل، رسالة عقيدة السلف واصحاب الحديث، (في الرسائل المنيرة).

(٨) الأمدي، الاحكام في اصول الاحكام ٤ : ٣٠٠.

(٩) الشوكاني، ارشاد الفحول: ٢٦٦ - ٢٦٧.

(١٠) الامام الجويني، الارشاد إلى قوامع الأدلة: ٢٥، الغزالي، إجماع العوام عن علم الكلام: ٦٦ - ٦٧، الدكتور أحمد محمود صبحي، في علم الكلام ١: المقدمة.



وعلم المنطق في رأي اصحاب هذا الاتجاه لا يكفي وحده لصون الفكر عن الخطأ، فإن كثيراً من مفكري الاسلام برعوا في المنطق، كالكندي والفارابي وابن سينا والإمام الغزالي وابن ماجة، وابن طفيل، وابن رشد، ولكن اختلفوا في أفكارهم وآرائهم ونزعاتهم اختلافاً جوهرياً، فلا يكون المنطق ميزاناً بين الحق والباطل!

ولكن موقف هذا الاتجاه اعتدل كثيراً تجاه علمي المنطق والكلام في العصور المتأخرة، مثلاً نشاهد ابن تيمية مضطرباً في موقفه عن علم الكلام، فلا يحرمه تحريماً باتاً بل يجوزّه إذا دعت إليه الضرورة، واستند إلى الأدلة العقلية والشرعية وصار سبباً لوضع حدّ لشبه الملاحدة والزنادقة<sup>١١</sup>.

ولكنه في الوقت نفسه يحرم علم المنطق ويؤلف رسالة اسمها «رسالة الردّ على المنطقيين» ويقول اتباعه: نجد ديكارت الفرنسي (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) اخترع مقياساً للفصل بين الخطأ والصواب بدلاً عن المنطق الأرسطاطاليسي، وكان يؤكد على أنّ الإنسان لو اتبع في تفكيره المقياس الذي اخترعه خطوة خطوة فإنّه لا مناص سينتهي إلى الصواب وستكون ثمرة السير مع المنهج الديكارتي، اليقين، ولكن انتهى الأمل في منهج ديكارت كما انتهى الأمل في منطق ارسطو بالنسبة إلى الانسان المعاصر وبقيت المسائل التي بحثت قبل الميلاد كما كانت<sup>١٢</sup>.

وهذا ما دفع جمعاً من المفكرين المسلمين القدماء إلى رفض الطريقة العقلية كما هو الحال بالنسبة إلى الإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) في كتابه «تهافت الفلاسفة» حيث هدم في هذا الكتاب آراء الفلاسفة بأدلة عقلية، والتأمل في كتابه هذا يشهد بأن رأي الإمام الغزالي هو: أن العقل الذي يبني هو العقل الذي يهدم.

والإمام الغزالي يثبت أن العقل الانساني في عالم الإلهيات والاخلاق لا يتأتى منه إلا ظنون لا تصل إلى اليقين. وقد ردّ عليه الفيلسوف الاسلامي ابن رشد الاندلسي (ت ٥٩٥هـ) في كتابه «تهافت التهافت». وابن رشد هو الذي يثبت أن العقل الصريح والنقل الصحيح ليس بينهما أيّ تعارض، وهذا ما يبدو من كتابه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» والعجيب أنّه في هذا الموقف يلتقي بابن تيمية في كتابه «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول».

كيف يمكن الجمع بين موقفي ابن تيمية هذين يا ترى؟

(١١) ابن تيمية، مجموع

الفتاوى ٣: ٣٦٦-٣٠٧.

(١٢) الدكتور عبدالحليم

محمود، التوحيد الخالص: ٥

٢٠٠.

إنّ منهج أهل الحديث لدى السنّة، والأخبارية لدى الشيعة<sup>١٣</sup> اتّباع ظواهر النصوص الشرعيّة من الآيات والروايات ومحاولة اجتنباب الرأي والقياس حسب الإمكان<sup>١٤</sup>. وينتشر المذهب السلفي أو مذهب أهل الحديث في عصرنا هذا في الجزيرة العربيّة (بلاد نجد) وتوجد جماعات قليلة منهم في العراق والشام ومصر<sup>١٥</sup>.

### المنهج العقلي المحض:

يتميز هذا المذهب باعتماده على العقل البشري كأداة للمعرفة، وهم أصحاب مدرسة الرأي في الفكر الاسلامي، وفي العقيدة يمثلهم «المعتزلة»، وقد بدأ هذا المنهج من عصر مبكّر من تاريخ الاسلام، ويعتبر المؤسس الأول لهذه المدرسة «واصل بن عطاء» (٨٠ - ١٣١هـ) وزميله «عمرو بن عبيد» (٨٠ - ١٤٤هـ) المعاصر للمنصور الدوانيقي، ثم من روادها احمد بن أبي دؤاد وزير المأمون العباسي والقاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني (ت ٤١٥هـ) ومن أكابرهم النظام وأبو الهذيل العلاف والجاحظ والجبائيان.

هذا الاتجاه يعطي العقل البشري قيمة كبرى ودوراً مهماً في معرفة الله سبحانه وصفاته، والشرعية الاسلامية في رؤيتهم لا يتم إدراكها وتطبيقها إلا بالعقل الانساني.

ولكن لا يوجد لهذا المذهب في عصرنا الحاضر أتباع وأنصار بهذا الاسم، وإنما دخلت عناصر من فكرهم في المذهب الزيدي والاباضي. وبإمكاننا أن نقول إن هؤلاء مشتركون مع المعتزلة في عدّة مواقف فكرية، وتلقّي - المعتزلة - أيضاً بالشيعة الإثني عشرية والاسماعيلية في بعض الجوانب، وأهل الحديث يطلقون على المعتزلة لقب «القدرية» لقولهم بحريّة الإرادة الإنسانية.

ومن أهمّ كتبهم التي جاءت فيها عقائدهم، كتاب «شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار المعتزلي و «رسائل العدل والتوحيد» تأليف جماعة من زعماء المعتزلة، كالحسن البصري والقاسم الرّسني وعبد الجبار بن أحمد.

كان المعتزلة إذا واجهوا آيات قرآنية أو سنّة مروية على خلاف معتقداتهم

(١٣) الشيخ المفيد، أوائل المقالات.

(١٤) السيوطي، صون المنطق والكلام عن علمي المنطق والكلام: ٢٥٢، الشوكاني، ارشاد الفحول: ٢٠٢، علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الاسلام: ١٩٤ - ١٩٥، علي حسين الجابري، الفكر السلفي عند الانساعشرية: ١٥٤ و ١٦٧ و ٢٠٤ و ٢٤٠ و ٢٤٤ و ٤٣٩.

(١٥) القاسمي، تاريخ الجهمية والمعتزلة: ٥٦ - ٥٧.

يؤولونها، ولذلك يعتبرون من أتباع مدرسة «التأويل»، وفي نفس الوقت قدموا خدمات كبيرة للإسلام وتصدّوا للهجوم الفكري العنيف المضاد للإسلام في العهد العباسي الأول. وقد مال إليهم بعض الخلفاء كالمأمون والمعتصم، ولكن سرعان ما انقلب الأمر عليهم في عهد المتوكل، وتتابع صدور أحكام الكفر والضلال والتفسيق عليهم، كما كانوا يؤذون مخالفيهم في عهد سيطرتهم على البلاط العباسي، ويعذبون من لا يرى رأيهم.

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المؤلفات الحديثة والقديمة في هذا المجال<sup>١٦</sup>. وكان للمعتزلة خمسة أصول يعرفون بها:

١- التوحيد، بمعنى تنزيه الله سبحانه عن صفات المخلوقين، وعدم إمكان رؤيته بالأبصار مطلقاً.

٢- العدل، بمعنى أنه سبحانه لا يظلم عباده ولا يجبر خلقه على المعصية.

٣- المنزلة بين المنزلتين، أي أن مرتكب المعصية الكبيرة لا مؤمن ولا كافر بل فاسق.

٤- الوعد والوعيد، بمعنى أنه يجب الوفاء على الله في وعده بالجنة للمؤمنين وفي وعيده بالنار للكافرين.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي وجوب مخالفة الحكّام الظلمة إذا لم يترددوا عن ظلمهم<sup>١٧</sup>.

### مكانة المذهب الأشعري والمذهب الماتريدي بين المذاهب

المذهب الأشعري - ويمثله اليوم غالبية أهل السنة في العالم - مذهب معتدل بين المعتزلة وأهل الحديث، فإن الشيخ أبا الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) كان في بداية أمره معتزلياً وعاش على هذا المذهب قرابة أربعين سنة، ونحو سنة (٣٠٠هـ) أعلن على منبر الجامع بالبصرة براءته من الاعتزال، ورجوعه إلى مذهب السنة والجماعة، وأراد أن يسلك في الجمهور مسلكاً وسطاً على الظاهر بين الطريقة العقلية للمعتزلة وطريقة أهل الحديث، وأراد أن ينتصر لأهل الحديث ولكن بنفس أسلوب المعتزلة، أعني بالاستدلال العقلي والبرهنة.

(١٦) زهدي حسن جاراالله، المعتزلة، ط ٢، بيروت، دار الأملية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م.

(١٧) القاسم الرسي، رسائل العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الله الواحد الحميد ١، ١٠٥.

وبسبب ذلك نفاه المعتزلة عنهم ورفضه أهل الحديث، وهم إلى الآن يؤخذونه بملاحظات أساسية يعدونها انحرافاً جذرياً في العقيدة، حتى إن بعض المتطرفين منهم يكفرونه.

وكان رجل آخر معاصراً للاشعري يريد أن ينتهج نفس المنهج دون أن يكون بينهما صلة ولا علاقة، وهو أبو منصور الماتريدي السمرقندي (ت ٣٣٣هـ) وهو أيضاً إمام لطائفة من أهل السنة في العقيدة، وأحياناً توجد بين آراء الزعيمين اختلافات أنهاها بعض إلى أحد عشر فارقاً أساسياً<sup>١٨</sup>.

وأهم ميزات مدرسة الاشعري أنه كثيراً ما يتجنب عن تأويل ظواهر الآيات والروايات ويحاول أن يهرب عن الوقوع في مهاوي التشبيه والتجسيم بالقول «بلا كيف» في صفات الباري، وعن مهاوي الجبر في مسألة القدر بقوله «بالكسب»، وإن كان منهجه هذا يعتبر لدى فريق آخر من العلماء عجزاً وقصوراً عن حل المسائل الفكرية والاعتقادية. وتدرجياً استطاع المذهب الاشعري الصمود أمام حملات أهل الحديث وانتشر في العالم الاسلامي<sup>١٩</sup>.

### المنهج الذوقي

من هنا نقل الحديث إلى اتجاه آخر متمايز، يضع المسائل الكلامية على طاولة البحث والنقاش ويسلك فيها المسلك الرمزي الذوقي الخاص بالصوفية، وهو مسلك يختلف تماماً عن مسلك الفلاسفة والمعتكلمين القائم على العقلية ثم السمعية. ويعتبر الحلاج (ت ٣٠٩هـ) مؤسساً لهذه المدرسة في بغداد، والإمام الغزالي من اكبر رواد هذه الطريقة، فهو يقول في كتابه «إجماع العوام عن علم الكلام» إن هذه طريق «الخاصة» وما دونها طريق «العامة» ومن لا يفرق عنهم سوى أنه يعرف «الادلة» وليس الاستدلال<sup>٢٠</sup>.

وقد أفرد بعض الباحثين كتاباً خاصاً في منهج الإمام الغزالي والصوفية في دراسة العقيدة الاسلامية<sup>٢١</sup>.

وقد نبّه على منهجه الدكتور صبحي قائل:

«وإذا كان الغزالي قد حرّم النظر في حقيقة الذات الإلهية على العامة، وذلك ما لا

(١٨) راجع في ذلك المصادر التالية: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، قسم الاشاعرة والماتريدية، الشيخ جعفر السبحاني: الملل والنحل، ١، ٢، ٤، والفرد بل، الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي: ١١٨ - ١٢٠، احمد محمود صبحي، في علم الكلام ١.

(١٩) السبكي، طبقات الشافعية ٣: ٣٩١، الياقعي، مرآة الجنان ٣: ٣٤٣، ابن كثير، البداية والنهاية ١٤: ٧٦.

(٢٠) إجماع العوام عن علم الكلام: ٦٦ - ٦٧.

(٢١) الدكتور سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي.

ينكره أحدٌ عليه، فانه ادرج ضمن العوام الأدباء والنحاة والمحدّثين والفقهاء والمتكلمين، وجعل التأويل مقصوداً على الراسخين في العلم، وهم في نظره الأولياء الغارقون في بحار المعرفة، المتجرّدون عن دنيا الشهوات، وهي عبارة تعدّ قرينة لصحة دعوى من رأى من الباحثين للفزالي معتقداً خاصاً في الحكمة الإشرافية وفي الفيض، وفي نظرية المطاع مغايراً لمعتقده العام الذي أصبح به في نظر جمهور المسلمين حجة الاسلام.

ويتساءل الدكتور صبحي:

«هل الراسخون في العلم هم الصوفيّة دون الفقهاء والمفسرين والمتكلمين؟! وإذا كان الشر قد ثار منذ فشت صناعة الكلام، ألا يفتح هذا الاستثناء المجال للصوفيّة أن يكون لهم وحدهم السبيل إلى الشطحيات والدعاوى؟! ونظريات التصوّف الفلسفي كالفيض والاشراق وأصولها الأجنبية واضحة، وشرورها على العقيدة الاسلامية ليست بأهون من شرور المتكلمين»<sup>٢٢</sup>.  
ولكن مع ذلك كلّ فقد تركوا تراثاً ضخماً في العقيدة الاسلامية على النهج الصوفي ومن أمثلة ذلك كتاب «الفتوحات المكيّة»<sup>٢٣</sup>.

### المنهج العلمي التجريبي

هذا منهج حديث في الفكر الاسلامي، وقد تبع فيه بعض العلماء المسلمين في القرن الاخير رواد الفكر الأوربي المعاصر، ويوجد أتباعه في مصر الحديثة وفي الهند والعراق، وجميع البلدان الاسلامية التي احتك أهلها بالاستعمار الغربي وبالتّيارات الفكرية الوافدة من الغرب إلى العالم الاسلامي.

ولهم رأي خاص في أدوات المعرفة البشرية، ومن ميزاتهم الاعتماد التام على الأساليب الحسّية والتجريبية، ورفض المنهج العقلي القديم والمنطق الارسطاطاليسي رفضاً باتاً، وحاولوا البحث عن المعارف الإلهية (والميتافيزيقا) والدين بأساليب العلوم العملية والتجربة الميدانية<sup>٢٤</sup>.

ومن آثار هذا المذهب الكلامي تفسير المعجزات تفسيراً مادياً وتفسير النبوة بالنبوغ والعبقريّة البشرية، وقد أفرد بعض الباحثين دراسته لهذا الاتجاه<sup>٢٥</sup> وتوجد

(٢٢) الدكتور احمد محمود صبحي، في علم الكلام ٢: ٦٠٤-٦٠٦.

(٢٣) راجع في ذلك: الشعراني، عبدالوهاب بن احمد، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، وسميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الاسلام، ط ٣، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٢٤) الدكتور عبدالحليم محمود، التوحيد الخالص، او الاسلام والعقل، المقدمة.

(٢٥) الدكتور عبدالرزاق نسوق، المسلمون والعلم الحديث، فريد وجدي، الاسلام في عصر العلم.

(٢٦) ترجمة تفسير القرآن :  
٦ - ٢٥.

**منهج آل البيت عليهم السلام أو المنهج الفطري**

﴿فَإِذَا فُتِنُوا مِنَ النَّاسِ فَلْيُفْتِنُوا عَلَيْهِمْ لَا تَبْدِيلَ لَخُلُوقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٨.

وقد نوه البارئ الكريم أنَّ خير طريقة للوصول إلى المعارف الدينية هي الفطرة الإنسانية السليمة التي لم تتغير ولم تتبدل بالبيئة الفاسدة وسوء التربية، ولم تنطمس بالأهواء والمجاذلات، وأن أكثر الناس لا يستطيعون الوصول إلى الحق والحقيقة (لا يعلمون) بسبب أنَّ العصبية أطفأت نور فطرتهم، والطفیان حال بينهم وبين الاهتمام بفطرتهم إلى الحقائق والعلوم الحقيقية الإلهية.

(٢٩) صحيح البخاري، كتاب  
الجنائز، وكتاب التفسير ٣٠.

١، قدر، ٣، صحيح مسلم،  
كتاب القدر ح ٢٤، ٢٣، ٢٤.  
واحمد بن حنبل، المسند ٥:  
٢٣٢، ٣٧٥، ٣٩٣، ٤١٠، ٤٨١،  
وج ٣: ٢٥٣، وراجع صراط  
الحق لأصف محسنی.

(٣٠) الحجرات: ١٧.

﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>٢٠</sup>

ويقول في آية أخرى:

(٣١) النور: ٢١.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾<sup>٢١</sup>

ومن ميزات هذا المنهج أن أتباعه يتجنبون الوقوع في المناظرات الكلامية والشكوك والشبهات المعقدة، ويحتجّون بأحاديث أهل البيت (عليه السلام) في النهي عن الخصومات في الدين والجدال، ويرون أنّ المتكلمين الذين لم يهتدوا إلى هذا المنهج قد يصل اختلافهم في مذهب واحد على مسائل العقيدة إلى قرابة مائة مسألة<sup>٢٢</sup>.

وقد يعبر بـ «الطينة» في روايات أهل البيت (عليه السلام) عن هذه الفطرة التي خلق الله الانسان عليها، وقد يعبر عنها بالعقل المطبوع، ومن أراد ذلك فليراجع المعاجم الحديثية لشيعا أهل البيت الذين احتفظوا بتراثهم المجيد<sup>٢٣</sup>.

(٢٢) علي بن طاووس، كشف المحجة لشمرة المهجة: ١١ - ٢٠، مكتبة الداوري، قم، بدون تاريخ.

(٢٣) الكليني، الكافي ١: ٣١٠، (باب الهداية) ٣: ٢، (باب طينة المؤمن والكافر) ط ٤، الإسلامية، طهران، ١٣٩٢ هـ.

### أصول منهج أهل البيت (عليه السلام) في دراسة العقيدة الإسلامية

من أهمّ المباحث في العقيدة، البحث عن مصادرها. ومصادر العقيدة كما ذكرنا سابقاً تنحصر في الكتاب والسنة، ولكن الفارق الأساس هنا بين منهج أهل البيت وغيرهم، أنهم يظّلون أوفياء لهذه المصادر، ولا يؤثرون عليها هوى ولا عصبية، وإنّما يراعون في استقاء العقيدة عن هذين المصدرين الاصول العامة للاجتهد المأثورة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن القرآن الكريم، ومن ذلك:

١ - لا يقدّمون الاجتهاد على النصّ، إذا كان النصّ خالياً عن المعارض، أو أن المعارض لا يقوى على مقاومة النصّ، بخلاف بعض أرباب الأهواء والمذاهب، فإنّهم يريدون أن يتخلّصوا من بعض النصوص بتأويلات واهية ومبرّرات ضعيفة سنوافيك بنماذج منها، ونبّه إلى ذلك أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في كلامه للحارث بن حوط: «... إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه»<sup>٢٤</sup>.

٢ - ويمكن استخلاص أصل آخر من ذلك وهو: «أنّ أتباع أهل البيت (عليه السلام) لا يقدّمون على النصّ والرواية شيئاً، حينما يكون النص متواتراً قطعياً»، وهذا أصل

(٢٤) نهج البلاغة، الحكمة: ٢٦٢.

هام في العقيدة الاسلامية، فإنَّ الظنون والأوهام لا مجال لها في العقيدة، وهذا ما يجب أن ينتبه اليه الاتجاه السلفي الذي يقبل الروايات الضعيفة وأخبار الآحاد في العقيدة، ويدافع عنها دفاع المستميت، ويكفر عليها المسلمين. فعليه أن ينتبه أن في الروايات صدقاً وكذباً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً<sup>٣٥</sup>. وسيوافيك مزيد من الشرح والإبانة عن هذا الموضوع.

(٣٥) نهج البلاغة، الخطبة:

٢١٠.

٣ - العقائد الاسلامية تنقسم إلى قسمين: ضروري ونظري. والضروري ما لا ينكره أحدٌ إلّا خرج من الدين، لبداية اندراجهِ في الدين كالتوحيد والنبوة والمعاد. والنظري ما يحتاج إلى الفحص والبرهان والشاهد والدليل، ويمكن أن يختلف فيه أرباب المذاهب وأصحاب الآراء. ومنكر الضروري يكفر ولا يمكن تكفير منكر النظري.

٤ - عدم القول في العقيدة بالقياس والاستحسان.

٥ - الايمان بموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، بشرط مراعاة توفر الاوصاف فيهما، ولا يعامل الظن كالقطع، ولا يؤخذ بالمنقول الضعيف ولا بخبر الواحد مكان الصحيح المتواتر.

٦ - وجوب الاجتناب عن الاجتهادات وعدم استخدام التعابير التي تعدّ من «البدعة».

٧ - عصمة الأنبياء والأئمة الاثني عشر عليهم السلام بالادلة القطعية، فإذا صح عنهم شيء وجب الإيمان به، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، ولكنه إذا راعى شروط الاجتهاد وبذل جهده واستفرغ وسعه فهو معذور.

٨ - يوجد في الأمة من يسمى «مُحدثاً» و«ملهماً»، ومن يرى الرؤيا الصحيحة ويهتدي إلى الحقائق، ولكن كلّ ذلك يحتاج إلى الاثبات، وله مجاله في العقيدة، والعمل لا يعدو عنه بوجه من الوجوه.

٩ - المناظرة والنقاش في العقيدة إذا كانا بقصد الإفهام والتفهم المقترن بالأدب والتقوى فهو أمر مرغوب فيه، ولكن على المرء أن لا يقول ما لا يعلم، وإذا وصلا إلى المرء والأجاج ورافقا المنكرات القولية والخلقية فهو امر قبيح يجب الاجتناب عنه صوناً للعقيدة.



١٠ - «البدعة» ما يخترع باسم الدين دون أن يكون منه، أو يكون له أصل في الشريعة، وقد يسمى شيء بدعة وليس ببدعة عند الامعان والتدقيق، وقد يسمى أمر سنة وليس الأمر كذلك فيجب التثبت أولاً ثم الإفتاء<sup>٣٦</sup>.

١١ - وجوب التدقيق والتعمق في «التكفير» وما لم يثبت كفر أحد بإقراره أو بقيام البيّنة عليه بحيث لا يمكن تطرّق شبهة عليه فلا يجوز الحكم بتكفيره، لأن التكفير موجب للحّد الشرعي، والقاعدة في الحّد الشرعي: «أن الحدود تدرأ بالشبهات»، وإن التكفير من أعظم الذنوب إلا أن يكون بحق<sup>٣٧</sup>.

١٢ - وجوب ردّ الخلافات إلى الكتاب والسنة والعبرة كما أمر به رسول الله ﷺ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعُظِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>٣٨</sup>.

١٣ - منهجهم في الصفات: أن الله عز وجل حيّ لنفسه لا بحياة وأنه قادر لنفسه وعالم لنفسه لا بالمعنى الذي ذهب إليه المشبهة من أصحاب الصفات والأحوال المبتدعات، كما أبدعه أبو هاشم الجبائي وفارق به سائر أهل التوحيد وارتكب أشنع من مقال أهل الصفات. وهذا مذهب الإمامية كافة والمعتزلة - إلا من سقّناه - وأكثر المرجّنة وجمهور الزيدية وجماعة من أصحاب الحديث والحكمة<sup>٣٩</sup>، فهم بذلك بين أهل الاثبات والتعطيل.

١٤ - يعترفون بالحسن والقبح العقليين وأن العقل يدرك حسن بعض الأشياء وقبحها بالضرورة.

### تطبيقات لمنهج أهل البيت (عليه السلام) في العقيدة

يبرز هذا المنهج عندما يطبق في مباحث العقيدة معلومات واضحة ومعطيات يقينية راقية، وهذه نماذج منها:

في باب التوحيد:

يعطي منهج أهل البيت (عليه السلام) في هذا الباب: التنزيه المطلق، عملاً بقوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>٤٠</sup>.

(٣٦) الشريف المرتضى، علي

بن الحسين الموسوي (ت

٤٣٦هـ): رسائل الشريف

المرتضى، رسالة الحدود

والحقائق.

(٣٧) تكفير القائلين بأنّ لله

تعالى صفات كان موصوفاً

بمفاهيمها وبذلك بالغوا في

الاثبات إلى حدّ التشبيه.

(٣٨) النساء: ٨٣.

(٣٩) الشيخ المفيد، أوائل

المقالات: ٨٨.

(٤٠) الشورى: ١١.

وكذلك يثبت بها نفي الرؤية البصرية لله سبحانه وتعالى مطلقاً، عملاً بقوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>٤١</sup>.

(٤١) الأنعام: ١٠٣.

وكذلك يبين عدم إمكان وصفه تعالى بصفات المخلوقين ومن قبل المخلوقين،

عملاً بالآية الكريمة:

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>٤٢</sup>. والآية: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

(٤٢) الأنعام: ١٠٠.

يُصِفُونَ﴾<sup>٤٣</sup>.

(٤٣) الزخرف: ٨٢.

في باب العدل:

نتيجة التطبيق العملي لمنهج آل البيت (عليهم السلام) في العقيدة هي نفي الظلم عن الله

(٤٤) النساء: ٤٠.

سبحانه وتعالى وإطلاق العدل عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>٤٤</sup>.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>٤٥</sup>.

(٤٥) يونس: ٤٤.

في باب النبوة:

منهج آل البيت (عليهم السلام) في مبحث النبوة يؤدي إلى القول بعصمة الأنبياء مطلقاً،

(٤٦) آل عمران: ١٦١.

عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُ وَمَنْ يَفْضُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>٤٦</sup>.

(٤٧) الأنعام: ١٥.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>٤٧</sup>.

(٤٨) الحاقة: ٤٤-٤٦.

وكذلك يعتقدون بعصمتهم في أداء الوحي، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا

بَغْضَ الْأَقَاوِيلَ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْفُتُورَ﴾<sup>٤٨</sup>.

وكذلك القول بعصمة الملائكة لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا

(٤٩) التحريم: ٦.

يَخْضُونَ لِلَّهِ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>٤٩</sup>.

(٥٠) البقرة: ١٢٤.

في باب الإمامة:

كذلك يقولون في باب الإمامة بأنها عهد إلهي، ولا يصل إلى غير المعصوم،

(٥١) الشيخ المفيد، أوائل

وذلك في الإمامة الكبرى، أي النيابة عن النبي في أمور الدنيا والدين، عملاً بقوله

المقالات: ٤٦.

تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ

ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>٥٠</sup>.

وبذلك نصل إلى نتيجة وهي: أن منامات الرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) صادقة

لا تكذب، وأن الله تعالى عصمهم عن الخطأ في الأحلام<sup>٥١</sup>.

وكانت هذه نماذج من التطبيقات لمنهجهم (عليهم السلام) في العقيدة.

## دور العقل في الاستنباط على ضوء منهج أهل البيت (عليه السلام)

هذا المنهج متوسط بين التطرف المعتزلي والجمود الظاهري وطريقة أصحاب الحديث.

يقول الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ):

«ليس يضر الإمامية في مذهبها الذي وصفناه عدم التواتر في أخبار النصوص على أئمتهم (عليهم السلام). ولا يمنع من الحجّة لهم بها كونها أخبار آحاد، لما اقترن إليها من الدلائل العقلية فيما سميناه وشرحناه من وجوب الإمامة وصفات الأئمة (عليهم السلام) بدلالة أنها لو كانت باطلة على ما توهم الخصوم لبطلت بذلك دلائل العقول الموجبة لورود النصوص على الأئمة...»<sup>٥٢</sup>.

ويقول أيضاً: «فإني بتوفيق الله ومشيتته مثبت في هذا الكتاب ما أوثر إثباته من فرق ما بين الشيعة والمعتزلة، وفصل ما بين العدلية من الشيعة ومن ذهب إلى العدل من المعتزلة»<sup>٥٣</sup>.

ويقول الشيخ الصدوق، محمد بن بابويه (ت ٣٨١هـ): «... إن الله لا يدعو إلى سبب إلا بعد أن يصور في العقول حقائقه، وإذا لم يصور ذلك لم تتسق الدعوة، ولم تثبت الحجّة، وذلك أنّ الأشياء تألف أشكالها وتنبو عن أضدادها، فلو كان في العقل انكار الرسل لما بعث الله عزّوجلّ نبياً قط»<sup>٥٤</sup>.

ويقول أيضاً: «القول الصواب في هذا الباب هو أن يقال: عرفنا الله بالله، لأنّا إن عرفناه بعقولنا، فهو عزّوجلّ وأهبا، وإن عرفناه بأنبيائه ورسله وحججه (عليهم السلام) فهو عزّوجلّ باعثهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عزّوجلّ محدثها. فبه عرفناه»<sup>٥٥</sup>.

وهذا الأسلوب من استخدام العقل، أي تشفيعه بالثقل وبالأئمة المعصومين لا نكاد نراه في أي منهج إسلامي غير منهج آل البيت (عليهم السلام).

وفيما يلي نص رواية عن صادق آل محمد (عليهم السلام) في هذا المجال:

قال الصادق (عليه السلام): «لولا الله ما عرفنا، ولولا نحن ما عرف الله»<sup>٥٦</sup>.

ويقول ابن بابويه في شرحه: معناه لولا الحجج ما عرف الله حق معرفته، ولولا

الله ما عرف الحجج»<sup>٥٧</sup>.

(٥٢) الشيخ المفيد، المسائل الجارودية: ٤٦، طبع المؤتمر العالمي للذكرى الألفية للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

(٥٣) الشيخ المفيد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات.

(٥٤) ابن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، الطبعة الحجرية، طهران، ١٣٠١هـ.

(٥٥) كتاب التوحيد: ٢٩٠.

(٥٦) المصدر نفسه.

(٥٧) المصدر نفسه.

## موقفهم من المناظرات الكلامية

مر بنا فيما سبق أن هناك اتجاهاً متطرفاً ينهى عن المناقشة والمناظرة والجدل في الدين بتاتاً، وهناك منهج معتدل يفضل ويفرق بين أقسام المناظرة. إن منهج آل البيت عليهم السلام في هذا أيضاً منهج وسط، وهو - تبعاً للكتاب العزيز - يُفَرِّق بين قسمين من الجدل: ١ - الجدل الحسن. ٢ - الجدل القبيح. يقول تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَابِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ﴾<sup>٥٨</sup>.

(٥٨) النحل: ١٢٥.

وفي ذلك يقول الشيخ المفيد رحمته الله:

«وقد أمر الصادقون عليهم السلام جماعة من أشياعهم بالكف والامساک عن إظهار الحق، والمباينة والستر له عن أعداء الدين، والمظاهرة لهم بما يزيل الريب عنهم في خلافهم، وكان ذلك هو الأصلح لهم. وأمرُوا طائفة أخرى من شيعتهم بمكالمة الخصوم ومظاهرتهم ودعائهم إلى الحق، لعلهم بأنه لا ضرر عليهم في ذلك»<sup>٥٩</sup>.

(٥٩) المفيد، تصحيح الاعتقاد.

٦٦.

والمقصود من الصادقين في كلامه، هم الأئمة المنصوصون من العترة النبوية الذين شهد الله بطهارتهم في كتابه، وبزأهم عن الذنوب والمعاصي بقوله:

(٦٠) الأحزاب: ٣٣.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>٦٠</sup>.

وأمر الأمة بتقوى الله وملازمتهم وعدم مفارقتهم في العقيدة والعمل بقوله:

(٦١) التوبة: ١١٩.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>٦١</sup>. وهم الأئمة الذين نصّ

عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكلّ إمام منهم كان ينصّ على الإمام التالي، حتى اثني عشر إماماً. وقد جاء التنويه عليهم وعلى عددهم وعلى أولهم في السنة المطهرة، ومن أرادها فليرجع إلى مظانها<sup>٦٢</sup>.

(٦٢) ابن عيَّاش الجوهري،

مقتضب الأثر في النص على

عدد الأئمة الاثني عشر، ابن

طولون الدمشقي، الشذرات

الذهبية في أئمة الاثنا عشرية،

المفيد: المسائل الجارودية:

٤٥-٤٦، المؤتمر الألفي

لذكرى الشيخ المفيد، قم،

١٤١٣هـ، وراجع: الحز

الماسلي، محمد بن الحسن،

اثبات الهداة بالانصوص

والمعجزات، تحقيق أبو طالب

تجليل، قم، ١٤٠٦هـ.

## وجوب النظر في معرفة الله

ومتى يؤكّد ملازمة العقل والشرع في منهج أهل البيت عليهم السلام ما جاء عن محمد بن

علي بن بابويه (الشيخ الصدوق) رحمته الله، وهذا نصّه:

«وإنما استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة ثم إلى القمر ثم إلى

الشمس وقوله لنا أفلت: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾، فانه عليه السلام كان نبياً ملهماً

مبعوثاً مرسلأ بإلهام الله عزوجل إياه، وذلك قوله عزوجل: ﴿وَبَلَّغْنَاكَ خُجَّتَنَا آتَيْنَاهَا  
إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾، وليس كل أحد كإبراهيم عليه السلام ولو استغنى في معرفة التوحيد  
بالنظر عن تعليم الله عزوجل وتعريفه، لما أنزل الله عزوجل ما أنزل من قوله: ﴿فَاعْلَمْ  
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>٦٣</sup>.

يقصد ابن بابويه أن العقل لا يستطيع أن يتوصل إلى معرفة الله بصورة تامة  
دون مساعدة السمع (الوحي) علماً بأن هذا لا يعني أن النتائج التي يتوصل إليها  
العقل فاقدة للاعتبار.

وكذلك الشيخ المفيد يقول بأن العقل محتاج إلى الوحي في مقدماته ونتائجه<sup>٦٤</sup>.  
وفي الوقت نفسه يدعم الشيخ المفيد استعمال العقل في فهم العقيدة الإسلامية  
ويقول: «فأما النهي عن الكلام في الله عزوجل فإنما يختص بالنهي عن الكلام في  
تشبيهه بخلقه وتجويره في حكمه»<sup>٦٥</sup>.

ويحتج على المخالفين لاستعمال العقل والنظر، ويصفهم بضعف الرأي،  
ويقول: «في العدول عن النظر المصير إلى التقليد المذموم باتفاق الكلمة»<sup>٦٦</sup>.

### دور النقل

ذكرنا سابقاً أن العقل في منهج آل البيت عليه السلام على الرغم من دوره البارز في  
المعرفة الدينية، لا يستقل بالمعرفة ما لم يهتد بنور الوحي، وهذا ما لا ينكره أحد  
من المذاهب الإسلامية والمدارس الكلامية، وإنما الاختلاف في حدود الاعتماد على  
النقل، لأن النقل (المقصود به الحديث هنا لأن القرآن الكريم منقول بالتواتر) قد  
يصل إلينا بشكل حديث متواتر، أي ما لا يبقى أي مجال للشك فيه، لكثرة الناقلين  
والرواة، بحيث يطمئن الإنسان بصدور الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أو العترة  
الطاهرة عليه السلام أو الصحابة الكرام، وقد لا يصل إلى هذا الحد، ويحصل منه ظن قوي  
أو ضعيف، وقد يصل إلى درجة يسمونه خبر الواحد أي ما رواه شخص واحد  
وآدعى صدوره رأي منفرد، فعند ذلك يحصل منه ظن، لا يبتعد عن الشك والجهل  
كثيراً.

إن منهج أهل البيت عليه السلام، في هذه الحالة عدم الركون والاعتماد على هذه

(٦٣) التوحيد: ٢٩٢.

والآيات: الانعام: ٧٨.

و ٨٣. ومحمد: ١٩.

(٦٤) أوائل المقالات: ١١-١٢.

(٦٥) تصحيح الاعتقاد

بصواب الانتقاد: ٢٦.

٢٧.

(٦٦) تصحيح الاعتقاد

بصواب الانتقاد: ٢٨.

مطبوع مع أوائل المقالات.

نبريز، ١٣٧٠ هـ.

الرواية، ما لم تنضم إليها قرينة ووثيقة تثبت صدقها.

### عدم الاعتماد على خبر الواحد في العقيدة

ويشتد الاحتياط عندهم حينما يتعلّق الأمر بمسائل العقيدة، فإنها لأهميتها لا يمكن أن يستدلّ لإثباتها بدليل ضعيف وحجّة واهية، خاصّة أن زماننا يبتعد عن زمن النبي ﷺ والسلف الصالح بكثير، فعلينا أن نجتهد ونسعى في الاجتناب عن القول بالظن والخرص ونتمسك باليقينيات أو ما يقاربها حذراً من الوقوع في الفتن والخلافات الجدلية التي تشكّل أكبر خطر على دين الأمة وعلى وحدتها.

وفي ذلك يقول الشيخ المفيد:

«وأقول: إنه لا يجب العلم ولا العمل بشيء من أخبار الآحاد ولا يجوز لأحد أن يقطع بخبر الواحد في الدين إلّا أن يقتنن به ما يدلّ على صدق راويه على البيان، وهذا مذهب جمهور الشيعة وكثير من المعتزلة والمحكمة وطائفة من المرجئة وهو خلاف لما عليه متفقهة العامة وأصحاب الرأي»<sup>٦٧</sup>.

وهذا يدلّ على احتياط اتباع آل البيت ﷺ في مسائل العقيدة، فإنهم ﷺ أمروا أتباعهم بالاحتياط، وقالوا: «أخوك دينك فاحتط لدينك»، وقالوا: «أورع الناس من وقف عند الشبهة».

### خاتمة المطاف

وبذلك نصل إلى نهاية جولتنا في منهج آل البيت ﷺ في العقيدة الإسلامية فإنّ منهجهم كما تبين في الصفحات السابقة منهج متكامل، ولا يدع أداة من أدوات المعرفة إلّا ويستخدمها في مجالها الخاص، فلا يتعدّى مثلاً بالتجربة إلى مجال المسائل الإلهية، وصفات الباري، لأنّها خارجة عن متناول هذه الأداة، ولا يجمد على واحدة من هذه الأدوات، مثلاً على الاشراف الباطني والذوق الصوفي، ولا يغالي في قيمة واحدة منها كالعقل ولا يجازف في كفاءتها لإدراك جميع الأمور بالاستقلال حتى إذا تعلّق الأمر بالمغيبات وتفاصيل المعاد، ولا يدعي أن النقل (الوحي) يمكن أن يدرك بدون الاستضاءة بنور العقل، وكذلك لا يبادر إلى قبول كلّ

(٦٧) أوائل المقالات في

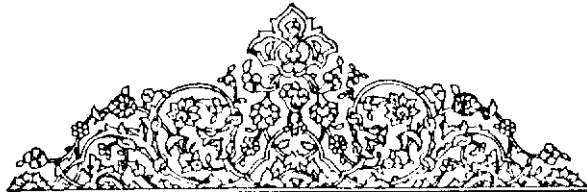
المذاهب والمختارات: ١٠٠

تبريز، إيران، ١٣٧٠هـ.

ما جاء في صورة رواية وسنة ونقل، ما دام لم يتحقق من صحة انتسابه إلى الرسول ﷺ أو إلى الصحابة أو الأئمة عليهم السلام، وما لم يقارن بينه وبين سائر النصوص الثابتة وبين الكتاب العزيز، ويعرف الخاض من العام والناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه والحقيقة من المجاز، وبتمام معنى الكلمة يؤكد على «الاجتهاد» الذي هو بمعنى بذل الجهد واستفراغ الوسع في فهم المراد الشرعي من النصوص، وأخيراً لا يتحاشى النقد والمناظرة والمناقشة إذا خلت من إثارة لعواطف أو إيقاع لعداوة، بل هو دعوة إلى سبيل الرب، وجدال بالتّي هي أحسن، وحكمة وموعظة حسنة، كما قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَقُّ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَبْلُغُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>٦٨</sup>.

(٦٨) الأعراف: ٤٢-٤٣.



قال الإمام الصادق (ع):

يَا بَرُّسُ إِذَا أُرِدْتَ الْعِلْمَ  
صَحِّحْ فَخْذَ عَمَلٍ هَلْ لَبَّيْتُ،  
فَانَّارَ رِيَاءٍ وَأَوْتِنَا سَمْعَ  
الْحِكْمَةِ وَفَصَلَ الْخَطَابِ.

# من خصائص التعبير الفني والإدبي في الفترة الكلاسيكية

فنون وآداب

\* فالح الربيعي

العراق

كلما حاول الأديب أن يحزّر قلمه من التقريرية والمباشرة في الوصف، رفع من قيمة وروعة نتاجه الأدبي.

وقد يعمد القرآن الكريم إلى نفخ الحياة والعقل في الأشياء والجمادات، وهذا النوع من التصوير هو أسمى وأرفع أنواع التصوير الأدبي والفني.

وعلى سبيل المثال فلنتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾<sup>١</sup> وما فيه من جمال وفنّية وروعة في التصوير؛ فلقد عمد القرآن الكريم إلى استعارة صورة الانسان لحالة فوران الغضب في النفس، وكأنّ الغضب كائن ينمو في نفس الانسان في حالة غياب سيطرة العقل ليحرّضه ويدفعه إلى الثورة والانفعال، وكأنّ - أيضاً - حالة هدوء هذا الغضب تشبه سكون ذلك الكائن وكفّه عن الدفع والتحريض، ونفس هذه الحالة - حالة إضفاء الحياة على الجماد - نجدها في قوله عزّ وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ \* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ \* تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾<sup>٢</sup>.

(١) الاعراف: ١٥٤.

(٢) الملك: ٦-٨.

فلقد أبدع القرآن الكريم في تصوير وتمثيل حالة سوء العاقبة، والعذاب الشديد الذي سيؤول إليه الخارجون عن طاعة الله في يوم القيامة، من خلال تشبيه جهنم بكائن وحشي يكاد يتفجّر ويتميّز غضباً وغيظاً، فإذا له شهيق وفوران.



## تشبيهه العاقل بغيره:

وقد يحدث العكس - والضابط في ذلك تقديم الصورة الحية المؤثرة في النفس والمساعدة على إدراك المعنى - فيعمد القرآن الكريم الى تشبيهه العاقل بغير العاقل، كقوله عز من قائل في تصوير حالة إغراض الكفار والمشركين عن التذكرة الإلهية:

﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ التَّذْكِرةِ مُعْرِضِينَ \* كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ \* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾<sup>٢</sup>

(٣) المائدة: ٤٩-٥١.

فهذه الصورة تثير في نفوسنا الكثير من التهكم بالحالة النفسية المسيطرة على المعرضين عن هدى الله، فهم يهربون من النور والحق هروب الحُمُر الوحشية من الاسد عندما تقع انظارها عليه، فسوء عاقبة الكفار، ومرض قلوبهم، والغشاوة المحيطة بأبصارهم كل ذلك هو الذي دفعهم الى الهروب من الحق والهدى وكأنهم كائنات ألفت العيش في الظلمات حتى إذا سلط عليها بصيص من نور استخفت ولادت بالفرار منه!

## استخدام المؤلف:

والقرآن الكريم يوظف في صوره الأدبية والفنية كل ما هو مألوف في حياة الانسان، زيادة في التأثير، وضماناً في الاقتناع؛ فقد يستمد عناصر تلك الصور من الطبيعة، من نباتها وحيوانها وجمادها كالعرجون، وأعجاز النخل، والعصف المأكول، والأشجار الطيبة، والسنابل، والعنكبوت، والحمار، والكلب، والفراش، والجمال، والأنعام، والعهن المنفوش، والجبال، والحجارة، والخشب ... متوخيأ في كل ذلك الدقة الفائقة في التصوير، هذه الدقة التي تصل الى حد الإعجاز، لاحظ - مثلاً - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾<sup>٤</sup>

(٤) الصف: ٣.

فأية دقة ومطابقة أكبر من أن توصف الوحدة والتلاحم اللذان ينبغي أن يسودا التجمع الايماني عند القتال بالبنيان المرصوص المتلاحم الأجزاء، والمتماسك الى حد (الرص)، وعدم السماح لأي شيء بالتفوذ إلى داخله؟ فهذا التشبيه يثير في أذهاننا تصوراً دقيقاً لقوة ومناعة الجماعة المؤمنة وهي تحارب الأعداء.

وتحقيقاً لعنصر الدقة في التصوير الذي يعدّ من أهم عناصر التعبير الفني يعمد

القرآن الكريم في كثير من صوره إلى جعلها صوراً تفصيلية لا تفوتها الجزئيات، فهو لا يكتفي بذكر صفة واحدة للمعنى الذي يطرحه، بل يبادر في كثير من الأحيان إلى مد هذا المعنى بأكثر من تشبيه، توخياً للدقة التي تعد شرطاً ضرورياً وأساسياً لجمال الصورة وتأثيرها، تأمل قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ المنفوش﴾<sup>٥</sup>.

(٥) الحاقة: ٤.

فقد كان بإمكان التعبير القرآني أن يكتفي بوصف الحالة التي ستؤول إليها الجبال يوم القيامة بأنها «عهن» أي صوف، ولكنه أضاف إلى هذه الصفة صفة أخرى زادت من دقة هذه الصورة، وأضاف إليها العمق والقدرة على التأثير فوصف هذا (العهن) بأنه (منفوش) لكي ترسم في أذهاننا صورة أقرب إلى الحقيقة عن مصير الجبال يوم القيامة.

### الاستعانة بالمجاز والكناية:

وكما استعان القرآن الكريم بأساليب بلاغية من مثل التشبيه والاستعارة، فقد استند أيضاً إلى (الكناية) و(المجاز) مفضلاً هذا الأسلوب في كثير من المواضع على التعبير الحقيقي الصريح الذي يقلل من القيمة الأدبية والفنية للتعبير، ويحد من قوة تأثيره في النفوس.

والكناية تعني التعبير عن معنى حقيقي من خلال استخدام صورة غير حقيقية تبدو لا علاقة لها بذلك المعنى الحقيقي المقصود، ولكنها تمتلك قدرة فائقة على تجسيد المعنى الذي يريد الأديب طرحه، لاحظ - مثلاً - قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>٦</sup>.

(٦) الاسراء: ٢٩.

فواضح أن القرآن الكريم استخدم هنا الكناية في التعبير عن حالة البخل والإسراف، فالإنسان البخل هو في الحقيقة إنسان غلّت يده إلى عنقه فلا يمدّها للانفاق على نفسه، وعلى الآخرين، والإنسان الميسرف انبسطت يده كلّ البسط فإذا به يتلف أمواله، ويبدّرها في التوافه من الأمور دون أن يحكم عقله في هذا الانفاق. ونلاحظ أيضاً روعة الكناية، وقوة تأثيرها في النفوس في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَخْسَ الظَّنِّ إِنَّمِ وَلَا تَخْسُسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَغْضُكُمْ بَغْضًا أُنِيبُ أَخَذَكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>٧</sup>.

(٧) الحجرات: ١٢.

إنها كناية لها أضعاف قدرة الحقيقة على تصوير بشاعة وقبح الغيبة، وإنها لتمثل لونا من الأدب القرآني في تهذيب الأخلاق، والنهي عن الصفات الذميمة؛ فغيبة الانسان المؤمن من قبل أخيه هي بمثابة أكل لحمه وهو ميت، لأنه كالميت في حالة غيبته إذ لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فما الفرق إذا بين اغتيابه، وبين أكل لحمه ميتاً؟ وأي عمل أبشع وأفظع من أن يأكل الانسان لحم أخيه في العقيدة ميتاً؟

### صور حافلة بالحياة:

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يسعى دائماً في نهجه الاخلاقي والتربوي لأن يقدم للانسان صوراً مادية محسوسة حافلة بالحركة والحياة، ونابضة بكل ما يألفه هذا الانسان لكي يتاح له إدراك واستيعاب تلك المفاهيم، والمعاني الأخلاقية، ومن ثم العمل بها في حياته، وعكسها على سلوكه.

وفي الحقيقة إن هذا هو المنهج الصحيح والسليم في التربية، لأن هذا اللون من المعرفة يعتبر من الموضوعات العملية المتصلة بأسباب وثيقة بسلوك الانسان وحياته، فكان من الطبيعي أن تكون وسائل إيصال هذه التربية إلى الانسان عملية ملموسة أيضاً.

وقد أثبت علم النفس التربوي الحديث أن التمثيل المادي الملموس، والاساليب العملية هي من أنجع وسائل التربية، وأكثرها تأثيراً ورسوخاً في نفس الانسان، ولذلك فليس من العجيب أن يركز الخالق تعالى في كتابه الكريم على التعبير الأدبي والفني المستند بالدرجة الاولى الى العناصر الحسية الملموسة والمألوفة لدى الانسان في حياته؛ متمشياً منه تعالى مع طبيعة هذا الانسان المجبولة على الفهم، والادراك في حدود تجاربها، ومعارفها المستمدة من البيئة التي يعيش فيها.

# دَوْرُ النَّصِيحَةِ وَالنَّصِيحَةِ الْوَلَاءِ وَسَبْكَةِ الْأَرْوَاقِ لِدَعْمِهَا

دراسات

مجلد ١٠، شماره ١، زمستان ١٣٩٠

\* سجاد الشيع

محمد مهدي الآمفي

النصيحة من المصطلحات الاسلامية التي تنطوي على عمق  
مفهومي في الفكر العقائدي والسياسي والاجتماعي. ومن المؤسف أن  
هذا المفهوم الاسلامي العميق فقد محتواه في الفكر الاسلامي المعاصر، ولم يبق له  
من محتواه غير المحتوى (الوعظي) وهو بعد من أبعاده بالتأكيد، ولكن ليس كل  
ابعاده.

## الابعاد المتعددة للنصيحة

ونجد في النصوص التالية دلالة واضحة على الابعاد المتعددة للنصيحة:

١- عن رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله  
ولرسوله، ولأئمة الدين، ولجماعة المسلمين»<sup>١</sup>.

(١) وسائل الشيعه ١١

.٥٩٥

٢- وعنه ﷺ: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس  
ناصرًا لله ولرسوله ولكتابه وإمامه، ولعامة المسلمين فليس منهم»<sup>٢</sup>.

(٢) الترغيب والترهيب ٢

.٥٧٧

٣- وعنه ﷺ: «من يضمن لي خمساً أضمن له الجنة: النصيحة لله عز وجل،  
والنصيحة لرسوله، والنصيحة لكتاب الله، والنصيحة لدين الله، والنصيحة  
لجماعة المسلمين»<sup>٣</sup>.

(٣) مشكاة الأنوار: ٣١٠

والنصيحة لله وللرسول ولكتاب الله هي البعد الاعتقادي في هذا المفهوم.

والنصيحة لأئمة المسلمين هي البعد السياسي للمفهوم.

والنصيحة لجماعة المسلمين هي البعد الاجتماعي للمفهوم.

فقد استحدثت الاسلام مفاهيم وتصورات، واستحدثت لها مصطلحات، وربط بها التصور الاسلامي الشامل للعقيدة والسياسة والمجتمع، فلا نستطيع أن نأخذ صورة متكاملة عن العقيدة والسياسة والمجتمع إلا من خلال هذه العناصر التي تشكل اصول الفكر الاسلامي... ومن هذه المصطلحات والمفاهيم مصطلح «النصيحة». وسوف نجد فيما يأتي - إن شاء الله - عمق هذا المفهوم في الفكر الاسلامي.

### العلاقة المتبادلة بين الأفراد والعلاقات الاجتماعية

إن سلامة الانسان بسلامة خطوط العلاقة والارتباط التي تربطه بالآخرين، وكلما تكون العلاقة أسلم يكون حال الانسان أفضل وأسلم، ولذلك فإن لشبكة العلاقات التي تربط الفرد بالآخرين أهمية كبيرة في سلامة الانسان واستقامته وسعادته، حتى إننا نستطيع أن نقوم الانسان بعلاقاته وصلاته وارتباطاته.

فإذا كانت علاقات الانسان بالآخرين قائمة على أساس العدل والانصاف والتعاون والإيثار والمحبة، كان الانسان صاحب هذه العلاقات سعيداً مستقيماً في حياته، وإذا كانت علاقته بالآخرين قائمة على أساس الاستئثار والعدوان والخداع والمكر، كان الانسان قلقاً معذباً بهذه العلاقة. كما يصح العكس أيضاً، فكلما يكون الانسان صالحاً تكون علاقاته بالآخرين صالحة وقائمة على أسس صحيحة وأخلاقية، وكلما يكون الانسان خبيثاً ومنطوياً على نية السوء وسوء السريرة فإن علاقاته بالآخرين أيضاً تتصف بالخبيث والمكر والسوء والعدوان.

إذاً بين الانسان وعلاقاته بالآخرين علاقة متبادلة يؤثر كل منهما بالآخر فيشقى الانسان بسوء العلاقة، كما تسوء علاقة الانسان بالآخرين بشقائه وخيبته. ولذلك يهتم الاسلام اهتماماً بليغاً بأمر نسيج العلاقات الذي يربط الانسان بالآخرين، ويسعى لترتيب هذا النسيج، بكل ما يمكن في حياة الانسان وعلاقاته من

متانة وقوة ومودة ومحبة وتقاهم.

### الخط الطولي والعرضي في نسيج العلاقات الإنسانية\*

إن للإسلام نظرية متكاملة وتصوراً دقيقاً وشاملاً في العلاقات الإنسانية، وهذه النظرية هي قانون «الولاء»، ولا نعهد هذا الفهم والتصوير لشبكة العلاقات الإنسانية بهذه الصورة في غير الإسلام.

وهذه الشبكة التي يسميها الإسلام بـ«الولاء» شبكة شاملة وأوسع وقوية ومتينة تشمل كل العلاقات التي تربط الإنسان بالخارج، من دون استثناء تقريباً، وهذه العلاقات ذات اتجاهين:

اتجاه طولي (عمودي): يشكل امتداد السلطان الشرعي لله تعالى، ولرسوله، ولأوليائه أئمة المسلمين على الإنسان، وسلطان الإنسان على من يلي أموره من المسلمين وعلى نفسه، وهذا الخط ينتظم على شكل حلقات متسلسلة ومتراصة ومتماسكة من الولاية والسلطان الشرعي في حياة الإنسان، وينتهي إلى ولاية الله تعالى وسلطانه على كل شؤون الإنسان.

وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>٤</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>٥</sup>.

وهذا هو «الاتجاه الطولي» من اتجاهي الولاء.

والاتجاه الآخر هو الاتجاه العرضي (الافقي) في ارتباط المؤمنين، بعضهم ببعض، في الأمة الإسلامية، وذلك برابط الأخوة والتعاون والتقاهم وحسن الظن، والمحبة، والمودة والتناصر.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>٦</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>٧</sup>.

وهذا الاتجاه من النسيج يستوعب علاقات المؤمنين بعضهم ببعض في نسيج قوي، ومتين من المحبة، والمودة، والتناصر والتعاون وحسن الظن. ومجمل هذين الاتجاهين في هذا النسيج هو «الولاء» يستوعب كل علاقات الإنسان بغيره بصورة

(\*) وقد تحدثنا عن هذا النسيج بتفصيل في كتابنا (الولاء) وبإجمال في كتابنا (السلام في الإسلام)، فللتفصيل يراجع الكتابان المذكوران.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) النساء: ٥٩.

(٦) التوبة: ٧١.

(٧) الأنفال: ٧٣.

شاملة ومستوعبة تقريباً، ويُنظّمها ويُقيّمها على أصول صحيحة. وسلامة هذا النسيج تؤدي الى سلامة الانسان واستقامته وسعادته، كما أن ضعف هذا النسيج واختلاله يؤدي الى اختلال حياة الانسان وانحرافه. وقد وضع الاسلام صورة متكاملة من الاصول والنظريات والقوانين لسلامة هذه (الشبكة) وحمايتها من الضعف والاختلال.

ونحن فيما يلي نشير الى بعض هذه القوانين بقدر ما يربطنا بهذا البحث، ونحيل الباقي الى موضعه من بحث (الولاء).

### السلام والنصيحة

(السلام) و(النصيحة) هي أهم العناصر التي تكوّن هذا النسيج العجيب الذي يربط الانسان بالله وبأولياء الله وبعباد الله، وهما يعتبران وجهين مختلفين لهذه الآصرة الإلهية.

والسلام هو الوجه السلبي لهذه الآصرة، و«النصيحة» هي الوجه الايجابي لها، وهما معا يعتبران وجهي هذا النسيج الذي تتشكل منه شبكة الولاء. فإن (السلام) يأتي بمعنى: (الأمن من العدوان والسوء بمختلف وجوهه، في الحضور والغياب، وفي النفوس والاموال والاعراض، وباللسان واليد).

ومعنى السلام في العلاقة: تطهير العلاقة التي تربط الانسان بغيره في الاتجاهين السابقين (العمودي والافقي) من كل نية سوء وعمل سوء وعدوان وخبث ومكر وكيد، وسوء ظن وإيذاء وإضرار. وبناء العلاقة على أساس الأمن من كل سوء وعدوان، وهذا هو الوجه السلبي للعلاقة\*.

والوجه الايجابي للعلاقة هو (النصيحة).

ولا بدّ مع وقفة قصيرة عند الجذور اللغوية لهذه الكلمة، نستطيع بعد ذلك أن نلتمس ما حمل الاسلام هذه الكلمة من مفاهيم وتصورات.

### الجذور اللغوية للنصيحة

عند مراجعة كلمات أهل اللغة في معنى (النصيحة) نخرج بنقطتين تعيناننا على

(\*) شرحنا هذا الوجه السلبي في دراسة مستقلة بعنوان: (السلام في الاسلام).

فهم الجذور اللغوية لهذه الكلمة:

١ - قال ابن منظور: (نصح الشيء: خلص، والناصح: الخالص، وكل شيء خلص فقد نصح)<sup>٨</sup>.

(٨) لسان العرب، مادة نصح.

٢ - وقال أيضاً: (النصح: نقيض الغش)<sup>٩</sup>.

وقال في الغش: (هو مأخوذ من الغش: المشرب الكدر، وغشّه: لم يُمحضه النصيحة)<sup>١٠</sup>.

(٩) نفس المصدر.

٣ - وقال ابن الاثير في النهاية: (النصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح)<sup>١١</sup>.

(١٠) لسان العرب مادة غش.

(١١) النهاية لابن الاثير ٥: ٦٣ ط عيسى البابي.

ففي اللغة تأتي النصيحة إذا بمعنى:

١ - طلب الخير للآخرين.

٢ - تمحيص العلاقة وتخليصها من كل ما يشوبها من الغش لئلا يكون ظاهر العلاقة حسناً وهي تستبطن السوء والشر والمكر. وهاتان نقطتان تنفعاننا في فهم معنى النصيحة وما حفلها الاسلام من مفاهيم وتصورات.

### التحليل العلمي لكلمة النصيحة

يصعب إعطاء تحليل علمي لهذه الكلمة، لأنه لم يسبق لهذه الكلمة، في الدراسات الاسلامية تحليل وتحديد علمي دقيق يمكن اعتماده، رغم أهمية هذه الكلمة ودورها الواسع في شبكة العلاقات الانسانية في الاسلام.

ورغم ذلك فإننا نحاول أن نقوم بتقديم تحديد علمي ينطوي على بحث تحليلي لهذه الكلمة، من خلال الأوليات التي بين أيدينا ومن خلال المفهوم اللغوي والمصطلح الشرعي الاجمالي الذي يتبادر الى اذهاننا من هذه الكلمة.

وفيما يلي نستعرض طائفة من كلمات المفسرين في معنى كلمة (النصح) لنستطيع بعد ذلك وفي ضوئها وضوء ما تقدم من كلمات اهل اللغة إعطاء صورة دقيقة تحليلية لهذه الكلمة:

١ - يقول الراغب الاصفهاني في مادة (النصح) من كتابه القيم (المفردات):



النصح: تحزّي فعل أو قول فيه صلاح صاحبه... وهو من قولهم نصحت له الود: أي أخلصته، وناصح العسل، خالصة. أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته، والناصح: الخياط، والنصاح: الخيط، وقوله: ﴿ثَوَّبُوا إِلَى اللَّهِ ثَوْبَةً نَضُوحًا﴾ فمن أحد هذين إما الاخلاص وإما الإحكام.<sup>١٢</sup>

(١٢) المفردات للراغب، مادة

٢- وقال قاضي القضاة ابن السعود (ت ٩٥١هـ) في تفسيره: «النصح: كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل، وحقيقته إمحاظ ارادة الخير والدلالة عليه، ونقيضه الغش»<sup>١٣</sup>.

(١٣) تفسير ابن السعود ٣:

٢٠٤.

٣- وقال الزمخشري في (الكشاف): يقال: نصحت ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاظ النصيحة، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له، مقصوداً بها جانبه لا غير.<sup>١٤</sup>

(١٤) تفسير الكشاف ٢: ١١٥.

(١٥) تفسير القرطبي ٧: ٢٣٤.

٤- ويقول القرطبي في تفسيره: النصح: إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة، بخلاف الغش.<sup>١٥</sup>

(١٦) مجمع البيان ٢: ٤٣٣.

٥- ويقول الطبرسي: النصيحة إخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة.<sup>١٦</sup>  
٦- ويقول النيسابوري: وحقيقة النصح: الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكر.<sup>١٧</sup>

(١٧) تفسير غريب القرآن

لنيسابوري بهامش جامع

البيان في تفسير القرآن

للمطبرسي ٨: ١٣٥.

٧- ويقول الرازي في تفسيره الكبير: وحقيقة النصح: الإرسال الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه.<sup>١٨</sup>

(١٨) التفسير الكبير للفخر

الرازي ١٤: ١٥١.

٨- وقال صاحب تفسير المنار: الأصل في النصيحة بأن يقصد بها صلاح المنصوح لا الناصح، فإن كان له فائدة منها وجاءت تبعاً فلا بأس، وإلا لم تكن النصيحة خالصة.<sup>١٩</sup>

(١٩) المنار ٨: ٤٩٣.

(٢٠) تفسير المنار ١٠: ٥٨٧.

وقال أيضاً: النصيحة والنصح: تحزّي ما يصلح به بين اثنين، ويكون خالياً من الغش والخلل والفساد. ومنه تعلم أن من النصح لله ولرسوله في هذه الحالة: كل ما فيه مصلحة للأمة، ولا سيما المجاهدين منها، من كتمان للسر، وحث على البر، ومقاومة خيانة الخائنين في شتى أوجهها. فالنصح العام من الأركان المعنوية للاسلام، به عزّ السلف، وبزواله وبتركه نلّ الخلف وابتزّوا.<sup>٢٠</sup>

٩- وقال المراغي في تفسيره: والنصح: الارشاد الى مصلحة مع خلوص النية

من شوائب المكر<sup>٢١</sup>.

(٢١) تفسير المراغي ٨ : ١٨٧ -

١٨٨ -

١٠ - وقال صاحب تفسير الميزان في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾<sup>٢٢</sup>: أي لا شأن لي بما أني رسول إلا تبليغ رسالات ربي خالصاً من شوب الظنون من كوني كاذباً، فلست بغاش لكم فيما أريد أن أحملكم عليه، ولا خائن فيما أريده منكم من التدين بدين التوحيد، فهو الذي أراه حقاً، وهو الذي فيه نفعكم وخيركم<sup>٢٣</sup>.

(٢٢) الأعراف: ٦٨ -

(٢٣) تفسير الميزان ٨ : ١٧٨ -  
الطبعة الاولى.

هذه طائفة من كلمات العلماء في تفسير (النصيحة).

ونرجح أن يكون (النصح) و(النصيحة) من الخلوص والاخلاص، وليس من الإحكام، وهو أحد المعنيين اللذين يذكرهما الراغب في المفردات، وأشهرهما في كلمات المفسرين وأهل اللغة، وأشبههما بموارد استعمال هذا المصطلح الاسلامي. وعليه فتألف النصيحة من جملتين تكاد تتفق عليهما كلمات المفسرين وعلماء اللغة، باختلاف يسير في التعبير؛ هما:

١ - تحري الخير والصلاح للآخرين، وإرادة الخير لهم في القول والعمل، وتنظيم العلاقة معهم على هذا الاساس.

٢ - تخليص العلاقة والتعامل مع الآخرين من كل شائبة سوء، وتمحيص النصيحة في العلاقة والتعامل.

وهذا التخليص والتمحيص يقع في مقابل (الغش)، وهو أن يتظاهر الانسان بالنصيحة للآخرين في تعامله معهم في الوقت الذي تستبطن هذه العلاقة نية السوء والشّر وتسمى هذه الحالة عادة بالغش.

وهاتان الجملتان تظهران بصورة أو بأخرى من كل الكلمات التي سبقت في تعريف النصيحة، وفيما يلي نحاول - إن شاء الله - أن نحلل كل واحدة من هاتين الجملتين بصورة علمية، لنصل الى تحليل وتعريف شامل لمفهوم (النصيحة) ونبدأ بدراسة تحليلية لكل من هاتين الجملتين:

١ - إرادة الخير

العنصر الاول في النصيحة (إرادة الخير) وهو معنى واسع، له تطبيقات

مختلفة:

فقد يكون مصداق الخير هو (المصلحة) وقد يكون مصداق الخير هو الرضا فقط.

والنصيحة هي ابتغاء المصلحة للآخرين، أما بالنسبة الى الله تعالى فهي ابتغاء مرضاته سبحانه، فإن الله غني بذاته لا يحتاج الى شيء، ولا يغنيه شيء، فهو الصالح الغني بذاته، ولا حد لغناه وصلاحه والنصيحة بالنسبة اليه تعالى هو ما يرضيه تعالى من عباده من قول أو عمل.

وبذلك تتميز (النصيحة) عن (السلام) بشكل واضح، فإن (السلام) هو عدم إرادة السوء والشّر للآخرين، والنصيحة هي حبّ الخير وإرادته لهم.

مصدر الخير في نفس الانسان

ما هو مصدر هذا الخير الذي ينبع من نفس الانسان ويطلبه الانسان لله تعالى ولرسوله ﷺ ولكتابه ودينه ولأئمة المسلمين وللمسلمين؟ وإن النفس لشحيحة بالخير ضئيلة به، وهذه طبيعة من طبائع النفوس: ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾<sup>٢٤</sup> ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾<sup>٢٥</sup>.

(٢٤) النساء: ١٢٨.

(٢٥) الأحزاب: ١٩.

فكيف تتحول هذه النفوس الشحيحة والضئيلة بالخير الى مصدر يعطي الخير ويقدمه ويفيض به؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول:

الحب مصدر الخير

الحب مصدر كل خير في نفس الانسان. وأكثر ما يكون في النفس من خير وعطاء فإن مصدره الحب، وأكثر ما يكون في النفس من شح وبخل وضنك فإن مصدره البغضاء والكراهية.

إن الحب يمنح النفس القابلية على العطاء والقدرة على فعل الخير، فإذا دخل الحب النفس فاضت بالخير والرفق والاحسان والبذل والعطاء، وتحولت النفس البشرية الى واحة خضراء مباركة كثيرة العطاء، وإذا أقفرت النفس من الحب تحولت الى أرض قاحلة غير ذات زرع، فلم تجد فيها غير الحقد والبغضاء والعدوان والمكر والكيد.

### التبادل بين الحب والنصيحة

وللامام أمير المؤمنين عليه السلام كلمات في هذا المجال ينقلها الآمدي عنه عليه السلام في (غرر الحكم):

يقول عليه السلام، كما في رواية الآمدي: «النصح لمرّة المحبة» فالنصح لله ولرسوله وللمؤمنين ينبع في النفوس من الحب لله ورسوله.

ويقول عليه السلام في كلمة أخرى يرويها الآمدي أيضاً: «النصيحة تثمر الود» أي إن النصيحة تصنع الحب والود في القلوب، وهذه الكلمة معاكسة للكلمة السابقة، وهما معاً ترسمان صورة للعلاقة المتبادلة بين «النصيحة» و«الحب»، فالنصيحة تصنع الحب، والحب يصنع النصيحة.

ولا يكاد ينبع الخير والنصيحة من النفس إلا من منبع الحب والود، وهذه حقيقة في النفوس فطر الله تعالى الناس عليها.

الحب من مقولة التوحيد والاخلاص

الحب من مقولة التوحيد والاخلاص... ولا يكون في نفس الانسان المؤمن غير حب واحد، هو حب الله عزوجل، وكل حب آخر في نفوس المخلصين من المؤمنين لا بد أن يكون امتداداً لهذا الحب بنحو من الانحاء.

وتتسع نفس الانسان المؤمن لحب الله تعالى، وكل من يحب الله تعالى من رسله وملائكته وأوليائه وعباده الصالحين. ولا تضيق النفوس المؤمنة بهذا الحب مهما امتد وتسلسل، ولكنها تضيق بالحب إذا أرادت أن تجمع بين حب الله تعالى وحب أعداء الله، فلا تتسع لهما النفس، يقول تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي حُبِّهِ﴾<sup>٣٦</sup>.

(٣٦) الأحزاب: ٤.

إذاً مبدأ كل حب في نفس الانسان المؤمن الذي اخلص نفسه وحبه وعواطفه وهواه لله تعالى هو حب الله تعالى، وهو الحب الحاكم في النفس، وكل حب آخر ينفي هذا الحب ويعارضه فإن على الانسان المسلم أن يفلق منافذ قلبه دونه، فلا يجتمع في نفس الانسان المؤمن حبان: حب لله تعالى وحب للدنيا (مثلاً).

فقد روي عن رسول الله ﷺ: «حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب

وعن الامام الصادق عليه السلام: «والله ما أحب الله من أحب الدنيا ووالى غيرنا»<sup>٢٨</sup>. (٢٨) بحار الأنوار ٧٨ : ١٢٦.

## ٢ - تمحيص العلاقة وتخليصها:

وهذا هو البعد الثاني للنصيحة. فلا بد في النصيحة من أن تكون العلاقة خالصة و(ناصحة)، لا يشوبها مكر أو سوء، ولا تستبطن سوءاً أو شراً. وليس معنى ذلك أن لا يطلب الانسان لنفسه نفعاً أو خيراً في العلاقة، فلا بأس أن يطلب الانسان لنفسه في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خيراً ونفعاً، ولكن على أن لا تستبطن هذه العلاقة من الغش ما لا يظهر وما لا يبدو عليها.

فليس من النصيحة أن يتظاهر الانسان بالخير والصلاح ويستبطن نية السوء أو المكر، أو يبرز جانب الصلاح والخير، ويخفي الجانب الآخر. وهذا هو الغش الذي يشبه النفاق أحياناً، والمكر والكيد أحياناً أخرى.

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله مر على صُبيرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غشنا فليس منا»<sup>٢٩</sup>.

فالنصيحة هي ارادة الخير التي لا يشوبها الشر ولا تستبطن السوء. و(النصيحة) بهذا المعنى هي الوجه الثاني للعلاقة، ومرحلة متقدمة وعليها لتحكيم العلاقة وتمتينها بعد مرحلة السلام.

ويسمح أن نقول: إن (السلام) يعتبر مرحلة تزكية العلاقة، وتطهيرها، وتجريدها من السوء، بينما تعتبر النصيحة مرحلة فوق هذه المرحلة، تتضمن إغناء العلاقة بالخير والموودة والتعاون والنصرة والاسناد. وبذلك فإن نسج العلاقة في هذه الشبكة الواسعة (شبكة الولاء) يتكون من عنصرين أساسيين هما (السلام) و(النصيحة) وتوجزهما هذه الكلمة الماثورة عن الامام امير المؤمنين عليه السلام في صفة المتقين في (نهج البلاغة): «الخير منه مأمول، والشر منه مأمون»<sup>٣٠</sup>.

فإن «السلام» هو أن لا يريد الانسان الشر والسوء للآخرين و«النصيحة» أن يطلب الانسان الخير لغيره.

(٢٩) روضة الكافي ٥ : ١٦٠.  
وبهار الأنوار ٧٤ : ٢٤٤.  
والتريغيب والترهيب ٢ : ٧١.

(٣٠) نهج البلاغة، خ ١٩٣.

### دور السلام والنصيحة في تمتين العلاقة ووقايتها

وهذان العنصران يضعان العلاقة التي تربط الانسان المسلم بالله ورسوله، وأوليائه، وبالأخرين من أبناء نوعه على أساس متين، فإن العلاقة عندما تعتمد هذين الاساسين تنتزه عن إرادة السوء بالآخرين، وتتشتع بإرادة الخير، وتصبح قوية ومتينة وأمنة، وتسلم من الضعف.

وفي نفس الوقت فإن هذين العنصرين يقيان العلاقة من السوء والاختلال في المجتمع وفي نفس الانسان، فإن العلاقة عندما تقوم على أساس ضعيف تتعرض لعوامل الإخلال والإساءة والإفساد القائمة في المجتمع، وفي النفس، وتتأثر بسرعة بهذه العوامل، أما عندما تقوم العلاقة على أساس صحيح من (السلام) (والنصيحة)، وتتكون خيوط العلاقة منهما جميعا، فإن العلاقة تقاوم الى حد بعيد عناصر الإخلال والإفساد القائمة في النفس والمجتمع. ومردود سلامة العلاقة على الانسان نفسه بصورة مباشرة وقوية، فإن العلاقة إذا سلمت سعد الإنسان وسلم واستقامت له حياته، وإذا فسدت العلاقة شقي الإنسان واختلت حياته، وأكثر شقاء الناس وعنائهم وعذابهم من فساد العلاقة. ولذلك يعطي الاسلام مثل هذا الاهتمام العجيب بأمر العلاقة، ويضع شبكة العلاقات الانسانية ضمن هذا القانون المتكامل، قانون (الولاء)، بهذه الصورة.

### وجوب النصيحة في الاسلام

و«النصيحة» «كالسلام» ليست أمراً كمالياً في بناء المجتمع الانساني، وفي بناء شبكة العلاقات الانسانية، وإنما هي في نظر الاسلام حاجة ضرورية لا يمكن أن يستغني عنها الانسان، ومن دونها لا تستقيم حياته. ولذلك تضافرت النصوص في الاسلام على وجوب النصيحة وتحريم الغش، كما تضافرت على وجوب السلام وتحريم العدوان.

### وجوب النصيحة في النصوص الاسلامية

وفيما يلي نستعرض طائفة من هذه النصوص:

١- روى ابن الشيخ الطوسي في (الأمالي) عن أبيه، عن المفيد بسنده عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ورسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين»<sup>٣١</sup>.

٢- وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»<sup>٣٢</sup>.

٣- وعن محمد بن يعقوب بسنده عن أبي حفص الأشعري، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله»<sup>٣٣</sup>.

٤- وعن رسول الله ﷺ: «من لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ورسوله ولكتابه وإمامه ولعمامة المسلمين فليس منهم»<sup>٣٤</sup>.

٥- وعن أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة):

«أيها الناس إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ: فالنصيحة لكم، وتوفير فينكم عليكم، وتعليمكم لئلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا. وأما حقّي عليكم: فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين ادعوكم، والطاعة حين آمركم»<sup>٣٥</sup>. وفيه عنه عليه السلام أيضاً قال: «إنه ليس على الإمام إلا ما خُئل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعدة، والاجتهاد في النصيحة، والاحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقها»<sup>٣٦</sup>. وعنه أيضاً قال: «انتم الانصار على الحق، والاخوان في الدين، فاعينوني بمناصحة خالية من الغش»<sup>٣٧</sup>.

٦- وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه»<sup>٣٨</sup>.

٧- وعن سماعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أيُّما مؤمن مشى في حاجة أخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله»<sup>٣٩</sup>.

٨- وعن حسين بن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من استشار أخاه فلم يحضه الرأي سلبه الله عز وجل رأيه»<sup>٤٠</sup>.

٩- عن محمد بن يعقوب الكليني عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(٣١) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٥.

عن مجالس ابن الشيخ: ٥١ باسم: أمالي الطوسي.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) المصدر نفسه ١١: ٥٩٦. عن اصول الكافي: ٤٧٤.

(٣٤) الترغيب والترهيب ٢: ٥٧٧.

(٣٥) نهج البلاغة، الصالح: ٧٩ خ ٣٤.

(٣٦) نهج البلاغة، الصالح: ١٥٢ خ ١٠٥.

(٣٧) نهج البلاغة، الصالح: ١١٨ خ ١٧٥.

(٣٨) الكليني، اصول الكافي ٢: ٢٠٨.

(٣٩) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٦. عن اصول الكافي ٤٧٤ وعن تحف العقول: ٢٨.

(٤٠) للوسائل ١١: ٥٩٦-٥٩٧. عن اصول الكافي ٤٧٤.

(٤١) نفس المصدر: ٥٩٤ -

٥٩٥.

«يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة في المشهد والمغيب»<sup>٤١</sup>.١٠ - وعن الصادق أيضاً: «المؤمن أخو المؤمن يحق عليه النصيحة»<sup>٤٢</sup>.١١ - وفي (فقه الرضا) عن القائم عليه السلام في كلام طويل: «ثلاث لا يغفل عليها قلب

امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، وال لزوم لجماعتهم».

(٤٢) مستدرک الوسائل ٦:

٤١٢ طهران، الإسلامية.

١٢ - وروي: «من مشى في حاجة أخيه فلم ينصحه كان كمن حارب الله

ورسوله».

١٣ - وروي: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم».

١٤ - وروي: «لا يقبل الله عمل عبد وهو يضر في قلبه على مؤمن سوءاً».

وروي: «ليس منّا من غش مؤمناً أو ضره أو مكره».

وروي: «الخلق عيال الله، فأحب الخلق على الله من أدخل على أهل بيت سروراً،

ومشى مع أخيه في حاجة»<sup>٤٣</sup>.

(٤٣) بحار الأنوار ٧٥: ٦٦

حديث ٥ عن فقه الرضا: ٥٠.

وبناءً على ذلك فإن (النصيحة) تعتبر عنصراً أساسياً وضرورياً (واجباً) من

وجهة نظر الاسلام في إقامة العلاقة، والعلاقة التي تفقد هذا العنصر تعتبر علاقة

غير كاملة وغير مستوفية للشروط الأساسية في الاسلام.

### الحالة الشمولية للنصيحة في شبكة العلاقات الإنسانية

وكما تتصف (النصيحة) في نسيج العلاقة بصيغة الوجوب، تتصف كذلك

بصيغة الشمولية والاستيعاب، فلا بد من توفير عنصر (النصيحة) في كل خطوط

وخيوط هذه الشبكة الواسعة (شبكة الولاء).

وأهم خطوط هذه العلاقة ما يلي:

أ: في الخطوط الطولية (الاتجاه العمودي) لشبكة الولاء:

١ - العلاقة بالله تعالى.

٢ - العلاقة برسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ - العلاقة بالقرآن.

٤ - العلاقة بالاسلام (الدين).

٥ - العلاقة بأئمة المسلمين وأولياء الامور.



٦- علاقة الانسان بنفسه.

٧- العلاقة بمن يتولى أمره من المسلمين.

ب: في الخطوط العرضية (الاتجاه الافقي) لشبكة الولاء:  
العلاقة بالأمة (جماعة المسلمين).

وباستعراض سريع لنصوص (النصيحة) نجد بوضوح حالة الشمول والاستيعاب في النصيحة في مختلف خطوط العلاقة الانسانية (لشبكة الولاء).  
وفيما يلي نستعرض طائفة من هذه النصوص التي تدل على حالة الشمول والاستيعاب في النصيحة بالنسبة لمختلف خطوط العلاقة:

١- نصيحة الله تعالى لعباده:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «انتفعوا ببيان الله، واقبلوا نصيحة الله، فإن الله قد أعذر اليكم»<sup>٤٤</sup>.

٢- نصيحة العباد لله تعالى:

عن رسول الله قال الله عزوجل: «أحب ما تعبد لي به عبدي: النصيح لي»<sup>٤٥</sup>.  
وعن علي عليه السلام كما في (نهج البلاغة): «من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على اقامة الحق بينهم»<sup>٤٦</sup>.

٣- تبادل النصيحة بين الله تعالى وعباده:

عن الصادق عليه السلام: «ان عليا كان عبدا ناصحا لله عزوجل فنصحه، وأحب الله فأحبه»<sup>٤٧</sup>.

٤- نصيحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمة:

عن أمير المؤمنين عليه السلام كما في (نهج البلاغة)، في الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:  
«بلغ عن ربه معذرا، ونصح لامته منذرا»<sup>٤٨</sup>.

وفي نهج البلاغة في الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «ارسله وأعلام الهدى دارسة، ومناهج الدين طامسة، وصنع بالحق، ونصح للخلق، وهدى الى الرشيد»<sup>٤٩</sup>.  
وعنه عليه السلام في الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في (نهج البلاغة) أيضاً قال:  
«فبالع صلى الله عليه وآله وسلم في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا الى الحكمة والموعظة الحسنة»<sup>٥٠</sup>.

(٤٤) نهج البلاغة، الصالح:

٢٥١ خ ١٧٦.

(٤٥) الترغيب والترهيب ٢:

٥٧٧.

(٤٦) نهج البلاغة، الصالح:

٢٣٤ خ ٢١٦.

(٤٧) الكافي ٨: ١٤٦.

(٤٨) نهج البلاغة، الصالح:

١٠٩ خ.

(٤٩) نهج البلاغة، الصالح:

٣٠٨ - ٣٠٩ خ ١٩٥.

(٥٠) نهج البلاغة، الصالح:

١٤٠ خ ٩٥.

وفي (الصحيحة السجادية) في الثناء على رسول الله ﷺ: «بلغ رسالتك، وصدع بأمرك، ونصح لعبادك»<sup>٥١</sup>.

(٥١) الصحيحة السجادية،  
الدعاء ٢٠٧: ٤٢.

وأيضاً في (الصحيحة السجادية): «وأن محمداً عبدك... امرته في النصيح لأمته فنصح لها»<sup>٥٢</sup>.

(٥٢) الصحيحة السجادية،  
الدعاء ٥٣: ٦.

٥ - نصيحة القرآن للناس:

عن أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة): «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، استنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغفثوا فيه أهواءكم»<sup>٥٣</sup>.

(٥٣) نهج البلاغة، الصالح:  
٢٥٢ خ ١٧٦.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في (النهج) أيضاً: «تمسك بحبل الله واستنصحه... وأحلّ حلاله، وحرم حرامه، وصدق بما سلف من الحق»<sup>٥٤</sup>.

(٥٤) نهج البلاغة، الصالح:  
٤٥٩ كتاب ٦٩.

٦ - نصيحة المسلمين لرسول الله ﷺ والقرآن والاسلام:

عن رسول الله ﷺ: «من لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعمامة المسلمين فليس منهم»<sup>٥٥</sup>.

(٥٥) الترغيب والترهيب ٢:  
٥٧٧.

وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>٥٦</sup>.

(٥٦) صحيح مسلم ١: ٧٤.

٧ - نصيحة أئمة المسلمين للمسلمين:

عن علي عليه السلام في (نهج البلاغة): «ليس على الامام الا ما حُمل من امر ربه: الابلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة»<sup>٥٧</sup>.

(٥٧) نهج البلاغة، الصالح:  
١٥٢ خ ١٠٥.

٨ - نصيحة المسلمين لأئمتهم:

عن الامام الرضا عليه السلام: «ثلاث لا يغفل عليها قلب امرئ مسلم: اخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، وال لزوم لجماعتهم»<sup>٥٨</sup>.

(٥٨) بحار الانوار ٧٥: ٦٦.  
خ ٥.

ومن كلام للامام أمير المؤمنين عليه السلام الى اصحابه الصالحين: «انتم الانصار على الحق، والاخوان في الدين، فاعينوني بمناصحة خلية من الغش»<sup>٥٩</sup>.

(٥٩) نهج البلاغة، الصالح:  
١٧٥ خ ١١٨.

٩ - تبادل النصيحة بين الامام والامة:

عن علي عليه السلام في (نهج البلاغة): «ايها الناس، إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق. فاما حقكم عليّ: فالنصيحة لكم. وأما حقي عليكم: فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في

### المشهد والمغيب»<sup>٦٠</sup>.

١٠ - نصيحة الانسان لنفسه:

عن علي عليه السلام: «إن أنصح الناس أنصحهم لنفسه وأطوعهم لربه»<sup>٦١</sup>.

وعنه عليه السلام أيضا: «إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه، وإن أغشهم لنفسه اعصاهم لربه»<sup>٦٢</sup>.

وعن علي عليه السلام أيضا: «من نصح نفسه كان جديرا بنصح غيره، ومن غش نفسه كان أغش الناس لغيره»<sup>٦٣</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: «ما ناصح عبد مسلم في نفسه، فاعطى الحق منها، واخذ الحق لها الا أعطي خصلتين: رزقا من الله عز وجل يلقن به، ورضى عن الله ينجي»<sup>٦٤</sup>.

١١ - النصيحة لعباد الله (جماعة المسلمين):

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن اعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في ارضه بالنصيحة لخلقه»<sup>٦٥</sup>.

وعن ابن عيينة قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل افضل منه»<sup>٦٦</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»<sup>٦٧</sup>.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحب العباد الى الله من نصب نفسه في طاعة الله، ونصح لأمة نبيه، وتفكر في عيوبه وأبصر، وعقل وعمل»<sup>٦٨</sup>.



قضية :

البحر والسموات

فنون وأداب

\* فرات الأسدي

(العراق)

سَلِ الرَّمْلَ ماذا أَنْجِبَتْ يَدُهُ السَّمْرُ  
وَأَنْ مَخَاضاً ثَارَ بِالْأَرْضِ جَامِحاً  
غَدَاةَ عِيُونِ الشَّمْسِ صَلَّتْ لَوَجْهِهِ  
تُحِيلَ الْيَبِيسَ الْقَفَرَ وَاحَاتٍ بِهِجَةٍ  
وَشَبَّ عَلَى التَّارِيخِ يَوْمٌ مُحَسَّدٌ  
تَمَوْجٌ بِهِ أَصْحَرَاءُ غَابَ أَسْنَتُهُ  
يُجِئُكَ: نَبِيُّ الْخَصْبِ مَوْلُودَهَا الْبَكْرُ  
بَدَا - ضَاكِحاً - مِنْ لَيْلِ آلَامِهِ الْفَجْرُ  
وَوَقْتُ بِنْدَرٍ طَالَ - لَا بَقِيَ النَّذْرُ -  
لَدَيْهَا الرَّمَالُ الصَّفَرُ رَأَى الضَّحَى تَبْرُ  
سَيِّقَاتُ - مَجْدًا - مِنْ وَقَائِعِهِ الدَّهْرُ  
وَحَيْلًا عَرَابًا قَيْدٌ وَثَبَّتَهَا الْبَحْرُ

\* \* \*

تَبَارَكَتْ هَذَا الْفَجْرُ تَصَدَّعَ بِالْهَدْيِ  
خَطَاكَ عَلَى كَفِّ الْجَزِيرَةِ أَعْشَبَتْ  
فَجَاءَتْ عَلَى أَسْتَحْيَائِهَا تَقَطَّفَ الْمَنَى  
أَفَاقَتْ عَلَى نَجْوَاهُ مَكَّةُ وَأَنْشَنَتْ  
وَكَمْ سَحَبَتْ فِي ظِلْمَةِ الْأَمْسِ رَجُلَهَا  
وَهَا هِيَ تَسْتَهْدِيكَ يَا مَرْوَدَ الضَّحَى  
وَقُدَّهَا إِلَى التَّارِيخِ تَرْخُمُ دَرْبُهُ  
وَفِي الشَّرْقِ مَلَأَ الْأَثَقُ رَايَاتَكَ الْغُرُ  
حُضُورًا وَقَدْ عَاثَ الْغِيَابُ بِهَا - أَلْمَرُّ -  
وَكَسَانُ لَهَا عَرَسًا تَبْلُجُكَ الطَّهَرُ  
يَمْدُ لَهَا أَحْدَاقَهَا الْحَلْمُ النَّحْرُ  
وَقَائِدُهَا الْيَأْسُ الْمَخَادَعُ وَالضَّرُّ  
فَأَكْحَلُ لَهَا طَرَفًا يُضِيءُ بِهِ الْفَكْرُ  
وَقُلْ لِدَعَاةِ النُّورِ: مِنْ هَا هُنَا مُرُّوا

\* \* \*

قريشٌ خذي ما رُميتِ غزواً بمثله  
قوافيكِ بالأمس المُضاعِ قوافلُ  
وشطُّ بكِ اليومَ المدى فالزمي الحمى  
ولكنَّ ما ترجينَ دون ركوبه  
إذا غامَ فيه الجرح مدأً مزجراً

وهبي على الحادين .. لو أنجدَ الشعرُ  
محملةً بالطيبِ يمتارها المصُرُ  
وصُونيه لو يستطيع صارمُك الغرُ  
دمٌ طاحَ حتى اخضلَ من نزفه القفرُ  
فليس له إلا اعتناق الردى جرراً

\* \* \*

جفونكِ يعوي الذلّ فيها فأربعي  
وأصنامكِ الشوهاء لقي حطامها  
وإنَّ حراءَ دارةَ النورِ أطلعت  
لكِ الحمدُ يا صحراءَ كم طافَ بالظنِ  
وكم أطلقَ الإعصارَ فيك خيوله  
تسهبينَ للثارات والغيلُ مؤمّت  
وأنتِ على شاطي الرمادِ احتراقه  
ضفافكِ يسقيها السرابُ احتضاره  
فكيف سعتِ اليومَ للماءِ حرّةً  
وأحمدُ من كفيه يسقيكِ عمره  
وها أنتِ تسقينَ الزمانَ وأمله

عليه كما أغواك من قبله الكبرُ  
فقد رُجمَ الشيطانُ وأنتقضَ السحرُ  
جبينَ الهدى .. فاندبَ لياليك يا كفرُ  
عليك خُمارُ أنتِ أقداحه الحمُرُ  
وقد نثرَ الشيطانَ حفتته يذرُوا  
وأغفى على جرحِ بأوكاره النسرُ  
وأبنائك في بيداٍ وحشته سَفُرُ  
وأنجمكِ العذراء يلهو بها الخمرُ  
بأشواطكِ السبعين! .. وانفجرَ النهرُ  
فأورقَ فيك الملعُ واختضلَ الجمرُ  
وتركضَ حتى الشمسَ واحاتكِ الخضرُ

\* \* \*

# مدى تاثر علماء الفقه والفلسفة بالفلسفة

دراسات

\* السيد

هاشم العاشمي

## المجال الثاني: القواعد الفلسفية

بعد ان ترجمت الفلسفة والمنطق الى اللغة العربية، وقد بدأت حركة الترجمة ضعيفة في العهد الاموي، ثم اشتدت في العصر العباسي وخاصة في عصر المأمون، وكانت الفلسفة والمنطق من اهم العلوم المنقولة، وقد اغرم بها العلماء وصار ولعهم بها وباساليبها شديداً، واثرت في عقولهم، فاخذوا يتناولون سائر الظواهر العلمية والادبية تناولاً فلسفياً وعقلياً، كما يلاحظ ذلك في النحو، حيث فسروا الظواهر النحوية بنظرية العامل وامثالها، وكذلك في تفسير القرآن الكريم، والاحاديث الشريفة وغيرها.

ترتبت نتائج واثار على هذا التأثر بالفلسفة والمنطق، في مجال العلوم النقلية، والامور الاعتبارية، ذكرها الباحثون، ويمكن ان يكون بعضها قد ترتب على الفقه والاصول نذكر هنا بعض هذه الاثار:

١- تصورا ان القواعد الفلسفية والمنطقية عامة، وشاملة تشمل جميع العلوم والمجالات، ولا تتحدد بمجال وعلم معين.

٢- وبما انهم في العلوم النقلية حاولوا وضع قواعد عامة كالقواعد النحوية، من اجل حفظ اللسان، واستخدام ابناء اللغة وغيرهم لها في نطقهم، او القواعد

الاصولية، التي يجب على الفقيه اتباعها لاستنباط الاحكام الشرعية، وغيرها من قواعد العلوم، وقد تأثروا في صياغة القاعدة وفي تحديدها، بالقواعد الفلسفية، او انهم وضعوا لها قواعد فلسفية، استخدمتها الفلسفة في مجالاتها.

٣ - تصوروا ان القاعدة النقلية الاعتبارية كالتحوية والاصولية والفقهية عامة وشاملة، لا تقبل التخصيص والاستثناء والتخلف، تماماً كالقاعدة الفلسفية، ومن هنا وقعوا في مشكلة وجود بعض الشواهد والنصوص المخالفة لهذه القاعدة كما سنذكره في مجال الشرط المتأخر، فبحثوا عن علاجها، مع انه ربما كانت القاعدة النقلية غير القاعدة العقلية في الشمول.

٤ - قد تكون هناك ظاهرة او قاعدة نقلية اخذوها من النص او الاستقراء او السيرة، ولكن العلماء ونتيجة لتأثير الفلسفة والمنطق، حاولوا تعليلها وتفسيرها تفسيراً فلسفياً ومنطقياً او انهم استدلووا عليها باستدلال فلسفي او منطقي، كما نلاحظ انهم فسروا في النحو الاعراب، وحركاته وهي امور منصوصة، تفسيراً فلسفياً بنظرية العلة والعامل، وأنهم فسروا الاستصحاب وقد دلت النصوص عليه، بتفسيرات فلسفية وغيرها، ومن هنا وقعوا في مشكلة وجود الشواهد المنصوصة التي تتخلف فيها القاعدة، وبذلك تخالف ذلك التفسير الفلسفي والعقلي لها.

٥ - ونتيجة لذلك استخدموا في بحثهم لهذه العلوم النقلية، منهج البحث العقلي كالمقياس، او نهج البحث الاستدلالي، بينما كان من الجدير استخدام الاستقراء او المنهج النقلي في دراسة هذه العلوم.

واما عن مدى تاثر علماء الفقه والاصول بهذه القواعد الفلسفية؟

في البداية يلزم التأكيد على هذه الملاحظة وهي ان العلماء درسوا النصوص الشرعية بدقة وعمق، واستخرجوا الكثير من الاحكام والقواعد الاصولية والفقهية، وكذلك استخرجوا منها الكثير من الالفاظ والمصطلحات والمفاهيم الشرعية، المستحدثة او العمضاة من قبل الشارع، واستخدموا في ذلك منهج البحث النقلي بدقة، من توثيق النصوص وتحقيقها وفهمها، كما يدل على ذلك علم الرجال والدراية<sup>١</sup> وخلال بحوثهم الفقهية والاصولية حيث ذكرت فيها القواعد العلمية الدقيقة لمنهج البحث النقلي وفي مجال توثيق النصوص وتحقيقها وغيرها، كما انهم

(١) في ذكرى ميلاد الرسول  
الأعظم عليه السلام

توصلوا الى بعض القواعد والمفاهيم والمصطلحات من خلال سيرة المتشرعة، او السيرة العقلانية، او العرف، كحجية خبر الواحد، وحجية الظواهر وغيرها. او من خلال الادلة العقلية، واستخدموا في ذلك منهجاً في البحث يتلاءم ومجال البحث، من الاستقراء، او المنهج الاستدلالي، او المنهج العقلي والطريقة القياسية، وغيرها، اذن فالمفاهيم والقواعد الاصولية والفقهية، لا يختص وجودها في النصوص فحسب، ليتحدد عملهم بالنصوص، والمنهج النقلي، اذ هناك قواعد واحكام تستفاد من غير النصوص ايضاً، وربما كانت موجودة فيها، ولكن النصوص انما ذكرتها امضاء للسيرة، عند العرف والعقلاء، او ارشاداً للحكم العقلي.

وكان العلماء خاصة يحاولون التجرد عن كل التأثيرات في مجال دراسة النصوص، وغيرها، لأجل استخراج القواعد، او استنباط الاحكام، لتكون نظرتهم نظرة موضوعية خالصة في التوصل للاحكام الشرعية، ويدل على هذا شدة ورعهم وعدالتهم في سلوكهم واراتهم وبحوثهم، فانهم وان استخدموا او استفادوا من القواعد والمصطلحات الفلسفية والمنطقية او غيرها من سائر العلوم، ولكن لا يعتمدون الا على تلك القواعد الفلسفية او المنطقية التي يرون تاثيرها في عملية الاستنباط والوصول للقواعد، فهذه الاستفادة لا تؤثر في نظرتهم الموضوعية، ومنهجيتهم العلمية الخالصة للشعور بمسؤوليتهم الشرعية في بحثهم واستنباطهم، ومن هنا رأينا حتى ذوي الاهتمام الخاص بالفلسفة من العلماء يبذلون اقصى جهدهم في عدم التأثر بدراساتهم الفلسفية في مجال الاستنباط، كما هو الملاحظ في بحوثهم وكتاباتهم، وكما صرحوا هم بذلك مثل ما رأينا من تفريق الشيخ الاصفهاني بين الامور الاعتبارية وغيرها، واختلاف القواعد الجارية فيها، وكما ذكره المترجمون لامثال هؤلاء العلماء، او الذين حضروا دروسهم او اطلعوا على بحوثهم.

ولكن بالرغم من هذه الملاحظة التي ذكرناها، فان هناك البعض منهم، وربما بصورة غير مقصودة، ونتيجة للدراسات الفلسفية والمنطقية والاعجاب بها، حاول تعميم القواعد والمبادئ الفلسفية التي اجراها الفلاسفة في التكوينيات الى مجال الفقه والاصول، وهما غالباً من الاعتباريات كما ذكرنا وسنذكر الشواهد على ذلك،



ولذلك، لاجل اجرائها، ولاستخدام المصطلحات الفلسفية بما تملكه من محتويات، كما لم يتمكنوا من معالجة الشبهات والمشكلات القانونية، فانهم قد اضافوا مشكلات قانونية جديدة، نتيجة هذا التاثر بالفلسفة والمنطق في البحث الاصولي والفقه.

وقد ذكرنا ان هذا التاثر انما نشأ نتيجة دراسة علماء الفقه والاصول غالباً للفلسفة ولما تملكه الفلسفة من اغراء وعمق، ومن هنا ربما بحث عن الفقه والاصول بروح فلسفية، والنظر الى النصوص او البحوث الفقهية وغيرها من خلال رؤية فلسفية، وتفسيرها تفسيراً فلسفياً، وبذلك يفقد الباحث الرؤية الموضوعية الخالصة، اضافة الى ما ذكره البعض من عدم صواب بعض الاراء والقواعد الفلسفية في ذاتها، ولعله لاجل ذلك دعا بعض العلماء الى تجنب دراسة الفلسفة، لانها ربما اثرت على الباحث لا شعوريا في دراسته للفقه والاصول وتفسير النصوص وغيرها، بحيث تنعكس الاراء الفلسفية في الدراسات الفقهية والاصولية. ولكن اعترض على ذلك، بان هناك قواعد ومفاهيم مشتركة بين الفقه والاصول والفلسفة، وكذلك نلاحظ ان العلماء قد استخدموا في بحوثهم المصطلحات والآراء الفلسفية واعتمدوها في الكثير من مسائل الاصول والفقه، فكان من الضروري لفهم بحوثهم دراسة هذه المفاهيم والآراء، ثم ان التفاعل والتأثير المتبادل بين العلوم امر طبيعي، وربما وصلت بعض العلوم الى نتائج متطورة، وصائبة، ونظريات يقينية، لها تاثيرها الكبير في علمي الاصول والفقه، كبعض البحوث اللغوية، او المنطقية او الفلسفية الحديثة، مما تسلط الاضواء على البحوث الفقهية والاصولية، فلماذا نعرض عن الاستفادة من تجارب الآخرين وجهودهم العلمية، مع تاثيرها في عملية الاستنباط، واستخراج القواعد والاصول؟

بالاضافة لما تفيدته الفلسفة من ترويض الباحث وتعويده على التعمق في البحث، والقوة في التفكير، كما ان البعض لم يتفهم الاراء والمسائل الفلسفية حق الفهم، لذلك اعترض على بعض المسائل الفلسفية وانها غير صائبة، اضافة لما تملكه الفلسفة والمنطق من معطيات في غير مجالي الفقه والاصول كما في مجال الاستدلال على المعتقدات الاسلامية والدفاع عنها، ومواجهة الفلسفات والمبادئ

هامش الصفحة اللاحقة (١٣٨):  
(\*) وهناك شواهد لذلك نذكر بعضها. يلاحظ (المدخل في علم الاصول) وقد استندت من هذا البحث القيم في بعض اراء هذا المقال.

منها: قانون عدم معقولة تقدم المعلول على علته زماناً، وهو من القوانين الواضحة الضرورية، اذ من الواضح عدم امكان تقدم المعلول التكويني زماناً على علته، لان العلة لا بد ان تكون مقارنة للمعلول، واجزاء العلة وان كان لها احيانا سبق زمني على المعلول، ولكن لا يمكن ان تتأخر زماناً عنه، ومن هنا تساموا كيف يؤثر الشرط المتأخر على الامر المتقدم عليه، في الامور الاعتبارية والقانونية، مع ان المتأخر زمنياً لا يمكن له التأثير في المتقدم؟ فهذا القانون الفلسفي حيث طبق في علم الاصول والفقه، قد خلق مشكلة عويصة هي مشكلة الشرط المتأخر، ومن مواردها في الفقه، موضوع الاجازة في بيع الفضولي بناء على الكشف، وغسل المستحاضة ليلاً الذي يكون شرطاً في صحة صومها ذلك اليوم.

المنحرفة، هذه وغيرها من الادلة التي يبرر بها دراسة الفلسفة والمنطق، طبعاً وان هناك من ناقش هذه الادلة.

وبالرغم من هذه الآراء المختلفة والمتضاربة في هذا المجال، فان هناك نقاط اختلاف بين الفلسفة والاصول والفقه، ومجالهما كما اعترف بها العلماء، وعدم التنبيه لها، أدى الى ظهور بعض المشكلات الاصولية والفقهية.

اذن، فقد طبق البعض قواعد وقوانين الامور التكوينية على الامور الاعتبارية\*.

ولكن الذي يجب علينا قوله، ان بعض علمائنا، وخاصة المتأخرين منهم، قد تنبهوا لهذا التأثير بالفلسفة، واختلاط المفاهيم والمسائل الفلسفية بالاصولية والفقهية مع اختلاف مجالهما، لذلك اعترضوا في مسائل عديدة على مثل هذا التأثير، وهناك شواهد عديدة على اعتراضاتهم نذكر نماذج منها وقد اشرنا الى بعضها خلال هذا المقال.

منها اعتراض البعض منهم، على ادخال مشكلة الشرط المتأخر في علمي الفقه والاصول، لان مجالها الفلسفة وعالم التكوين، لا عالم الاعتبار، وسنوضح هذا الاعتراض اكثر.

وقد اعترض البعض على صاحب الكفاية بحثه عن مسألة الجبر والتفويض في علم الاصول. كما اعترضوا على بعض آرائه في هذا الموضوع.

واعترضوا على تأثير فكرة السنخية بين العلة والمعلول وقاعدة الواحد لا يصدر منه الا الواحد في موضوع علم الاصول، وفي بعض المسائل الاصولية والفقهية.

وكذلك اعترض على ما ذكرناه، من اعتماد اتحاد الموضوع في الاستصحاب على الفكرة الفلسفية (قيام العرض في الخارج بلا موضوع محال)، بان مجال هذه الفكرة هو التكوين لا الاعتبار<sup>٢</sup> وهو يؤكد ما ذكرناه من اختلاف مجال العلمين.

ومنها اعتراضهم على القول بالتضاد بين الاحكام الخمسة، بان التضاد تختص استحالاته بالامور التكوينية، واما الامور الاعتبارية فهي خفيفة المؤونة، خاضعة لاعتبار المعبر، ولا تشملها احكام وقوانين الامور التكوينية، ولكنهم ذكروا بانه

ومنهما: مسألة الكشف الانقلابي في البيع الفضولي فقد ذهبوا لبطلان اتباعاً للقانون القائل بان الشيء لا ينقلب عما وقع عليه، وكذلك مسألة تبديل الامتثال الذي يتعرض له في بحث الاجزاء، حيث قالوا بعدم معقوليته اتباعاً لهذا القانون، وهو من القوانين المرتبطة بالتكوينيات، ولكنه استخدم في علم الاصول. ومنها: قانون استحالة اجتماع الضدين والمثلين الذي اعترف به الفلاسفة في التكوينية، طبق في علم الاصول، حيث اعتبر من مقدمات امتناع اجتماع الامر والنهي، كما في الكفاية، حيث ذهب الى التضاد بين الاحكام، مع انه لا يوجد التضاد في الاعتقاريات، وكذلك في مسألة الجمع بين الحكم الظاهري والواقعي، في بحث الامارات، نكر اشكال التضاد بين الحكم الواقعي والظاهري. ومنها: قانون استحالة الاهدال في الواقعيات، اذ لا معنى للاهدال في الامور الخارجية والواقعية، لان الوجود مساق للتحقق، وكل شيء غير متشخص فهو غير موجود، وقد حاولوا تطبيق هذا القانون الفلسفي

يمكن لنا أن نتصور مجالات تكوينية للأحكام الشرعية والاعتبارية، وهي مبادئها أي الملاكات من المصالح والمفاسد، أو غاياتها، وهي مجال الامتثال<sup>٢</sup>، وهذان المجالان تكوينيان، يمكن القول باستحالة التضاد فيهما، وأجراء الأحكام التكوينية فيهما.

ومنها: ما ذكرناه من اعتماد بحث اجتماع الخيارين في آن واحد على القاعدة الفلسفية (استحالة اجتماع علتين على معلول واحد)، فقد ناقشه المحقق النائيني مناقشة دقيقة<sup>٤</sup>، ترجع لما ذكرناه من الفرق بين المجال التكويني حيث تجري فيه هذه القواعد الفلسفية، والمجال الاعتباري حيث لا مجال فيه لهذه القواعد الفلسفية التكوينية.

ومما يدل على توجه علمائنا وحتى السابقين منهم الى هذا الاختلاف بين التكوين والفلسفة وعالم التشريع والاعتبار، هذه الفكرة التي تتردد كثيراً في كتبهم ومنذ القديم في الفقه والاصول (ان الاسباب الشرعية معرفات لا علل او لا مؤثرات)<sup>٥</sup>، وهذا يدل على ارادة معنى آخر غير معناها الفلسفي المصطلح، وانما استخدموا اللفظ الفلسفي للتعبير عن هذا المعنى الآخر.

وفي فوائد الاصول (ان قياس باب الانشائيات باب التكوينية في غير محله، فان التكوينية زمام الانكسار ليس بيد الكاسر بل الذي بيده هو الكسر واما الانكسار فيحصل قهراً، وهذا بخلاف باب المنشئات فانها امور اعتبارية، ويكون زمامها بيد المعتبر النافذ اعتباره، وله ايجادها على أي وجه اراد)<sup>٦</sup>.

وفي المحاضرات (وعلى الجملة فباب الاحكام الشرعية باب الاعتبارات، وهو اجنبي عن باب التأثير والتأثر، ولا صلة لاحد البابين بالآخر ابداً، فلا مانع من تقييد الشارع متعلقها بامر متأخر كما انه لا مانع من تقييدها بامر مقارن او متقدم... ولا وجه لتوهم استحالة القيد المتأخر الا من ناحية اطلاق الشرط عليه زاعماً ان المراد منه ما كان له دخل في تأثير المقتضي فيكون من اجزاء العلة التامة، فلا يعقل تأخره عن وجود المعلول، ومن ذلك يظهر ان المغالطة في المقام انما نشأت عن الاشتراك اللفظي حيث قد اخذ الشرط في الصغرئ وهو قوله هذا شرط، بمعنى وفي الكبرى وهي قوله كل شرط مقدم على المشروط بمعنى آخر، فلم يتكرر الحد

في الاعتباريات، في بحث المطلق والمقيد، وانه لا بد من الاطلاق او التقييد، اذ لا يعقل الاهمال، ولكن الاهمال غير معقول في الواقعيات، واما في الاعتباريات، فهل هو كذلك ام لا؟

ومنها: قانون استحالة تحقق العرض بدون معروض، حيث ينقل عن الشيخ النراقي في بحث البيع، انه انكر تعليق الكلي في الذمة، لان الملكية سوف تنقوم بامر معدوم، وكيف يعقل تقوم العرض بامر معدوم؟

ومنها: ما ذكر، بان انطباق الماهيات على افرادها في التكوينية غير خاضع للجعل، لان هذا الانطباق قهري، وقد استخدم هذا القانون في تطبيق المفاهيم الكلية الاعتبارية على افرادها الاعتبارية، مع انه ربما كان التطبيق خاضعاً للجعل والاعتبار، حيث يختلف عن تطبيق الكلي الخارجي التكويني على افراده التكوينية.

ومنها: استحالة التفكيك بين الملزوم والملزوم، فانه في عالم التكوين يستحيل التفكيك بين النار والحرارة مثلاً، ولكن هل يمكن التفكيك بين الملزوم الاعتباري

الوسط وبدونه فلا نتيجة<sup>٧</sup>.

وهذا النص من شواهد ما ذكرناه، من تأثير استخدام الالفاظ والمصطلحات الفلسفية بمجالها من معنى فلسفي في مجال الفقه والاصول، حيث يشتبه الامر على الباحث والقارئ فيفهم من هذا المصطلح معناه الفلسفي، ويحاول استخدامه بما له من محتوى في المجال الشرعي، او يحاول تطبيق القانون الفلسفي، في المجال الشرعي، والاعتباري، ونتيجة لذلك نشأ من مشاكل الشرط المتأخر، والاجازة في بيع الفضولي بناءً على الكشف او البحث عن موضوع واحد لعلم الاصول اتباعاً لقاعدة الواحد وامثالها.

وذهب صاحب الجواهر في باب اجازة البيع الفضولي الى ان استحالة تاثير المتأخر في المتقدم سبباً كان او شرطاً تختص بالامور العقلية، واما الاعتبارات ومنها المجعولات الشرعية فليست مجرى هذه القاعدة<sup>٨</sup>.

وذكر المرحوم الامام السيد البروجردي (ان ورود الاشكال - اشكال الشرط المتأخر - وان كان مما لا ينكر ولكنه بالاضافة الى الامور الخارجية والعلل الحقيقية ومعلولاتها لا بالنسبة الى الامور الاعتبارية والاضافات المنتزعة عن امور مثل العبادات ومعلولاتها)<sup>٩</sup>.

وبعبارة اخرى: ان الشروط الشرعية ليست كالشروط العقلية بحيث يستحيل فيها تاثير اللاحق في السابق، فيمكن ان يكون الامر المتأخر او السابق شرطاً مؤثراً في الامر السابق او المتأخر، كما وقع ذلك في موردين، في غسل المستحاضة، وفي اجزاء العبادات التدريجية كالصلاة<sup>١٠</sup>.

واعترض الشيخ الانصاري على صاحب الجواهر: بأنه لا فرق فيما فرض شرطاً او سبباً بين الشرعي وغيره، وتكثير الامثلة لا يوجب وقوع المحال العقلي. فلا فرق بين ان يكون المشروط امراً خارجياً، او امراً شرعياً، في استحالة تاثير المعدوم.

وقد ذكر المحقق النائيني (ان حكم العلل التشريعية حكم العلل التكوينية) فانه بعد اعتبار الشارع السببية لشيء ما، اما ابتداءً او بالتبع، بحيث يتوقف شيء على شيء آخر، فلا يعقل، بعد هذا الاعتبار، ان يتحقق المسبب بدون سببه ويكون له

ولازمه الاعتباري ام لا؟ ومن هنا نشأت فكرة الاصل المثبت في علم الاصول.

ومنها: ما ذكر في الروضة في كتاب الطلاق، حين البحث عن الرجعة وانها هل تعيد النكاح ام لا، حيث ذكر بان البعض ذهب الى عدم عودته. (لانه محال، لاستحالة اعادة المعدوم)، فان النكاح قد انعدم بالطلاق فكيف يعاد مرة اخرى، وهذا قانون فلسفي وهو استحالة اعادة المعدوم.

ومنها: ما ذكره من لزوم وجود جامع في بحث الصحيح والاعم، وذلك لان الاثر واحد، فلا بد ان يكون المؤثر واحداً، وهذا تطبيق للقانون الفلسفي، وهو ان الواحد لا يصدر منه الا الواحد.

ومنها: ما نقله الشيخ الانصاري في بحث الخيارات، حول مبدأ خيار الحيوان، وان مبدأ العقد، او الافتراق، فانه لو قلنا ان مبدأه العقد لزم اجتماع خيارين في وقت واحد، خيار المجلس وخيار الحيوان (فانه لو لم نلتزم بانفكاك خيار الحيوان عن خيار المجلس يلزم احد المحذورين على سبيل منع الخل، وهما اجتماع المثلين، واجتماع سببين على مسبب

واحد، وكلاهما محال)، حيث  
ان اجتماع السببين على  
مسبب واحد مخالف لقاعدة  
الواحد.

وقد اعترض عليه بعض المتأخرين: بأن الأحكام الشرعية، ليست أسباباً حقيقية، حتى تجري فيها قوانينها، بل هي أمور اعتبارية، وسيأتي مزيد توضيح لهذا الاعتراض.

وقد ناقش الشيخ هذا القول أيضاً بما يظهر منه توجهه الى عدم خلط الامور التكوينية بالامور الاعتبارية (ويرد التداخل بان الخيارين ان اختلفا من حيث الماهية فلا بأس بالتعدد، وان اتحدا فكذلك، اما لان الاسباب معارف، واما لانها علل ومؤثرات يتوقف استقلال كل واحد منها في التأثير على عدم مقارنة الآخر وسبقه فهي علل تامة الا من هذه الجهة).

ومنها: ما نقله الشيخ  
الانصاري عن فخر المحققين  
في الايضاح، في بحث خيار  
المجلس، فيما لو اكراه احدهما  
على التفرق وبقي الاخر  
بساختياره، فهل يتحقق  
الافتراق؟ حيث ذكر عدة  
قواعد فلسفية قال: (ان هذا  
مبنى على بقاء الاكوان

حكم الاسباب الحقيقية بعد الجعل والاعتبار، بحيث يتوقف وجود المسبب الشرعي على سببه الشرعي، كتوقف المسبب الحقيقي والعقلي على سببه، (فالشارع انشأ السببية للايجاب والقبول والرضا فبدون تحقق جميع اجزاء السبب لا يعقل تحقق المسبب، وما يقال من ان الاسباب الشرعية معارفات لا علل لا يستقيم في المقام لانها علة كالعلة التكوينية بل هي بناء على قابلية تعلق الجعل بالسببية نعم هذا التعبير صحيح في علل التشريع)<sup>١١</sup>.

ولعل هذا هو مراد الشيخ الانصاري في اعتراضه على صاحب الجواهر، وأنه بعد الاعتبار يكون الشرط والسبب الحقيقي كالسبب الشرعي، ولكن الفرق بينهما، في اصل هذا الشرط، او السبب وواقعه، فان الاسباب الاعتبارية والشرعية، يكون انشاؤها واجادها، وزمام امرها، ووضعها ورفعها بيد المعتبر والشارع، حيث له اعتبارها او رفع الاعتبار عنها بعد ذلك، وكذلك له اعتبارها على اي وجه اراد، واما الاسباب الحقيقية التكوينية، فليست خاضعة لاعتبار المعتبر بما هو معتبر، وبهذا التفسير نجعم بين كلمات المحقق النائيني وغيره، الذي عبر احيانا باختلاف الامور الاعتبارية عن الامور الحقيقية، وعبر أيضاً ان العلل الشرعية كالعلل العقلية اي بعد جعلها واعتبارها.

ولكن يمكن القول، بأن الاسباب الشرعية، وإن شابها الاسباب التكوينية والعقلية، بعد الجعل والاعتبار، ومن حيث توقف المسبب عليها، ولكن يبقى فرق بينهما، بأن السبب التكويني، ما يكون المسبب ناشئاً منه حقيقة، كحصول الاحراق او الحرارة من النار، واما المسبب الشرعي فليس كذلك، فليس وجوب صلاة الظهر ناشئاً حقيقة من الزوال، وانما اوجده الشارع المعتمد بلحاظ ملاكاته، واما الزوال فهو معرف وعلامة على حصوله. ولسنا في مجال البحث عن هذه المطالب، فتراجع بحوث علمائنا المحققين في ذلك.

ومن خلال ذلك كله، يمكن لنا ان نذكر العوامل التالية التي تبرر استخدام العلماء للمفاهيم والقواعد الفلسفية، مع التأكيد على ما ترتب على هذا الاستخدام من شبهات في مجال الفقه والاصول:

١ - الاستفادة من القواعد المنطقية او الفلسفية فى طريقة الاستدلال، دون ان

يكون لها دور حقيقي في استنباط الحكم بحيث تكون من مقدماته، كما يلاحظ اعتمادهم على المنطق والطريقة القياسية، أو الاستقراء في هذا المجال.

٢ - التعبير عن الامور الاعتبارية والقانونية بالمفاهيم والقواعد الفلسفية، دون ارادة محتوياتها الفلسفية، لما ذكرناه من اسباب دفعتهم الى هذا التعبير.

٣ - وجود قواعد مشتركة في كلا المجالين، الاعتباري والحقيقي، كما ذكرناه من زهاب البعض الى ان العلل الشرعية كالعلل العقلية، والمؤثرات الحقيقية، فتشملها قواعد ومفاهيم الموجودات الحقيقية، امثال توقف المعلول على العلة، واستحالة تاثير المعلوم وامثالها.

٤ - ارجاع الامور الاعتبارية الى امور تكوينية، وموجودات حقيقية لتصدق عليها القواعد والمفاهيم الفلسفية، كما ذكرنا في ملاحظة الاحكام الشرعية من حيث المبدأ والملك ومصالحها ومفاسدها، أو من حيث المنتهى ومقام الامتثال، وكذلك ما قيل بان الطلب الانشائي والاعتباري لا يقبل التشكيك، لان التشكيك من احكام الموجودات الخارجية، ولكن لو لاحظنا منشأ هذا الطلب وهو الارادة الحقيقية فانها تقبل التشكيك، وغير ذلك، مما يمكن تصور مجال حقيقي وتكوني لملك الامور الاعتبارية، لتصدق عليها تلك المبادئ والقواعد.

٥ - ما ذكرناه من اختلاف مصدر الحكم والقاعدة، من النقل أو السيرة، أو الدليل العقلي وهذا يفرض الاختلاف في منهج البحث، والقواعد والاسس التي يعتمد عليها الباحث في الوصول للحكم أو القاعدة.

وغير ذلك من العوامل التي تبرر استخدام المفاهيم والقواعد الفلسفية والمنطقية في مجال الامور الاعتبارية والفقه والاصول.

واخيراً، فاننا حين نلاحظ المفاهيم والقواعد الفلسفية والمنطقية، فما كان يصلح منها للاستفادة في الفقه والاصول اذا وجد ذلك، مع صواب ذلك المبدأ أو المفهوم الفلسفي والمنطقي لان بعض المبادئ الفلسفية قد شك فيها حتى في المجال التكويني فنستفيد منه في هذا المجال اما بالحفاظ على محتواه، حيث يمكن تطبيق هذا المفهوم أو القانون بما له من محتوى فلسفي ومنطقي في مجال الفقه والاصول، أو انه لو لم يمكن تطبيقه بمحتواه في مجال الفقه والاصول، فيجب

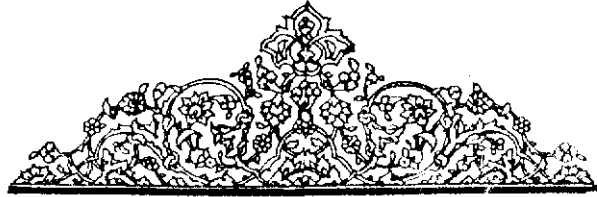
وعدمه، واقتدار الباقي الى المؤثر وعدمه. وان الافتراق ثبوتي او عدمي، فعلى عدم البقاء، او افتقار الباقي الى المؤثر يسقط، لانه فعل المفارقة، وعلى القول ببقائها واستغناء الباقي عن المؤثر ونجوتية الافتراق لم يسقط خياره، لانه لم يفعل شيئاً. وان قلنا بعدمية الافتراق والمعدم ليس بمعل فكنك، وان قلنا انه يعلل سقط ايضاً، والاقرب عندي السقوط، لانه مختار في المفارقة) ويلاحظ في هذا النص الاستفادة من قواعد فلسفية عديدة.

وقد علق الشيخ الانصاري عليه (وهذا الكلام وان نوقش فيه بمنع بناء الاحكام على هذه التديقات). مما يدل على توجه علمائنا الى اختلاف الامور التكوينية وقوانينها، عن الامور الاعتبارية واحكامها.

ومنها: ما ذكره الشيخ الانصاري في خيار الغبن في مسألة تصرف المغبون هل يسقط خيار الغبن ام لا؟ وجهان (وربما يبينان على ان الزائل العائد كالذي لم يزل أو كالذي لم يعد)، وهذه مسألة فلسفية، وهي مسألة امتناع اعادة المعلوم.

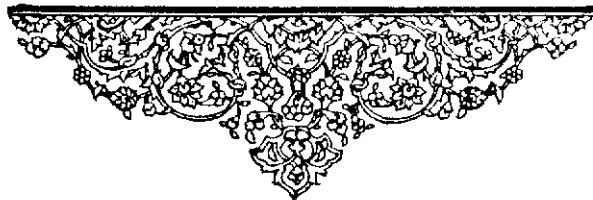
وغيرها من المسائل

افراغه من ذلك المحتوى لاختصاصه في عالم التكوين، وعلم الفلسفة، واعطائه محتوى جديداً يتلاءم والمجال الاعتباري، وعلم الفقه والاصول - مع التنبيه على ذلك حتى لا يشتبه المعنى على القارئ او الباحث - حيث لا يمكن استخدام الفاظ اخرى في هذا المجال، او لتعود العلماء على هذه المصطلحات المعينة وتجذرهما في بحوث الفقه والاصول بحيث يصعب التخلي عنها.



قال الأئمام (ص) :

لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ  
فَقِيهًا حَتَّى يَكُونُ  
مُتَارِضًا كَلَامِنَا .



والاحكام الاصولية والفقهية التي اعتمد فيها على قواعد ومفاهيم فلسفية، يضيّق المجال لو تعرضنا اليها جميعاً

هوامش الصفحات السابقة:

(٢) مصباح الاصول : ٣

٢٢٨

(٣) مصباح الاصول : ٢

١٠٨

(٤) منية الطالب ٢ : ٣٤

(٥) التنقيح الرائع ٢ : ٤٥

وكذلك يلاحظ قواعد الشهيد.

(٦) فوائد الاصول ١ : ١٧٦

(٧) المحاضرات ٢ : ٣٠٩

(٨) الجواهر ٢٢ : ٢٨٩

(٩) الحاشية على كفاية

الاصول ١ : ٢٢٨

(١٠) محاضرات في الفقه

الجعفري ٢ : ٣٤١

(١١) منية الطالب ١ : ٢٣٦

# كتاب في بيان التشيع نشوء ملاحله ومقوماته

تعريف

## ■ هوية الكتاب:

اسم الكتاب: التشيع، نشوؤه، مراحل، مقوماته.

المؤلف: سماحة السيد عبد الله الغريفي.

مطبوعات: دار الموسم للإعلام لبنان - بيروت.

عدد الصفحات: ٤٧٧ من القطع الوزيري.

الطبعة وسنتها: الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

\* الدكتور

محمد جواد الطارحي

[العراق]

## تقديم

بعد التشيع ظاهرة بارزة في تاريخ الاسلام منذ صدره الأول، حيث إنه يمثل التجسيد الحقيقي لمبادئ الشريعة الاسلامية وعقائدها الحققة، بل الوجه المشرق الذي يعكس قيم الدين الحنيف ومثله العليا، ولم ينفصل يوماً ما عن النهج الذي اختطه الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وقد تجمعت في معالمه وواقعه الذي عاشه عبر القرون السالفة حتى اليوم الحاضر، الصياغة الرائعة لفهم الاسلام وتمثيله بأصوله وفروعه وأركانه. وتأتي أهمية الكتابة عن



(قضية التشيع) من جوانب عديدة أبرزها:

### أولاً: الجانب الذاتي

أ - إن ولادة التشيع في حد ذاتها لا تتميز في واقعها عن ولادة الاسلام، بل هما وجه واحد للرسالة الاسلامية الغراء، «ولا يجوز ان نقرن ولادة الاطروحة الشيعية في إطار الرسالة الاسلامية بولادة كلمة الشيعة أو التشيع كمصطلح واسم خاص لفرقة محددة من المسلمين، لأن ولادة الاسماء والمصطلحات شيء، ونشوء المحتوى وواقع الاتجاه والاطروحة شيء آخر»<sup>(١)</sup>.

ب - إذا صح اعتبار التشيع ظاهرة مهمة، فإنها تعتبر ظاهرة طبيعية وليست طارئة، ذلك لأن طبيعة الامتداد الرسالي لها تتميز بالاصالة والعمق والشمولية، على سبيل ما قرره أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين يحتلون الموقع القيادي في التوجيه، وهذا الأمر انما يعبر عن الطريق الواضح المستقيم الذي ينبغي اتباعه من قبل كافة المسلمين.

فأهل البيت عليهم السلام معدن الرسالة وأساسها، وحملة علومها، وقد ورثوا عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله صفاته ومزاياه وشماله الكريمة في التقوى والاستقامة والأمانة والنزاهة والوجاهة، والارتباط بهم والانتقياد إليهم إنما جاء بتوجيه من الرسول القائد حين دعا الى التمسك بالثقلين كتاب الله وعترته الطاهرة.

ولم يشهد التاريخ الاسلامي عبر فصوله الطويلة من البذل والعطاء ما قدمه أئمة أهل البيت عليهم السلام، من مواقف، ودماء غالية أرخصوها في سبيل أن تعلو كلمة الاسلام، وقد كان في مسيرتهم الرائعة المثال الذي ينطبق على خطى الكتاب والسنة المطهرة.

### ثانياً: الجانب الموضوعي

أ - حيث تمثل إشكالية البحث في موضوع (التشيع) عنواناً بارزاً من سمات البحث في اتجاهات المذاهب الاسلامية التي ولدت ما بعد عصر الرسالة، فحينما برز عصر التدوين الفقهي، إبان القرن الثاني الهجري، كان للتشيع مظاهره

(١) الامام الشهيد الصدر  
«مقدمة كتاب تاريخ الامامية»  
د. عبدالله فياض.

المتعددة، وإشراقاته الرائدة في ملامح الحركة الاسلامية فكراً وسيرة ومنهجاً، وكان الائمة عليهم السلام في كل ذلك نموذجاً رائعاً لتقويم المسيرة التي انحرفت عن النهج المحمدي السليم، حتى عندما انبثقت فكرة (المذهبية الاسلامية) فيما بعد، كان للامام أبي عبدالله الصادق عليه السلام دوره الفاعل في توجيه وارشاد أئمة المذاهب بهدف تحجيم حالة الافتراق والبعد عن الاصلية الاسلامية وشدهم الى الخط الاسلامي القويم، وهو دور العترة الطاهرة الذي كانت البداية فيه متمثلة بخطى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام. حتى بلغت فيه النوبة الى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ومن هنا تأتي الأهمية الموضوعية لبحث التشيع في نشوئه ومراحله ومقوماته، من أجل إيجاد الطابع المميز للكتلة الشيعية، والفهم الصحيح لملايسات كل مرحلة، وما أعد لها من معالجات ناجعة. بل إن كل مرحلة كانت «نتيجة ضرورية لطبيعة تكوّن الدعوة وحاجاتها وظروفها الأصلية. وبمعنى آخر كانت تفرض على الاسلام أن يلد التشيع، وبمعنى آخر كانت تفرض على القائد الأول للتجربة أن يعدّ للتجربة قائدها الثاني الذي تواصل على يده ويد خلفائه نموّها الثوري»<sup>٢</sup>.

(٢) مقدمة الامام الصدر  
لكتاب تاريخ الامامية السابق  
الذكر.

ب - كان مما رشحته عوامل عدم الاستقرار المذهبي وظهور اتجاهات عديدة على الساحة الاسلامية، ومما خلقت الظروف في المراحل اللاحقة هو اصطباغ الافق بعدم وضوح الرؤية، وتلبّد الأفكار، فكان أن أثّرت الشبهات وتلاحقت مقاصد الاساءة ضد التشيع من أجل الإطاحة بكيانه الذي يمثل الاسلام، ويتبنّى الدين مشروعاً لتفسير الكون، ورعاية الانسان، وكفالة الحياة على أمثل وجه أرادّه الله.

وقد اختلفت الرؤى، وتعددت الأسباب، ووضعت العراقيل حتى بلغت الحالة أن نجد أن حركة الاستشراق التي لا هدف لها مع الاسلام إلا تحطيمه، كان من مصلحتها أن تتقمص «التعدد المذهبي» فيقف من يقف منهم مع أحد المذاهب السنية، ويصطف الآخر مع الشيعة والتشيع، وكل ذلك من أجل توسيع شقة الخلاف بين المسلمين، وكسب المعركة لتمرير المشروع الصليبي. وقد أدى

بالتالي الى التأثير على اتجاهات المؤلفين من مؤرخين وغيرهم، حين صيغت الأحداث والتطورات الكبرى بحيث تمثل وجهة نظر الحاكمين، تبعاً للظروف السياسية التي كانت تسند التحليل والنظرة المطروحة. ولكن المساهمة الجادة المرتكزة على الاسس القوية التي قادتها مسيرة الشيعة والتشيع، وروح التسامح النابعة من أصالة المبنى، وحصانة الاسلوب التبليغي كانت هي السبب الرئيس الذي أعاد للاسلام نضرتة الاولى، وأدرجه في مدارج حيوية، وجعله يحافظ على سرّ العظمة في متبنياته الاساسية.

### لماذا الكتابة عن التشيع؟

وهنا يبدو جلياً ما أفاض به المؤلف في عرضه القيم الذي أعده أطروحة تأصيلية لواقع التركيب والنشوء لفكرة التشيع حيث تحدث:  
في القسم الاول تحت عنوان (التشيع في نشوئه ومراحل) بفصول ثلاثة:  
الفصل الاول - آراء وتفسيرات حول نشوء التشيع.  
الفصل الثاني - رؤيتنا حول نشوء التشيع ومراحل.  
الفصل الثالث - الامامة من خلال النصوص والاحاديث.

ونجد جدوى ما يثيره هذا الكتاب من موضوعية من خلال تقييمه الى مناهج الدراسات والبحوث التي كتبت عن التشيع، ومنها ما كتبها الشيعة أنفسهم، ومنها ما كتبها آخرون، من مواقع فكرية وانتماءات مذهبية مختلفة. ولذلك فإن هدف البحث هو المساهمة في دراسة التشيع والحالة الشيعية التي تجسده في جذورها ومنطلقاتها، وفي ركائزها ومقوماتها، وفي مسارها وحركتها وامتداداتها. وبالتالي نجد أن المؤلف الجليل قد اتجهت دراسته الى بلورة الوعي التوحيدي خاصة في المواضيع التي تشمل اكثر إثارة وحساسية، حيث يخلص منها المؤلف باعتماده على الاسلوب الواضح في الرؤية الى ازالة كل الاشكالات التي تعقد حالة التلاحم الفكري والنفسي والعملية في مسيرة الامة.

## خطة البحث التي اعتمدها الكتاب:

كما ألمحنا سابقاً أن خطة البحث اشتملت على مقدمة وثلاثة اقسام وخاتمة.

### المقدمة

تناولت هدف البحث، موضوعه، أهميته، الاسباب التي تقف وراء اختياره، والخطة المعتمدة في انجازه.

### القسم الاول

يعالج مسألة التشيع في نشوئه ومراحله وذلك من خلال ثلاثة فصول:  
يتناول الفصل الاول الآراء والتفسيرات التي حاولت أن تؤرخ للظاهرة الشيعية في نشوئها وولادتها، والعوامل والاسباب التي انتجت تلك الظاهرة.  
ويتناول الفصل الثاني الرؤية التي يتبناها البحث حول نشوء التشيع ومراحله التي تجسدت في:

أ - مرحلة التأصيل والتجذير.

ب - مرحلة التجسيد والتطبيق.

ج - مرحلة الوضوح والامتداد.

ويتناول الفصل الثالث مسألة الامامة وهي العقيدة التي تنتظم قضية التشيع. وعالج هذا الفصل مسألة الامامة من خلال النصوص والاحاديث وقد تضمن الفصل مبحثين أساسيين:

المبحث الاول يدون نصوص الامامة، ويضعها ضمن ثلاث منظومات رئيسية:

المنظومة الاولى: النصوص المباشرة.

المنظومة الثانية: الدلالة الالتزامية.

المنظومة الثالثة: المؤشرات العامة.

المبحث الثاني يعالج موقف مدرسة الخلفاء من نصوص الامامة، ويناقش هذا

الموقف على مستويين:

- الاول - مستوى صحة النصوص.

الثاني - مستوى دلالة النصوص.

## القسم الثاني

يبحث هذا القسم دور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة، ويضم هذا القسم فصلين:

**الفصل الأول:** يتناول التغييرات الطارئة في الصيغة الإسلامية والمتسجدة في المجالات التالية:

- العقيدة.

- التفسير القرآني.

- السنة النبوية.

- التاريخ الإسلامي.

**الفصل الثاني:** يتناول الأدوار التي مارسها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة، وذلك من خلال المستويات التالية:

أ - المستوى العقائدي.

ب - المستوى الروحي.

ج - المستوى السياسي.

د - المستوى التشريعي.

## القسم الثالث

يعالج أبرز المستويات التي تكوّن المقومات الأساسية للحالة الشيعية .. ويتناول هذا القسم ثلاثة مستويات رئيسية ضمن ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** المستوى العقائدي

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

**المبحث الأول - المستوى العقائدي العام، ويتناول الأصول العقائدية العامة:** التوحيد، النبوة، المعاد.

**المبحث الثاني - المستوى العقائدي الخاص، ويتناول عقيدة الإمامة من خلال النصوص التي حددت عدد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.**

**الفصل الثاني:** المستوى الروحي

ويتناول هذا الفصل مبدأ (الولاء لأهل البيت) من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الاول: تأصيل المبدأ الولائي لأهل البيت (عليه السلام).

المبحث الثاني: الدلالات الكبيرة لمبدأ الولاء.

المبحث الثالث: المضمون الحقيقي للولاء.

الفصل الثالث: المستوى العملي.

ويتناول المضمون العملي الذي تجسده الحالة الشيعية في الالتزام بنهج الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النهج القيادي.

المبحث الثاني: النهج السلوكي.

المبحث الثالث: النهج الفقهي.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث .. وهي عبارة عن تلخيص وتكثيف لموضوعات

البحث الاساسية، واستخلاص بعض الاستنتاجات المهمة.<sup>٢</sup>

ومن حيث يجد المتفحص للكتاب - عند استعراضه - هذا المنهج المكثف الذي حاول به جاداً المؤلف الجليل معالجة أهم قضية في تاريخ الاسلام وهي قضية التشيع لاستجلاء معالمها، وايضاح ما خفي فهمه على ذوي البصائر مما يخص الموقف العملي الذي قرره التاريخ الاسلامي سواء ما يخص الظروف والاحداث أو الشخصيات، أو ما يتعلق بأسس العقائد الاسلامية التي حافظ التشيع على إدامة بهاؤها بالصيغة الاسلامية الناصعة .. وقد وفق المؤلف أيما توفيق في عرض الافكار التي أشار اليها في خطة بحثه الكريم، معززة بالشواهد والادلة، موثقة بما يقتضيه المقام من الروايات والاعبار الواردة في كتب الصحاح للفريقين.

وفي مثل هذا المنحى يتضح اتجاه موضوعي في كتابة الكاتب، حيث إنه بالرغم من فرضية المنهج العلمي التي تقتضي اتباع هذا الاسلوب الرصين، فإن ذلك بحق يعبر عن روحية المؤلف الموالية لأهل البيت (عليه السلام) التي لا يطالها شوب من النزعة الضيقة، أو الطائفية المقيتة. فقد توصل المؤلف الى اثبات أصالة الفكرة التي طرحها في كتابه بطريقة اعتمدت المأثور الصحيح عند أئمة المسلمين من دون الاعتماد على كفة دون الاخرى، بغية إثبات أن الشيعة - في الواقع - يمثلون «واجهة الاسلام الصحيحة، ومرآته الصافية، وأن من أراد ان ينظر الى الاسلام عليه أن

(٣) اعتمدنا كذلك في استعراض خطة البحث على ما كتبه المؤلف.

ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم، والتاريخ خير شاهد على ما قدّمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية..

كما أن من النتائج المهمة التي أكدها الباحث هو التصدي لمقولة عدم الانصاف للشيعة والتشيع، هذه الحملة الظالمة التي قادها الاستكبار الغربي للايقاع بالأمّة المسلمة، حيث وقع الكثير من الباحثين في مثل هذه الهوة العميقة نتيجة اتباعهم مسار خصوم الشيعة وأعدائهم دون تحرٍ وتدقيق، حيث قد توفرت دراسات كثيرة من قبل المستشرقين وأعداء الاسلام التقليديين، فكان لمثل هذا التقليد الأعمى الذي صدر من باحثين ربما في الغالب (إسلاميين)، حيث سلكوا شططاً وانتهجوا غلطاً، فصب الويل على الألفة الإسلامية التي تتبع من مصدر واحد.

### نتائج البحث

وحين نحاول أن نستعرض نتائج البحث نجد أن المؤلف الكريم قد توصل الى أربعة نتائج هامة في صدد بحثه:

**النتيجة الاولى:** اثبات الاصاله الإسلامية لحالة التشيع التي تجسدت من خلال التجذير في عصر الرسالة، والتجسيد فيما بعد وفاة الرسول المصطفى ﷺ ومرحلة الوضوح والامتداد، حيث توافرت الظروف الموضوعية الملائمة لإبراز ملامح مدرسة أهل البيت ﷺ.

**والنتيجة الثانية:** كانت تؤكد أن التشيع تعبير أصيل لواقعية التجربة الإسلامية بما تحمله من طموحات كبيرة في استمرارية النمو الثوري والحركة التغييرية، فمن خلال تجسيد أطروحة الامامة يتجذر في داخل الأمّة الخط القيادي الأصيل الذي اكدته النصوص الإسلامية الثابتة.

**والنتيجة الثالثة:** فقد توصلت الى ان الابعاد العقائدية والروحية والفقهية والسياسية التي حملها التشيع عبر تاريخه المشرق لم تكن الا صورة واضحة معبرة عن المنحى الاصيل لفكر الرسالة ومن خلال الاعمال الجليلة، والافكار النيرة التي طرحها أئمة أهل البيت ﷺ بل وقاموا بتأصيلها في فكر الامّة وواقعها وبكل مدياته ومفرداته.

والنتيجة الرابعة: وهي هامة من حيث معالجة الفكرة الشائعة التي تنطوي على شبهة اعتبار الحالة الشيعية في المجتمع الاسلامي حالة طارئة، فقد وفق المؤلف الى إعطاء رؤية تقويمية للتفسيرات التي تناولت الحالة الشيعية من خلال طرحه لملاحظات ثلاثة:

الملاحظة الاولى: إن أساس شيوع هذه الشبهة يعبر عن مرحلة تاريخية محددة عاشت التناقض والتباين، وإن لتحديد طبيعة هذه العوامل والاحداث أثره في إفراز هذه الظاهرة.

الملاحظة الثانية: إن اعتبار التشيع ظاهرة طارئة يعبر عن إغفال تام للنصوص والاحاديث بما تحمله من دلالات واضحة في تحديد مضمون الامامة والقيادة، وفي حالة غياب الفهم الواعي للنصوص لا بد من أن يمتلئ الفراغ بما يحكي التصور الخاطئ، وفي جلاء الغبار عن هذه الحقيقة والروحية العلمية التي تحاول معرفة الواقعة من خلال توثيقها من مصادرها الاساسية نستطيع الوقوف على الاسس والاسباب التي أدت الى مثل هذه النتائج.

ولذلك نجد أن الفكر الشيعي بمفرداته التي يخاطب بها من أمثال: الامامة والولاية والوصية والخلافة، فهي في الواقع مفردات أصيلة وردت في النصوص الثابتة الصحيحة، وليست مفردات دخيلة تسلّت الى مفاهيم الامة من قواميس دخيلة، سواء وردت من عقائد وأديان قديمة، أو كان لها أساس قومي أو عنصري معين.

الملاحظة الثالثة: إن مما يعزز الفهم الواعي لإقصاء فكرة التعبير عن الحالة الطارئة هو ما استوعبته طبيعة الحركة التغييرية في مسيرة الرسالة، وذلك من خلال الامتداد القيادي المؤهل في قيادة أهل البيت عليه السلام لحمل مسؤوليات الدعوة، ومواصلة مهام التغيير، وحماية أهداف الرسالة، بل كان لموقفهم الكريم الأثر الإيجابي الكبير في تقويم المسيرة الاسلامية عبر ظروف الانحراف منذ الصدر الاسلامي الاول.

وأما الملاحظة الرابعة: فقد كانت تعني أن التشويه المتعمد للحالة الشيعية تعبر عن أزمة في (المنهجية والبحث) نتيجة الظروف المذهبية والسياسية والتاريخية



التي لم تغلق نافذتها، فتقع الجناية على حقائق التاريخ، مما كان لا بد من تبصير طلاب الحقيقة على واقع الحال الصحيح من خلال التنويه والاشادة بمن كتب في موضوعية وحالة بعيدة عن هذه الظروف، حين تكون دراسة موفقة. وكذلك بالتنبيه على الكتابات التحريفية من هذا الركام الموروث من حالة التشردم والتفرقة التي أرادها المستعمرون وأعداء الاسلام.

إلا أن الأوصالة القادرة على التصدي لكل هذه الموروثات السلبية والظواهر غير المقبولة كانت في حالة ركد لكل حالة، وكان الباحث المنصف، والرأي الحر يتبلغ من الحقائق فيصقلها ويبرزها، ويضعها في محلها المناسب. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾. وفي هذا المنحى تبدو أهمية الكتاب الذي يحافظ على أسلوب عرضه لقضية من أعقد القضايا في عالمنا المعاصر، فتبدو اللغة التي يعبر فيها رائدة لمسار تقريبي يتجنب إثارة العواطف والنزعات الضيقة، وهو السبيل الأجدي في خدمة قضية الشيعة والتشيع، حيث إن هذا الهدوء المطلوب هو الذي يكمل الشوط المبارك الذي خطط له أئمة الهدى ومن تبعهم من السلف الصالح.

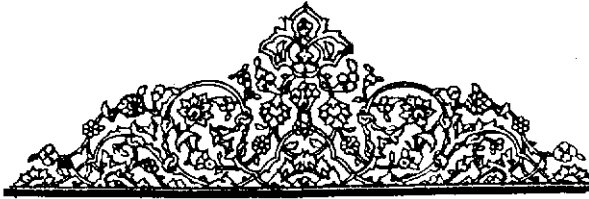
### مصادر البحث

مما ينبغي الإشارة إليه لبيان أهمية الكتاب هو اعتماده للمصادر والمراجع المهمة التي تنبئ عن أسلوبه ولغته، حيث وجدناه يعتمد الروافد الاصلية للنص الاسلامي، وفي طليعتها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأحاديث الائمة من أهل البيت (عليه السلام). كما اعتمد المؤلف على المصادر المعتمدة عند علماء الامامية وبصورة رئيسية الكتب الحديثية الاربعة المشهورة، ومن مصادر علماء مدرسة الخلفاء كان الرجوع الى كتب الصحاح المعتمدة، الى غير ذلك من المصادر المعتمدة في الحديث والتفسير والسيرة والتاريخ والفقه واللغة.

### كلمة أخيرة

لا نستطيع بهذه الصفحات القليلة استيعاب ما يلزم من التعريف الوافي بجهد

مؤلف بذل قصارى ما يستطيعه لرسم صورة واضحة المعالم عن هذه القضية التي شغلت الساحة الاسلامية وجعلتها على مفترق طريقين. ولذلك فإن إعادة الثقة الى الذات المسلمة والعودة الى البيت الاسلامي يحتاج الى جهاد متواصل، إلا أن مما يشير الى أهمية البحوث والدراسات التي تعنى بموضوع الكتاب هو ضرورة التصدي للانحرافات والمواجهات العنيفة. نتمنى التوفيق لإجلاء الكلمة الهادفة في خدمة المسيرة الفكرية لعالمنا الاسلامي والحمد لله رب العالمين.



قال الإمام الصادق (ع) :

لَيْسَ مِنْهُ سَابِقُنَا  
مَنْ قَالَ بِأَسَانِهِ  
وَحَالَفْنَا فِي أَعْمَالِنَا  
وَأَنَارَنَا.



من فقه مدرسة

أهل البيت

# بيع العربون

## حقيقته

## مشروعيته - أحكامه

\* سماحة الشيخ

محمد هادي معرفة

العَرَبُونَ «بفتح العين والراء» والعَرَبُونَ والعَرَبَان «بضم العين وسكون الراء»: «اسمٌ معَرَّب، هو ما يُعَجَّل من الثمن على أن يُحسب منه إن مُضي البيع، وإلا استُحقَّ للبائع». هكذا عرّفه الوسيط.

وقال ابن الأثير: هو: أن يشتري السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئاً على أن إن أمضي البيع حسب من الثمن، وإن لم يمضَ البيع كان لصاحب السلعة، ولم يرتجعه المشتري.

يقال: أعرب في كذا، وعَرَّب، وعَرَّب، وهو عَرَبَان وعَرَبُونَ، وعَرَبُونَ: قيل: سُمِّيَ بذلك لأن فيه إعراباً لعقد البيع، أي إصلاحاً وإزالة للفساد، لئلا يملكه غيره باشتراؤه.

وقال الفيروزآبادي: العَرَبَان والعَرَبُونَ، بضمّهما، والعَرَبُونَ، محرّكة، وتبدل عينهنّ همزة، ما عقد به المبيعة من الثمن.

قال الامام مالك في «الموطأ»: وذلك أن يشتري الرجل العبد أو الوليدة، أو

يتكاري الدابة، ثم يقول للذي اشترى منه أو تكارى منه: أعطيك ديناراً أو درهماً أو أكثر من ذلك أو أقل، على أنني إن أخذت السلعة أو ركبت ما تكارىت منك، فالذي أعطيك هو من ثمن السلعة أو من كراء الدابة، وإن تركت ابتياع السلعة أو كراء الدابة فما أعطيتك لك...<sup>(١)</sup>

وهكذا فسره ابن ماجة قال: العربان أن يشتري الرجل دابة بمائة دينار فيعطيه دينارين عربوناً، فيقول: إن لم أشتري الدابة فالديناران لك. وقيل «والله أعلم»: إن يشتري الرجل الشيء فيدفع الى البائع درهماً أو أقل أو أكثر ويقول: إن أخذته وإلا فالدرهم لك...<sup>(٢)</sup> وهو ناظر الى كلام الامام مالك.

وقد تعارف عليه الناس في معاملاتهم، ولا سيما الخطيرة منها، والتي يتوقف نفاذها غالباً على مضي فترة من الزمن، كي تتحقق خلالها رسوم إدارية وشبه إدارية متعارفة، فيتقاضى البائع مبلغاً من الثمن يدفعه المشتري إليه مقدماً حتى تكتمل وثائق البيع مثلاً، كي لا ينصرف المشتري عن إنفاذ البيع وإمضائه قبل اكتمال الوثائق، حيث قد تتعقد الرسوم الإدارية، أو تحول دون التسرع في نفاذ البيع رسمياً مشاكل قد لا يتحملها المشتري، ولا يرى مبرراً للأناة حتى نهاية الأمر، وربما يتاح له بيع مشابه لا تعقيد فيه، فينصرف اليه ويترك ذلك البيع... الأمر الذي يحتمل بشأن المشتري أكثر مما يحتمل بشأن البائع، لأن البائع ملجئ على تصريف بضاعته مهما كلف الأمر، ومن ثم تعارف الاستيثاق بشأن المشتري غالباً.

نعم قد يتساوى الاحتمال بشأن كليهما، فعند ذلك يجوز الاستيثاق من كلا الجانبين، فيتفاوضان على دفع مبلغ من كل واحد منهما إذا أراد الانصراف عن إمضاء البيع، أي أراد فسخه، فإن كان الفاسخ هو من دفع العربون، يصبح فاقداً له. وإن كان الآخر «أي البائع القابض للعربون مثلاً» كان عليه ردّ العربون وردّ مثله، أي ضعفيه.

ذكر السنهوري في «شرح القانون المدني الجديد»: إن دفع العربون وقت إبرام العقد يفيد أن لكل من المتعاقدين الحق في العدول عنه، إلا إذا قضى الاتفاق بغير ذلك، فإذا عدل من دفع العربون ففقد، وإذا عدل من قبضه ردّ ضعفيه.<sup>(٣)</sup>

(١) شرح الموطأ «تنوير الحوالك» لجلال الدين السيوطي ١: ١١٨، وراجع ٣: ٣٨٣ رقم ٣٥٠٢.

(٢) سنن ابن ماجة القزويني ١٧: ٢ باب ٧١٥ رقم ٢٢٢٧.

(٣) هذا هو نص المادة ١٠٤ من القانون الجديد. راجع الوسيط ١: ٢٦١، ٢٦٢.

### حقيقته

بيع العربون، في حقيقته: بيع خيار مشروط: بأن يكون المتبايعان قد تفاوضا على الخيار للمشتري «أي حق العدول عن العقد» بشرط تملكه للبائع مبلغاً مقدراً، يدفعه سلفاً على أن يكون له إذا عدل، وإلا كان قسماً من الثمن.

وذلك أن عقد البيع إذا أطلق وقع لازماً، لا خيار لأحدهما بعد تفرقهما، وبعد انقضاء ثلاثة أيام في الحيوان. ولكن يجوز لهما شرط الخيار لكليهما أو لأحدهما لمدة محدودة، ويسمى خيار الاشتراط، أي: الخيار الثابت بالاشتراط، وهو جائز إن وقع الاشتراط في نفس العقد، أو وقع العقد مبنياً عليه، حيث تفاوضا عليه مسبقاً. ثم اشتراط الخيار قد يكون مطلقاً وبلا شرط، وقد يكون مشروطاً بشيء مثلاً: دفع مبلغ معين من الذي عدل، إلى الطرف الآخر، أو تملكه له إذا كان قد دفعه إليه مسبقاً، بأن يكون له «على نحو شرط النتيجة» إذا عدل، وإلا كان قسماً من الثمن ومحسوباً منه.

ومسألة العربون «إذا عرضناها على القواعد العامة» تكون من هذا القبيل، لأن البيع قد انعقد بيعاً خيارياً مشروطاً بأن يكون ما دفعه إلى البائع ملكاً له إذا فسخ، وإن لم يفسخ حسب من الثمن.

نعم قد يتعارف «في بعض الاوساط العامة» على دفع العربون مقدماً على عقد البيع عند التقاؤل عليه، استيثاقاً على الإجراء. فيدفع المشتري مبلغاً إلى البائع توكيداً على إرادة الجد في البيع لمدة محدودة، فإن جاء المشتري وأمضى البيع حسب من الثمن وإلا كان ما دفعه إلى البائع ملكاً له بلا عوض.

وهذا النوع من العربون «المتعارف أحياناً في بعض الاوساط» لا يمكن تطبيقه على القواعد، إذ لا موجب لتملك البائع لذلك المبلغ ولا مبرر له. ومن ثم أفتى الفقهاء بوجوب رده إلى المشتري إذا عزم على الانصراف، وإلا كان أكلاً للمال بالباطل، أي من غير مجوز شرعي، ولا كان بأزاء شيء أو شرط في ضمن عقد لازم، وإنما هو شرط ابتدائي لا غير.

ثم إن دفع العربون هل هو لأجل الاستيثاق من العقد، كي لا يعدل أحدهما عنه، وإلا خسر قدر هذا العربون، أو إنه لأجل جعل حق العدول لنفسه «أي حق الفسخ»

مشروطاً بدفع المبلغ المذكور؟

ظاهر عرفنا الاسلامي «في القديم والحديث» هو الأول، وإن كان يرجع مآلاً الى الثاني، تصحيحاً له وتطبيقاً مع القواعد العامة، فهو مقصود تبعاً لا ذاتاً، الأمر الذي يختلف مع سائر الأعراف.

قال السنهوري عند التعرض للعربون في القوانين الاجنبية:

يتفق أحياناً أن يدفع أحد المتعاقدين للآخر عند إبرام العقد مبلغاً من المال «يكون عادةً من النقد» يسمى العربون. وأكثر ما يكون ذلك في عقد البيع وفي عقد الإجارة، فيدفع المشتري للبائع أو المستأجر للمؤجر جزءاً من الثمن أو من الاجرة، ويكون غرض المتعاقدين من ذلك إما حفظ الحق لكل منهما في العدول عن العقد، بأن يدفع من يريد العدول قدر هذا العربون للطرف الآخر، وإما تأكيد العقد والبت فيه عن طريق البدء في تنفيذه بدفع العربون.

قال: وقد انقسمت القوانين الاجنبية بين هاتين الدالتين المتعارضتين، فالقوانين اللاتينية بوجه عام تأخذ بدلالة العدول، أما القوانين الجرمانية فتأخذ بدلالة البت.

ثم ذكر القانون المدني المصري القديم، وأنه يتردد بين الدالتين، وكان يأخذ بنية المتعاقدين، ويفسر هذه النية عند غموضها في ظل العرف الجاري.

قال: والظاهر أن العرف في مصر تميز بين البيع والإيجار، ففي البيع تكون دلالة العربون في العقد الابتدائي جواز العدول، وفي العقد النهائي التأكيد والبت، أما في الإيجار فالعربون دليل على التأكيد والبت لا على جواز العدول، ويعتبر تعجيلاً لجزء من الاجرة تنفيذاً للعقد.

ثم أخذ في بيان العربون في القانون المدني الجديد، قال: أخذ القانون الجديد، حسماً للخلاف والتردد، بدلالة جواز العدول، ومن هنا كان العقد المقترن بعربون مرحلة غير بارة في التعاقد النهائي، إذ يجوز العدول عنه.... وقد نصت المادة ١٠٣ من القانون الجديد على:

اولاً: «إن دفع العربون وقت إبرام العقد يفيد ان لكل من المتعاقدين الحق في العدول عنه، إلا إذا قضى الاتفاق بغير ذلك....».

ثانياً: «إِذَا عَدَلَ مَنْ دَفَعَ الْعَرَبُونَ فَقَدْهُ، وَإِذَا عَدَلَ مَنْ قَبِضَهُ رَدَّ ضَعْفِيهِ...»  
قال: ويتبين من هذا النص انه اذا لم يتفق المتعاقدان صراحة أو ضمناً على انه لتأكيد البتات في التعاقد، كان دفعه دليلاً على إرادة أن يكون لكل منهما الحق في العدول عن العقد، فإذا لم يعدل أحد منهما خلال المدة التي يجوز فيها العدول، أصبح العقد باتاً، واعتبر العربون تنفيذاً جزئياً له، ويجب استكمال التنفيذ... أما اذا عدل أحدهما، وجب عليه أن يدفع للطرف الآخر قدر العربون، جزاء العدول... فإذا كان هو الذي دفع العربون فإنه يفقده، ويصبح العربون حقاً لمن قبضه. أما إذا كان هو القابض فإنه يردده ويرد مثله... حتى يكون بذلك قد دفع قيمة العربون جزاء عدوله..

قال: أما إذا اتفقا «صراحة أو ضمناً» على أن دفع العربون إنما كان لتأكيد العقد لا لإثبات حق العدول، وجبت مراعاة ما اتفقا عليه، فلا يجوز لأحد منهما العدول، ولكل منهما مطالبة الآخر بتنفيذ العقد. ويعتبر العربون تنفيذاً جزئياً يجب استكماله...<sup>٤</sup>

وهذا التفسير الذي قدمه السنهوري، لعله لا يتوافق مع العرف الراهن، ولا التعاريف التي قدمها أرباب اللغة عن الاعراف السالفة، وكذا في الاحاديث الواردة. إذ لا شك أن تداول العربون في المعاملات الدارجة إنما هو للتأكد من الالتزام بالعقد، حسبما قدمنا، وإنما جاءت مسألة حق العدول من قبل تفاوضهما عليه ضمناً، بمعنى أن المشتري «مثلاً» اذا تخلى عن امضاء البيع نهائياً، كان قد خسر العربون الذي دفعه، ولم يكن للبائع حق إقامة الدعوى عليه بوجوب تنفيذ العقد... اما اذا لم يكن هناك عربون، فان للبائع حق إقامة الدعوى عليه قانونياً وحسب قواعد الشريعة، لوجوب الوفاء بالعقد شرعاً وقانوناً. فكان القاضي يلزم المشتري بتنفيذ التزامه بعقد البيع. لكن دفع العربون يسلب البائع هذا الحق، ولا يدع مجالاً للحكم القضائي المذكور...

فمسألة حق العدول مسألة تبعية وليست ذاتية، ومع ذلك فإنها منشأ آثار وأحكام قضائية تختلف عما اذا لم يكن هناك عربون.

وشيء آخر كان دفع العربون «في عقد البيع مثلاً» عقد التزام في التزام، لا

(٤) راجع: الوسيط ١: ٢٥٩،  
٢٦٤ أرقام ١٤٠، ١٤٢.

تعويضاً عن ضررٍ يصيب الطرف الآخر من جزاء العدول. بمعنى ان دفع العربون يوجب التزاماً بدفع قدره في ذمة الذي عدل عن العقد، سواء ترتب على العدول ضرر الطرف الآخر أم لم يترتب، فإن الالتزام ثابت حتى ولو لم يترتب على العدول أي ضرر.. فالعبرة بنفس الالتزام المذكور، وهو مطلق غير مقيد بشيء من هذا القبيل، ومن ثم لم يفتقد دفع قدر العربون بحصول ضرر أو غيره، وإنما هو جزاء العدول وخسارة يدفعها الذي عدل عن العقد حسب الشرط أي حسب التزامه بذلك في نفس العقد.

وهكذا ذكر السنهوري في تفسير القانون الجديد... قال: ويلاحظ أن النص يرتب التزاماً بدفع قيمة العربون في ذمة الطرف الذي عدل عن العقد، لا تعويضاً عن الضرر الذي أصاب الطرف الآخر من جزاء العدول، فإن الالتزام موجود حتى ولو لم يترتب على العدول أي ضرر، كما هو صريح النص تفسيراً لنية المتعاقدين، حيث جعل العربون مقابلاً لحق العدول، وفي هذا يختلف العربون عن الشرط الجزائي<sup>٥</sup>... الذي هو بأزاء الضرر الذي أصاب الطرف الآخر من جزاء تخلف صاحبه عن التزاماته الناشئة عن العقد.

### مشروعيته

وإذا كانت حقيقة بيع العربون: كونه بيعاً اختيارياً مشروطاً بشيء فظاهر قواعد الشريعة، هو جوازه، لأنه شرط جائز في نفسه، وقد وقع في نفس العقد وتراضياً عليه، فشملة عموم قوله ﷺ: «المسلمون عند شروطهم»<sup>٦</sup>، حديث مستفاد عليه.

أما جواز الشرط المذكور فلأنه لم يحرم حلالاً ولم يحل حراماً، أي لم يكن ابتداءً في الدين ولا رفضاً لشريعة سيئها سيّد المرسلين ﷺ.

وكان دفع المبلغ المقرر أو كونه للبائع عند الفسخ، وفاء بالشرط الواقع في عقد البيع، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾.

نعم يجب أن يكون أمد الخيار معلوماً، إما وفق المتعارف في أمثال تلك المعاملات، أو يُعَيَّنَ في نفس العقد، حتى لا يكون شرطاً مجهولاً.

(٥) راجع: الوسيط ١: ٢٦٣.  
(٦) رواه أبو جعفر الصدوق - في من لا يحضره الفقيه ٣: ١٢٧ - باب الشرط والخيار في البيع برقم ٥٥٣ بلفظ «المسلمون عند شروطهم إلا كل شرط خالف كتاب الله عزوجل فلا يجوز».

والشيخ أبو جعفر الطوسي في التهذيب ٧: ٤٦٧ برقم ١٨٧٢/٨٠ بلفظ «فإن المسلمين عند شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً» والاستناد في كلا الكتابين صحيح.

ورواه ابن أبي جمهور الاحساني في كتابه غوالي اللآلي ٢: ٢٥٧ - ٢٥٨ باب الديون برقم ٧، بلفظ «المؤمنون عند شروطهم» وبرقم ٨ بلفظ «المسلمون عند شروطهم».

ورواه الخُرّ العاملي في وسائل الشيعة ط. الاسلامية ١٢: ٣٥٣ كتاب التجارة أبواب الخيار باب ٦ رقم ٢ و«مؤسسة آل البيت» ١٨: ١٦ برقم ٢/٢٣٠٤١.

وهكذا زواه البخاري في صحيحه كتاب الاجارة رقم ١٣ ط مشكول ٣: ١٢٠ «بلفظ «المسلمون عند شروطهم»، وأبو داود في الاقضية باب الصلح «السنن ٣: ٣٠٤ - رقم ٣٥٩٤ بلفظ «على شروطهم».



والترمذي في الاحكام باب ١٧ رقم ١٣٥٢ «الجامع ٣: ٦٣٥» بلفظ «المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً» ثم قال

هذا حديث حسن صحيح (٧) قال السيد بحر العلوم: من أعيان الطائفة وأعظم الفسقة، وأنفاضل قدماء الامامية، وأكثرهم علماً وفقهاً وأدباً، وأكثرهم تصنيفاً وأحسنهم تحريراً وأدقهم نظراً. متكلم فقيه محدث أديب واسع العلم... «كتاب الرجال ٣: ٢٠٥» توفي سنة ٢٨١هـ «الكنى والألقاب للقمي ٢: ٢٧»

(٨) بسفل العلامة فسر المختلف ٢: ١٢٢، والبحراني في الحقائق الناضرة ٢: ٩٩ (٩) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ١٢٢، والكافي للكليني ٥: ٢٢٣، والتهذيب للشيخ ٧: ٢٣٤، والحميري في قرب الاسناد ص ٦٩ وراجع وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي «ط. اسلامية» ١٢: ٤٠٥

(١٠) المختلف في الأحكام ٢: ٤٠٠/١٢٢ (١١) الحقائق الناضرة ٢: ٩٩

(١٢) نهاية الاحكام ١: ٥٢٢ وراجع مرآة العقول في شرح الكافي الشريف للعلامة المجلسي ١٩: ٢٧٧، ٢٧٧

هذا وقد أجازاه من فقهائنا «الإمامية» أبو علي محمد بن أحمد بن الجنيد الاسكافي<sup>٧</sup>، قال: «العربون من جملة الثمن. ولو شرط المشتري للبائع أنه إن جاء بالثمن وإلا فالعربون له، كان عوضاً عما منعه من البيع، وهو التصرف في سلعته...»<sup>٨</sup>.

وقد روى المشايخ الثلاثة «أبو جعفر الصدوق ٣٨١هـ، وثقة الاسلام الكليني ٣٢٩هـ، وأبو جعفر الطوسي ٤٦٠هـ» بأسانيدهم الى الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: لا يجوز العربون - أو بيع العربون - إلا أن يكون نقداً من الثمن»<sup>٩</sup>.

وفي ذلك تجويز للعربون اذا كان يُحسب من الثمن عند إمضاء البيع.. لا اذا كان زائداً على الثمن، حسبما يأتي الكلام فيه، وعليه فبيع العربون في ذاته لا مانع منه شرعاً، الأمر الذي يُستفاد من الحديث الشريف.

وخالفه العلامة الحسن بن يوسف، ابن المطهر الحلي «توفي سنة ٧٢٦هـ» قال: والمعتمد انه يكون من جملة الثمن، فإن امتنع المشتري من دفع الثمن، وفسخ البائع العقد، وجب عليه ردّ العربون.

استدل بأصالة بقاء الملك على المشتري فلا ينتقل إلا بوجه شرعي.. وهكذا فسر الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ورّد على ابن الجنيد استدلاله بعموم «المسلمون عند شروطهم»، بأن المراد الشروط السائغة<sup>١٠</sup>.

وأجاب عنه الفقيه البحراني «توفي سنة ١١٨٦هـ» بأن لا وجه لكون مثل هذا الشرط غير سائغ<sup>١١</sup>.

وهكذا ذهب العلامة في سائر كتبه الى المنع. قال في التحرير ج ١ ص ١٨٠: بيع العربون باطل... وكذا في تذكرة الفقهاء ج ١ ص ٥٨٦. وقال في نهاية الاحكام ج ٢ ص ٥٢٣: والوجه فيه المنع عنه، ولأنه شرط للبائع شيئاً بغير عوض، كما لو شرطه لأجنبي.

ولأنه بمنزلة الخيار المجهول، لأنه شرط ردّ المبيع من غير ذكر مدة، فلم يصح، كما لو قال: ولي الخيار متى شئتُ رددتُ السلعة ومعها درهم<sup>١٢</sup>.

وبه قال الشهيد السعيد أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي «توفي ٧٨٦ هـ»:  
«ولو شرط البائع تملك العربون لو لم يرض المشتري بالبيع، بطل العقد ووجب  
ردّه» ١٣.

(١٣) الدروس الشرعية: ٣٤٤

ومن سائر الفقهاء، ذهب الامام أحمد الى الجواز، استناداً الى ما روى فيه عن  
نافع بن عبد الحارث أنه اشترى لعمر بن الخطاب دار السجن من صفوان بن أمية،  
فإن رضي عمر وإلا فله كذا وكذا. قال الاثرم: قلت لأحمد: تذهب اليه؟ قال: أي شيء  
أقول، هذا عمر... وتضعيفاً لما روي من أن النبي ﷺ نهى عن بيع العربون...

قال ابن الأثير: وهو بيع باطل عند الفقهاء، لما فيه من الشرط والغرر، وأجازه  
أحمد، وروي عن ابن عمر إجازته، وحديث النهي منقطع ١٤.

(١٤) النهاية ٣: ٢٠٢ (مادة  
عرب).

وقال ابن قدامي: والعربون في البيع، هو أن يشتري السلعة فيدفع الى البائع  
درهماً أو غيره، على أنه إن أخذ السلعة احتسب به من الثمن، وإن لم يأخذها فذلك  
للبيع... قال أحمد: لا بأس به، وفعله عمر، وعن ابن عمر أنه أجازه. وقال ابن  
سيرين: لا بأس به. وقال سعيد بن المسيب وابن سيرين: لا بأس، إذا كره السلعة  
أن يردّها ويردّ معها شيئاً. وقال أحمد: هذا في معناه.

واختار أبو الخطاب أنه لا يصح، وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي  
(الحنفية). ويروى ذلك عن ابن عباس والحسن.

قال: وإنما صار أحمد الى الجواز لحديث نافع، وضعف حديث النهي.  
ثم ذكر دلائل القائلين بالمنع: أولاً للنهي عنه، وثانياً لأنه للبائع شيء بغير  
عوض فلم يصح، كما لو شرطه لأجنبي. وثالثاً لأنه بمنزلة الخيار المجهول، فإنه  
اشترط أن له ردّ المبيع من غير ذكر مدة فلم يصح، كما لو قال: ولي الخيار متى  
شئتُ رددتُ السلعة ومعها درهم... قال: وهذا هو القياس ١٥.

(١٥) المغني لابن قدامة ٤:  
٢٨٩. وراجع الشرح الكبير  
للمقدسي ٤: ٥٨-٥٩.

### مناقشة دلائل المنع

وتتلخص دلائل المنع في الأمور الأربعة التالية:

١ - حديث نهى النبي ﷺ عن بيع العربان، في رواية ابن الأثير. وعن بيع  
العربون، في رواية غيره.

وقد عرفت أنه حديث منقطع أو ضعيف الاسناد، على اختلاف التعابير.

٢- وبأنه شرط للبائع شيئاً بغير عوض، كما لو شرطه لأجنبي.

لكنه شرط على تقدير، وقد تفاوضا عليه في عقد البيع، فوجب الوفاء به وفاء بالعقد. فإن الوفاء بالوعد الواقع في عقد لازم شرعي واجب، ويكون لازماً بلزومه لقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُوبِ﴾. ولقوله ﷺ: «المسلمون عند شروطهم».

٣- وبأنه بمنزلة الخيار المجهول، كما لو قال: لي الخيار متى شئتُ رددت.. وهذا غرر.. لكننا نتبها سابقاً أن فترة التأخير قد تكون محدودة في المتعارف ولو نوعاً ما، فحينذاك لا يكون غرراً أي جهالة في مدة الخيار عرفاً.. وإلا فالواجب تحديد المدة التي يشترط فيها الخيار للمشتري... فلو لم تحدّد وقع البيع باطلاً في أصله لمكان الغرر.

٤- وبما ورد صحيحاً في باب الإقالة: «أنها لا تصلح بوضيعة»<sup>١٦</sup> وبما أن الإقالة في حقيقتها فسخٌ برضا، فإذا لم تصلح بوضيعة من الثمن، لم يصح شرطها في خيار الفسخ أيضاً.

لكن الإقالة كما صرح بها الفقهاء عقد برأسها، وإن كانت تفيد فائدة الفسخ. ومن ثم تتوقف على إيجاب وقبول أو استدعاء وقبول، كما في سائر العقود. نعم كانت حقيقتها فكاً ما وقع عليه العقد سابقاً، أي عقد كان بيعاً أو إجارة أورهناً أو غير ذلك.

ففي مورد البيع - إن وقعت الإقالة على تمامه - يجب أن يُسترد الثمن كاملاً إلى المشتري، والمبيع تماماً إلى البائع... فشرط الوضيعة من الثمن فقط مخالف لحقيقة عقد الإقالة وماهيتها الشرعية.

قال صاحب الجواهر: تفسد الإقالة بشرط الوضيعة، نظراً لمخالفة هذا الشرط لمقتضى الإقالة التي هي بمعنى فك العقد وردّ كل عوض إلى مالكه<sup>١٧</sup>.

إذاً فلا ينبغي إجراء أحكام الإقالة التي هي باب برأسها على مسألة خيار الفسخ، الذي هو باب آخر، لأنه قياس مع الفارق.

ومجرد توافقهما في الأثر لا يوجب هذا القياس، كما في سائر أبواب الفقه ولا سيمّا المعاملات.

(١٦) في صحيح الحلبي، قال سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن رجل اشترى ثوباً ولم يشترط على صاحبه شيئاً، فكرهه ثم رد على صاحبه، فأبى أن يقبله أو يُقبله إلا بوضيعة قال: يصلح له أن يأخذ بوضيعة فإن جهل فأخذه فباعه بأكثر من ثمنه رد على صاحب الأول ما زاد... «الوسائل» الإسلامية ١٢: ٢٩٢ باب ٧ أحكام العقود رقم ١٦.

(١٧) راجع: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، كتاب الإقالة ٢٤: ٢٥٣ (ط بيروت).

وعليه، فتملك البائع مبلغاً لدى فسخ المشتري لعقد البيع، كان بموجب الشرط الواقع في عقد لازم، وفاء بالشرط اللازم، لعموم: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُوبِ﴾ و: «المسلمون عند شروطهم».

الأمر الذي لم يخالف مقتضى هذا العقد في شيء.

### حاجة الناس إلى العربون

أصبحت مسألة العربون اليوم ضرورة معاملية، مما لم تكن ضرورة تدعو إليه فيما سلف، وذلك لتوقف أكثرية المعاملات الخطيرة «في عصرنا» على أن تجوز عقبات كأداء، وتقضي مشاكل إدارية معقدة عديدة، مما لم تكن تعرقل سبل المعاملات قبل اليوم.

كان الناس فيما مضى يتعاملون المعاملات الكبيرة والصغيرة، وفق قوانين وأنظمة معاملية اجتماعية خاصة، وكانوا يتبادلون السلع ببسر وفي جو التفاهم المتبادل بسهولة، وكانت إذا أشكلت عليهم معاملة، لملايسات خاصة، كانت مراجع الحل ميسرة لديهم في أقرب وقت. ومن ثم لم تعد آنذاك حاجة إلى الاستيثاق للالتزام بالتعهدات المعاملية الجارية.

يقول تعالى بشأن المعاملات ذوات الأجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِذَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاهْتَبِوهُ وَلْيَكْتَبْ بَيْنَكُمُ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئاً إِلَى قَوْلِهِ: وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ.. إلى قوله: وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَنْتُمْ أَلْتَرْتَابُوا﴾.

انظر إلى هذا التأكيد البالغ في الاستيثاق من أمر معاملة ذات أجل محدود. ولكن إذا كانت المعاملة نقدية حاضرة، فلا حاجة إلى استيثاق، يقول تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُهَا وَيُدِيرُهَا بَيْنَكُمُ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ لَا تَكْتُبُوهَا...﴾ ومع ذلك يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾<sup>١٨</sup>.

أما اليوم، فحتى المعاملات الحاضرة هي ذوات تعقيد وخطر وخطورة، وبحاجة إلى استيثاق تام، تأكيداً للوفاء بالعقد من الطرفين.

## أحكامه

بيع العربون، كسائر أنواع البيوع، يقع بمجرد إنشائه، ولا يصح تعليقه على أمر ما غير حاصل حين العقد، وإلا وقع باطلاً، لأن التعليق في العقود والايقاعات غير ما استثنى<sup>١٩</sup> (غير جائز) وعليه فالمعاملة تقع نافذة من حين إنشائها، وبذلك يحصل الانتقال المعاملي فور انشاء العقد، فيستحق المشتري العين التي اشتراها. والبائع الثمن من حين العقد، وإن كان التسليم والتسلم قد يتأخران إلى حين انتهاء الرسوم الإدارية وما شاكل.

وعلى ذلك تتفرع أحكام:

ومنها: أن نماء العين الحاصل بعد العقد يكون للمشتري، وإن كانت العين بعد في قبضة البائع، وكذا نماء الثمن إن كان له نماء ينتقل إلى البائع وذلك، لأن النماء تابع للملك.

ومنها: أن ضمان درك المبيع على البائع، وضمان درك الثمن على المشتري، لأن ضمان ما لم يقبض يكون على الذي بيده ما لم يسلمه إلى الذي انتقل إليه. نعم إذا سلمه العين ثم استودعها منه لا يضمن دركها، لأن يده الآن انقلبت أمانة بعدما كانت ضمانية.

ومنها: أن كلاً منهما يجوز له التصرف المالك في ما انتقل إليه شرعاً وإن لم يقبضه، لأنه مالك حقيقي، وللمالك أن يتصرف في ملكه ما شاء، من البيع والاجارة والرهن، وغير ذلك، نعم لا يجوز له الاقباض ما لم يقبض.

ومنها: وجوب الوفاء بالشرط، فإذا فسخ المشروط عليه، وجب عليه دفع ما شرط عليه من المبلغ، وفاء بالشرط، لأن «المسلمين عند شروطهم».

وأما الأحكام المؤشر إليها في لائحة البحث، فإليك أجوبتها اجمالاً:

س: هل يجوز العربون في بيع النقد بجنسه وفي الصرف؟

ج: هذه المسألة تنحل إلى مسألتين:

١- هل يجوز العربون في بيع النقد بجنسه؟

٢- هل يجوز العربون في بيع الصرف؟

أما المسألة الأولى فوجه الإشكال فيها: أن في بيع النقد «أي كانت تجارة

(١٩) استثنى من ذلك الرصبة التملكية وكسائر التملكية، حيث إنشاء التملكية في الأول، وكذا الإعطاء في الثاني، معلق على الموت.

حاضرة في مقابلة بيع النسبته وبيع السلف» اذا كان التبادل بالجنس وكان موزوناً «الحنطة بالحنطة مثلاً» يجب ان لا يكون تفاضل في أحد العوضين، سواء أكان تفاضلاً حكماً كتأجيل الثمن أو بعضه فإنه حينذاك يوجب الربا في المعاملة، الممنوع منه شرعاً.

وعليه فأخذ العربون فيه يستدعي التأجيل ببقية الثمن حتى تستكمل رسميات البيع، وربما يطول الى أمد غير معلوم... وبما أن للزمان قسطاً من الثمن: فإنه بذلك يحصل التفاضل في العوضين. ومن ثم لا يجوز.

اللهم إلا أن تكون فترة التأجيل قصيرة يتسامح فيها عرفياً، فحينذاك لا بأس به. وكذا المسألة الثانية «في بيع الصرف» فالإشكال فيها أوضح، لأنه يشترط في بيع الصرف «أي المعاملة على النقود الدارجة بعضها ببعض» التفاضل في المجلس في تمام الثمن والمثمن، فلو تأخر التفاضل عن مجلس العقد، بطل البيع، ولو تأجل بعض الثمن بطل بحسابه، وقد اختلف الفقهاء في موضوع بيع الصرف، هل هو الذهب والفضة المسكوكتان بسكة المعاملة الدارجة، أم مطلق الذهب والفضة ولو غير مسكوكتين<sup>٢٠</sup>. وكذا في جريانه في النقود من غير الذهب والفضة كالفلوس<sup>٢١</sup>. وهكذا في الأوراق النقدية في مثل الدنانير والجنيها والريال السعودي والإيراني وما أشبه ذلك، وتعتبر رسمياً بدلاً عن كميات مقدرة من الذهب المودع في البنوك المركزية الرسمية مثلاً<sup>٢٢</sup>.

وعلى أي تقدير، فمضى صدق موضوع الصرف، على مختلف الأنظار، فإن من شرطه التفاضل في المجلس، فيمتنع فيه العربون لذلك، أما إذا لم يكن من بيع الصرف، ولو عند من لا يقول به، فإنه حينذاك خارج عن حكم الصرف وتجري عليه أحكام سائر البيوع.

س: هل يجوز أن يكون العربون مبلغاً مستقلاً عن سعر السلعة؟

ج: الذي تعارف عليه العرف العام في العربون أن يكون مقدراً من الثمن «سعر السلعة» معجلاً فيه، وأما أن يكون مبلغاً زائداً على الثمن «أي على سعر السلعة الذي توافقا عليه» فهذا أمر غير معروف، لكن لا مانع إذا توافق عليه المتعاملان زائداً على سعر السلعة، فيلزم وفق الشرط.

(٢٠) كما صرح بذلك السيد الاصمغاني في الوسيلة ٢: ٣٠، والإمام الخميني في تحرير الوسيلة ١: ٥٣٩، والسيد الخوئي في منهاج الصالحين ٢: ٦٤.

(٢١) اتفقت المذاهب الأربعة (الشافعية والحنابلة والحنفية والمالكية) على أن أحكام الصرف لا تجري في النقود المأخوذة من غير الذهب والفضة. (كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ٢: ٢٧٣).

(٢٢) قال السيد الخوئي: لا يجري حكم الصرف على الأوراق النقدية كالدينار والنوط والتومان والدولار والباون ونحوها من الأوراق المستعملة في هذه الأزمنة استعمال النقدين، فيصح بيع بعضها ببعض وإن لم يتحقق التفاضل قبل الافتراق، كما أن لا زكاة فيها. (منهاج الصالحين ٢: ٦٤م ٤).

هذا، والمروي عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول: «لا يجوز بيع العربون إلا أن يكون نقداً من الثمن»<sup>٢٣</sup>.

س: هل يجوز العربون في الخدمات كما في السلع؟

ج: إذا كان المستأجر يدفع بعض الأجرة مقدماً، فهذا جائز لا مانع منه، فهو كـ إذا دفع المشتري قسماً من الثمن عاجلاً وأخر الباقي آجلاً، وذلك لأن عمل العامل محترم كماله، وبمجرد عقد الإجارة يملك الاجير على المستأجر بدل عمله، أي الأجرة التي توافق عليها لكنه لا يستحقها إلا بعد تمام العمل، ويجوز اشتراط تقديم بعض الأجرة كعربون، كما يجوز تبرع المستأجر بتقديمه توثيقاً للعقد.

وقد تقدم كلام مالك، أو يتكاري الدابة، ثم يقول للذي تكارى منه: أعطيك كذا على أني إن ركبت الدابة فالذي أعطيتك من كرائها، وإن تركت ركوبها فما أعطيتك لك<sup>٢٤</sup>.

س: هل يجوز العربون عند شراء الاوراق المالية كالأسهم؟

ج: إذا كان هناك شراء وبيع حقيقة، كما هو كذلك، فهو حينذاك يكون من تبديل مال بمال، وهو حقيقة البيع وماهيته لا غير، ولا يكون ذلك إلا باعتبار العرف لتكلم الاوراق مالية حقيقة يصح بذل المال بأزائها، فعند ذلك لا مانع من فرض العربون فيها كسائر أنواع البيوع الواقعة على أنواع السلع ذوات المالية العرفية.

س: هل يجوز العربون في بيع المراهقة؟

ج: عقد البيع، باعتبار بيان رأس المال وعدمه، يتنوع الى أربعة أقسام<sup>٢٥</sup>:

١- بيع المساومة، بأن لا يذكر رأس المال بتاتاً، ويقع البيع على ثمن معين بلا إشارة الى مقدار الربح الذي يربحه البائع أو لا يربح وغير ذلك.

وهذا أفضل أنواع البيع وأسلمه من احتمالات الشبهة «شبهة الربا والكذب والخيانة والغش مثلاً»<sup>٢٦</sup>.

٢- بيع المراهقة، بأن يذكر رأس المال، ويزيد عليه ربح كذا.

وهذا على نوعين: تارة يعين الربح مبلغاً خاصاً من غير ملاحظة النسبة بينه وبين رأس المال، بأن يبيعه السلعة بمئة (هو رأس المال) وربح عشرة دراهم مثلاً، وتارة أخرى يعين الربح ببيان النسبة فقط، بأن يبيعه المال وربح عشرة بالمئة فإذا

(٢٣) رواها ثقة الاسلام

الكليفي في الكافي ٥: ٢٢٢

برقم ١، والشيخ في التهذيب

٧: ٢٢٤، والصديق في من لا

يضره الفقه ٣: ١٢٢

والحميري في قرب الاسناد

٦٩، ووسائل الشريعة ١٢:

٤٠٥.

(٢٤) تنوير الحوالك بشرح

الموطأ ٢: ١١٨.

(٢٥) راجع: الفتاوى الهندية

٣: ١٦٠، وكتاب تحرير

الوسيلة للامام الخميني ١:

٥٤٦، وكتاب منهاج

الصالحين للامام الخوئي ٢:

٥٨.

(٢٦) راجع: الفتاوى الهندية

٣: ١٦٢، والروضة البهية في

شرح اللمعة الدمشقية ١: ٣٦٤

(ط، حجرية عبدالرحيم)،

وجواهر الكلام في شرح

شرائع الاسلام ٢٢: ٣١٢.

كان قد تمّ له خمسين يكون قد باعه بخمسة وخمسين، أو تمّ له مئة وخمسين، يكون البيع بمئة وخمسة وستين مثلاً...

وهذا وإن كان في النتيجة يتحد مع القسم الأول، لكنه بما أنه يشبه الربا في التعبير، كان مكروهاً شرعاً<sup>٢٧</sup>.

٣- بيع المواضعة، بأن يبيعه بوضيعة أي نقيصة من رأس المال، ليكون البيع بأقل ممّا تمّ له، ثم إن كانت الوضيعة فاحشة، سمي بيع المحاباة، كأنه حاباه أي وهبه مجاناً.

٤- بيع التولية، هو البيع برأس المال من غير زيادة أو نقصان، كأنه يوليه البيع أي يجعله مقام نفسه ويوليه شأنه بدلاً منه.

وبعد، فإذا كان العربون مما يجوز جريه في البيع، فإنه لا يختلف في أقسامه وأنواعه، بل يجوز في كل أنواعه، ما لم يمنعه مانع شرعي، ولا مانع منه في بيع المرابحة ولا في غيرها، سوى ما ذكرناه.

س: هل يلزم في بيع العربون أن تكون السلعة حاضرة للمعاينة أم يجوز عند المواعدة على الشراء؟

ج: من شرائط صحة البيع أن تكون السلعة معلومة جنساً وقدرًا ووصفًا، كما أن العوض أيضاً كذلك يجب أن يكون معلوماً.

وهذه المعلوماتية تارة تكون بالوصف، وأخرى بالمعاينة والاختبار.

فإذا حصل العلم بالعوضين كذلك، صح عقد البيع عليهما وكان لازماً نافذاً، أما المواعدة على الشراء فليست بيعاً ولا عقداً عليه، وإنما هي وعد مجرد لا أثر له في الحكم الوضعي الشرعي.

إذا فبيع العربون لا تشترط فيه معاينة السلعة بل يكفي الوصف.

نعم ليس من العربون «المتعارف» ما يدفع عند المواعدة، لأنها ليست عقداً ولا بيعاً... ويكون دفع المبلغ المذكور عندها تبرعاً محضاً، وليس مقتطعاً من الثمن الذي لم يتحقق عقد عليه.

ومن ثم فهو جائز وليس بلازم حتى يقع العقد عليه.

(٢٧) راجع: جواهر الكلام في

شرح شرائع الاسلام ٢٢

٣١٣



# تفسير القرآن

## وتأويله

سؤال وجواب

• الشهيد السيد

محمد حسين البهبهاني

بعد البحث القرآني القيم الذي تناوله الشهيد السيد البهبهاني حول كيفية فهم القرآن، وتفسير القرآن وتأويله والذي نشر في العدد السابق «التاسع» من مجلتنا «رسالة اللّٰقين» ننشر الأسئلة التي طرحت عليه وأجوبته عنها أدناه: «التحرير»

س: طرح المفسرون السابقون الكثير من المسائل الفلسفية والعرفانية، ولكنهم لم يهتموا بالدور الأساس للقرآن في المجتمع، بنفس المقدار من الاهتمام بالمسائل الفلسفية والعرفانية، ولعلّ هذا أحد دوافع الإفراط في هذا الموضوع، فكان أثر ذلك إفراط على الجانب الآخر، أدّى إلى جزّ المسائل كافة إلى جانب المسائل الاجتماعية والثورية، أليست الاستنتاجات الفلسفية أو العرفانية التي يتوصل إليها الفيلسوف أو العارف من خلال القرآن تفسيراً بالرأي؟

ج: قد يتمكّن الفيلسوف أو العارف من خلال تكامله في مجال الفكر والأخلاق والعمل من إدراك إشارة قرآنية لا يدركها من هو دونه، فلا يُعَدّ فهمه خاطئاً ولا يوصم بأنه تفسير بالرأي، وإذا انسجم فهمه مع عبارة الآية، أي إذا كان ارتباط ألفاظ الآية وكلماتها وعباراتها بالمعنى والمفهوم الجديد واضحاً لنا، فمن الممكن

قبوله على أنه معنى قرآني، وفي غير هذه الصورة لا نعهده كذلك، وأقصى ما يوسع المفسر أن يقوله: إن هذا هو فهمي للآية، دون أن يحتمل القرآن هذا الفهم.

وعلى هذا الأساس فمن الخطأ الحكم على هذه الاستنتاجات بالخطأ تماماً أو القبول بها تماماً، فلا يمكن أن نقبل على الفور كل ما يقوله صاحب تفسير معين، لأنه فيلسوف قدير، أو عارف عظيم، أو أخلاقي كبير، إذ تجب مراعاة كل ما مر من ضوابط في تمحيص كلام أي كان، ليمكننا تعيين قيمته واعتباره.

وإذا أراد هذا العارف أو الفيلسوف أو الأخلاقي أن يحتمل القرآن موضوعاً لا علاقة له ولا ارتباط مع ألفاظ القرآن، فعلينا أن نحذره بأنه في عرضة لخطر التفسير بالرأي.

وقد انتقدت - بشكل مفصل - في كتابي «الله في القرآن» نموذجاً لذلك في تفسير آية: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَهِيدٌ﴾<sup>١</sup> إذ استفاد منها كل من ابن سينا وصدر المتألهين (الملا صدرا) والمحقق الطوسي في موضوع فلسفي وعرفاني، فأوضحت أنه لا ارتباط أصلاً بين هذه الآية والموضوع الذي يتحدثون عنه ومعهم بعض المفسرين والمتخصصين الذين سبقوهم، بالشكل الذي يمكننا تحميله على القرآن.

فهؤلاء بينوا معنى الآية بشكل يعود فيه الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ إلى الله تعالى. في حين أن هذا الضمير - حسب الظواهر القرآنية - يعود إلى نفس القرآن، وعلى هذا الأساس لا يكون هناك ارتباط بين الآية وكل المواضيع التي كتبها - في عدة صفحات - صدر المتألهين، وكذلك ابن سينا والمحقق الطوسي في شرحه للإشارات.

إن إعظامي لابن سينا والمحقق الطوسي وصدر المتألهين لم يمنعني من انتقادهم، وقد كان نقدي لطريقتهم في تفسير القرآن وليس لأرائهم الفلسفية، فليكن الموضوع في الفلسفة أيّاً كان، لكن هذا الموضوع الفلسفي لا يستفاد من هذه الآية. س: ما هي السبل المتوفرة لمعالجة عدم الاهتمام بالنظرة الاجتماعية للقرآن؟ ج: إن الإسلام دين لا يصنع الإنسان في جانب واحد فقط، إنما يصنع الإنسان

ذا القدرة على التكامل في مختلف الأبعاد. وبناء انسان بعدة أبعاد، وليس ببعيد واحد، بحاجة ملحة الى عدم الغفلة عن أهمية المسائل الاجتماعية للقرآن في أي فترة كانت. ونحن الآن في عصر نحتاج فيه كثيراً الى معرفة رأي القرآن في المسائل والمتطلبات الاجتماعية. ولا تساعدنا كثيراً جهود السابقين لانعدامها على هذا الصعيد، فيجب أن نبذل جهوداً حثيثة في هذا المجال.

وكما تحدثت آنفاً، فعلى الانسان لكي يدرك إشارات القرآن في هذه المجالات أن يمتلك معرفة بموضوعها، وهو الانسان هنا، فيجب معرفة الأبعاد الاجتماعية للانسان والتي ذكرها القرآن نفسه، ليتمكن إدراك آيات بناء الانسان والمجتمع بصورة أفضل، ومثلما كان للعارفين في الفكر الفلسفي والعرفاني والاخلاقي والمتصل بالسير والسلوك درجة عالية من التكامل مكنتهم من إدراك الاشارات القرآنية في تلك المجالات على وجه حسن، كذلك يجب على دارسي القرآن اليوم أن يوسعوا مطالعاتهم في المجالات الاجتماعية، ليتمكنهم - انطلاقاً من هذه الخلفية الذهنية - أن يدركوا الاشارات القرآنية القيمة في هذه المجالات، ومن ثم يقدمونها للآخرين، على أن يلتزموا بكل المقدمات التي ذكرت سابقاً، وأن لا يحملوا القرآن استنتاجاتهم، وأن يعترفوا بأنها ليست الاستنتاجات الوحيدة التي يمكن التوصل اليها من هذه الآيات، إنما بالإمكان التوصل الى غيرها.

س: تستخدم طريقة الدراسة المقارنة في فهم القرآن وتفسيره، مثلاً كان بحثكم حول «الوجودية» فيما يرتبط بالاسلام بحثاً رائعاً جداً، ونظراً لظهور مذاهب إنسانية واجتماعية جديدة في العالم، وأتينا بحاجة إلى فهم مسائل الاسلام الايديولوجية فيما يتعلق بهذه المذاهب والمسائل التي تطرحها، فما هي الحدود التي يجوز فيها مقارنة استنتاجاتهم في مختلف المجالات مع استنتاجاتنا من الآيات القرآنية؟

ج: لا شك - إجمالاً - أن اتباع كل مذهب يطرحون على أنفسهم أسئلة لدى مواجهتهم آراء وعقائد الآخرين، ويبحثون عن أجوبتها من مذهبهم.

إن ما قمنا به بشأن «الوجودية» والمذاهب الاخرى في ارتباطها بالقرآن أراه منطقياً ومعقولاً، إذ نذهب أولاً الى نفس هذه المذاهب لنفهمها جيداً، ومن من ثم

نتعرف على المسائل الجديدة التي أجابت عنها تلك المذاهب، ثم نرجع الى القرآن لنرى جوابه عنها، دون أن ننتظر من القرآن نفس الجواب الذي أعطاه مذهب آخر، كأن نعود الى «الوجودية» فنقبل أفكار هذا المذهب وآراءه ومواقفه حول المسائل الجديدة، ومن ثم نرجع الى القرآن لنتخذ منه ظهيراً للفكر الذي قبلناه، فهذه طريقة خطيرة جداً وبداية للانحراف في فهم القرآن.

أما الطريقة الصحيحة فهي الرجوع الى «الوجودية» لنرى نظريات وآراء هذا المذهب حول المسائل المعروضة، ثم نرجع الى القرآن لنرى رأيه في هذه المسائل، سواء كان مماثلاً لرأي «الوجودية» أم معارضاً له، فنحن واقعاً نريد رأي القرآن حقاً دون الالتزام بفكر معين، ودون أن نكون بصدد اتخاذ سند قرآني لفكر مقبول سلفاً.

إن الكثيرين لم يراعوا هذا الأصل فيما يتعلق بالاسلام والمذاهب، فنرى افراداً من أصحاب الدراسات في المذهب الماركسي يقولون إن هذا المذهب يبرهن باستدلالاته الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية على أن الملكية الخاصة تمثل أحد العوامل المهمة في ضياع الانسان ومسح انسانيته، وإذا أردنا القضاء على الأعراض الناجمة عن ذلك فليس أمامنا غير سبيل واحد هو حذف الملكية الخاصة بكل أشكالها، فالملكية الخاصة تستدعي نوعاً من تنزل الانسان عن مقام الانسانية الشامخ، وهذه رؤية عرفانية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية في آن واحد، وهذه الفكرة وجدت في الماركسية، وهناك من استحسناها، فعاد الى القرآن ليتخذ من الآيات القرآنية ما يدعم هذا الرأي، فقال إن الاسلام لم يعترف بالملكية الخاصة أيضاً، مستنداً الى آيات مثل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه إذا كانت السماوات والارض ملكاً لله فلا أحد إذا يملكها!

إنه الفهم التأويلي المنحرف. فعندما يعتقد الشخص بحذف الملكية الخاصة، ويعود الى القرآن باحثاً عما يدعم اعتقاده، فلا مفر من انحرافه تلقائياً، لكنه إذا قال إن الماركسية تنفي الملكية الخاصة بصورة كاملة ولا تعترف بها، فهل إن القرآن ينفيها أيضاً، أم لا؟ وإذا جاء الى القرآن بروح الالتزام والقبول بكل ما يراه القرآن، سواء عارض الملكية الخاصة أو أيدها، عندها يمكن القول أنه حقاً يطلب معرفة

القرآن، لكننا للأسف نرى أن الرجوع الى القرآن يتم في الاغلب بالروح الاخرى، بمعنى انه يبحث عن سند لأفكاره.

مما لا شك فيه أنه يمكننا القيام بمطالعات في المذاهب الفلسفية والعرفانية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والشربوية، ومن ثم نرى الى أي الامور تطرقت وما هو رأيها، وسنلتقي - بالطبع - خلال هذه المطالعات بقضايا ومواقف جديدة، ومن الطبيعي أن نتساءل عن رأي ديننا في تلك القضايا، فنعود الى القرآن دون أن نتوقع منه تأييد هذه الأمور أو معارضتها، ودون أن نقرر سلفاً أن نستخرج من القرآن ما يدعم الرأي الذي استحسناه، فاذا رجعنا الى القرآن بهذه الروح فإنه أمر ممتاز، وطالما نصل في هذه المقارنة الى نتيجة تشير الى أن إحدى آيات القرآن تطرقت الى الموضوع قبل ١٤ قرناً من تطرّق مذهب معين إليه.

س: أي نوع من القيادة يمتلكها القائد غير المعصوم؟ ولو فرضنا قائداً اجتماعياً له القدرة على فهم القرآن، فهل يُقبل منه كل ما يستنبطه؟ وما هي درجة هذا القائد؟ هل هي درجة نائب الإمام، أم يمكن أن تكون درجة أي قائد ديني كان؟  
ج: لا علاقة مباشرة لهذا السؤال بموضوع بحثنا، إنما يعود الى مسألة الإمامة والقيادة في الاسلام - بالمنظور الشيعي - في عصر الحضور، ومن بعده عصر الغيبة. قد تطرقت الى هذا الموضوع بشكل مفصل في بحوثي التفسيرية التي ألفتها تحت عنوان «مدرسة القرآن»، وهنا أوضح ذلك بصورة ملخصة: ففي كل شكل من أشكال القيادة الاجتماعية، إذا لزم الشخص أن يكون مستقلاً في القيادة، فلا يعمل تحت إشراف قائد أعلى منه، فلا بدّ من توافر شروط أساسية فيه، فيجب أن يكون مجتهداً وعادلاً، ومن أهل الرأي، وأن يُظهر نُضجاً ومهارة ولياقة في تدبير الامور.

ومن هنا ففي عصر الغيبة تكون مقدرة امثال هؤلاء الافراد على الاستنباط من الآيات القرآنية المرتبطة بمنصبهم ودورهم القيادي اقوى من الافراد الخارجين عن هذه الدائرة، وكذلك يكون إدراكهم للإشارات القرآنية في هذا المجال أفضل من الآخرين. أما العاملون تحت إشراف القائد، فليس من الضروري أن يكونوا مجتهدين، لأنهم يأخذون الرأي منه حين الحاجة.

س: هناك تماثل بين العالم والقرآن من زاوية كونهما مخلوقين لله تعالى، بمعنى أنه إذا كانت المعرفة بالعالم تزداد بتقدم البشرية - فإن الأصول والقوانين الكلية التي تحكم العالم ثابتة ولا تتغير، إنما المعرفة البشرية بالعالم هي التي تزداد دقة وعمقاً - فهل أن القرآن تلك المعجزة الخالدة الذي جاء لكل العصور والأجيال يماثل العالم من هذه الناحية؟

ج: معلوم أن في القرآن إشارات يرتبط فهمها مباشرة بتكامل الفكر البشري، إلا أن هذا لا يعني أن معرفة القرآن تواكب معرفة الطبيعة في كل الحالات.

س: ألا يرشدنا وجود بعض المسائل التي لم ترد بشأنها أي إشارة في القرآن - كعدد ركعات الصلاة، وكون صلاة الصبح ركعتين وصلاة المغرب ثلاثاً وهكذا - ومسائل أخرى من الأحكام الإسلامية - إلى عدم تحديد أنفسنا في استنتاج كل شيء من القرآن، بل علينا الرجوع أيضاً إلى سنة النبي وأحاديثه وأخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام؟

ج: لا يرتبط سؤالك أيضاً بموضوع بحثنا، ولكن لكونه من القضايا الراهنة فاستثمر الفرصة لأجيب عنه باختصار شديد:

في الحقيقة إن هذا السؤال موجه لأولئك الذين يرفعون شعار: «حسبنا كتاب الله»، ويريدون التعرف عملياً على الإسلام من خلال القرآن فقط. ففيما يتعلق بالكتاب والسنة يجب الالتفات إلى نقطتين، الأولى: أن الكتاب على قسمين:

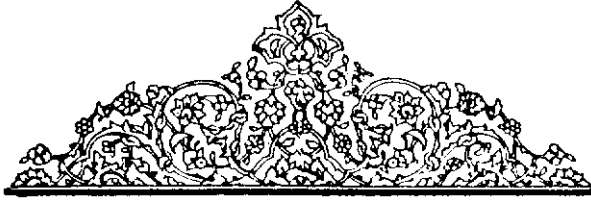
١ - القسم الذي يمكن فهمه بدون السنة.

٢ - القسم الذي لا يمكن فهمه بدون السنة، ففهمه بوضوح مرتبط بالسنة، إذاً هذا أحد علل وعوامل المسألة القائلة بأن الكتاب سند للإسلام، كما أن السنة سند له.

والثانية: إننا لا نستطيع استخراج الكثير من تفاصيل الأحكام من الكتاب، وبعبارة أخرى لا ينحصر التشريع وسن القوانين وبيان الشريعة والمعارف الالهية بالقرآن فقط.

وهنا تبرز مسألة وهي: هل أن ما أوحى للنبي كان القرآن فقط، أم أن النبي تلقى وحياً آخر إضافة إلى القرآن؟ من خلال التحقيقات الأخيرة التي أجريناها في هذا

المجال، جمعنا أدلة من مختلف مصادر الشيعة وأهل السنة تبرهن بوضوح كبير على أن النبي ﷺ كان يتلقى إضافة إلى الوحي القرآني وحيا آخر قطعاً. إذا صار معلوماً أن كل ما أوحى للنبي ﷺ لم يُجمع في القرآن، وذلك لأن ما جاء في القرآن كان ذلك القسم من الوحي الذي كان معجزاً، أي أن القرآن وحي له صفته الخاصة هي بيانه الإعجازي. وثمة وحي آخر ليست عبارته إعجازية. فالقرآن وحي، لكن ليس كل وحي قرآن، فقد أوحى للنبي غير القرآن، وعلينا الاستناد إلى قسمة الوحي في معرفة دين الله.



قال رسول الله (ص) :

مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ  
بِفَيْرٍ عَالِمٍ  
فَلْيَتَبَرَّأ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ



# أسلوب الدعوة

سنة

١٤١٤ هـ

حوار

• سباحة السيد

محمد حسين فضل الله

(البنان)

لقاء أجرته مجلة رسالة النفيلين مع سباحة السيد محمد حسين فضل الله  
بعد انعقاد المؤتمر الأول للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) في ١٥ شعبان  
١٤١٤ هـ في الجمهورية الإسلامية في إيران.

«التحرير»

■ لقد تناولتم موضوع أسلوب الدعوة في القرآن الكريم بالبحث والدراسة، وخرجتم بنتائج أغنت المدرسة الإسلامية في هذا الجانب الحساس، ولما كان أهل البيت (عليهم السلام) هم الثقل الثاني بعد القرآن الكريم، والترجمان الوافي له، فلو تفضلتم ببيان المعالم الرئيسية لأسلوب الدعوة في سيرة أهل البيت (عليهم السلام).

□ عندما نريد أن ننشر الدراسة المعمقة في أسلوب أهل البيت (عليهم السلام) في الدعوة، فإن المسألة لا يمكن أن تتحدد في جواب عن سؤال. ولكننا نستطيع أن نعكس معالم ذلك في أكثر من نص من النصوص التي انطلق بها الأئمة (عليهم السلام) في بعض المفردات التي تنقل عنهم.

فنحن مثلاً نلتقي بالقصة التي تنقل عن الامامين الحسين (عليه السلام) في موقفهما من ذلك الشيخ الذي لم يكن يحسن الوضوء، حيث أنهما لم يبادراه بالحديث عن



وضوئه الفاسد، بل بادرا الى أن يقوموا بالوضوء، ليجعلا الشيخ حكماً بينهما في أيهما أحسن وضوءاً، وكانت النتيجة أن الشيخ انتبه الى المسألة وعرف خطأه<sup>(١)</sup>، واستطاع الامامان أن يعطيانا خطأ في مسألة الدعوة، في أن لا نهدر كرامة الانسان الذي يخطئ أو الذي ينحرف عندما نريد ان نجلبه الى الحق أو الى الصواب، لأن مسألة أن تحترم كرامة انسان وإنسانيته هي مسألة مهمة في انفتاح عقله عليك، لأنك عندما تفتح قلب الانسان الآخر فإن القلب هو أقرب طريق الى العقل، وهذا ما نلاحظه في أكثر من موقع من مواقع أهل البيت عليه السلام.

فنحن مثلاً عندما نلتقي بالرواية المروية عن الامام زين العابدين عليه السلام مع ذلك الشيخ الذي عاش تحت تأثير الإعلام الأموي، فيادر الامام زين العابدين وهو في السبي بقوله: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم...» ولم يقف الامام سلام الله عليه موقفاً سلبياً من الرجل، بالرغم من قسوة الجو النفسي الذي كان يعيشه الامام في تلك الحالة، إننا نرى أن الامام سلام الله عليه سأل: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ واستغرب الشيخ لأن الدعاية الأموية كانت تحاول الايحاء بأن هؤلاء ليسوا مسلمين، وعندما أجاب الشيخ بالإيجاب، قال له: هل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ واستغرب الشيخ ثانياً عندما قال له الامام: من هم أهل هذا البيت؟ وكان الشيخ - كما تقول الرواية - يعرف أن أهل البيت هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وسكت الامام، وبدأ الشيخ يفكر، ما معنى هذا السؤال؟ وتقول الرواية إنه أعاد عليه السؤال ثانياً: هل قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ وسأل: من هم القربى يا شيخ؟ وكان الجواب: أن القربى هم أهل البيت، ثم فاجأه الامام بتعليق الصدمة، نحن أهل البيت، ونحن ذوو القربى، وهذا هو رأس الحسين عليه السلام وهؤلاء سبائاه، وعند ذلك استطاع الامام سلام الله عليه بهذا الاسلوب اللبق الحكيم أن يقلب فكر الشيخ رأساً على عقب، ويحوّله من شخص عدواني الى شخص يعيش الولاء بأعمق ما يكون الولاء<sup>(٢)</sup>.

وقبل ذلك نجد أسلوب الامام الحسن سلام الله عليه، عندما وقف أمامه ذلك الشامسي وبدأ يسبه حين عرف أنه الحسن بن علي، تحت تأثير غسل الدماغ الأموي،

(١) راجع: بحار الانوار ٤٣

(٢) راجع: بحار الانوار ٤٥

فيما كان يوحى به معاوية لأهل الشام بما يتصل بالامام علي عليه السلام، إننا نرى أن الامام سلام الله عليه قال له: أظنك غريباً، فإن كنت جائعاً أطعمناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت فقيراً أغنيك... إلى آخر ذلك، ثم قال: يا غلمان، اذهبوا به إلى المنزل فأحسنوا ضيافته، وخرج الرجل وهو يقول: «الله يعلم حيث يجعل رسالته»<sup>٢</sup>.

(٣) راجع: بحار الانوار ٤٣.

٣٤٣

إننا أمام هاتين القصتين، نحاول أن نستوحي الأسلوب العملي الذي انطلق به الامامان سلام الله عليهما في هذه المسألة. لنلاحظ أن الامام الحسن عليه السلام فكر لماذا يقف هذا الشامي - الذي لا علاقة بينهما - ليسبّه؟ وهكذا فكر الامام زين العابدين عليه السلام لماذا يقف هذا الشيخ ليتحدث بهذا الأسلوب القاسي الوحشي ضد أهل البيت عليه السلام؟ إن الفكرة التي لاحظها الإمامان سلام الله عليهما هي أن هذا الشيخ أو هذا الشامي كانا خاضعين لتأثير الدعاية الأموية، التي كانت تعمل على توجيه هؤلاء الناس ضد أهل البيت عليه السلام، في واقع ليست هناك أية فرصة لدعاية مضادة، وأية فرصة لمعرفة القضية من الجانب الآخر، ولذلك لم تكن القضية المطلوبة هي أن يقتل هذا الشامي الذي سب الامام الحسن عليه السلام من قبل أهل بيته أو أولاده، ولم تكن القضية أن يعنف الامام السجادة عليه السلام هذا الشيخ على ذلك، كانت القضية هي أن يفسح المجال لهذا الشامي ولهذا الشيخ أن يكتشف الحقيقة بنفسه ليتحول إلى داعية للقضية، بدلاً من الواقع الذي عاشه بأن كان مضاداً للقضية.

وهكذا رأينا أن ذلك الشامي عندما ذهب إلى بيت الامام الحسن عليه السلام، وهو بيت النبوة وموضع الرسالة، ورأى طبيعة الأجواء الروحية التي تغمر هذا البيت، ورأى طبيعة الخط الاخلاقي الذي يتمثل في كل مغاني هذا البيت، ورأى طبيعة العلم الذي كان يحمله أهل هذا البيت، كانت انطلاقته طبيعية عندما قال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

وهكذا كانت المسألة بالنسبة إلى الشيخ الذي تحول من انسان يسب أهل البيت إلى انسان يسب يزيد وأصحابه، وما إلى ذلك.

إننا نستطيع أن نأخذ من هذا أسلوباً أساسياً في الدعوة، وهو أننا عندما نقابل الناس الخاضعين لتأثير دعاية سياسية أو اجتماعية معينة، فإن علينا أن لا نتحرك

نحوهم بانفعال عندما يتفعلون بالاساءة إلينا، وإنما نحاول أن نترك لهم فرصة ليتعرفوا على الحقيقة من أقرب طريق، لنربحهم ولنحولهم أصدقاء بدلاً من أن يكونوا أعداء.

وهذا هو الأسلوب الذي ركّزه القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوْخٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٤</sup>.

(٤) فضلت: ٣٤ - ٣٥.

الفكرة القرآنية هي أن نحول أعداءنا إلى أصدقاء بالأسلوب الأحسن وبالكمة الحسن. وهكذا نجد أن الامام الصادق عليه السلام في بعض أساليبه في حركة الدعوة كان يتحدث مع بعض الناس عن ذلك النصراني الذي أدخله انسان ما في الاسلام، ثم جاء به الى المسجد، وبدأ يضغط عليه في العبادة وفي النوافل وفي الادعية، حتى أخذ وقته كله، بحيث لم يدع له فرصة ليذهب الى أهله وليرتاح من هذا الجهد، وعندما جاءه في اليوم الثاني ليأخذه معه، قال له النصراني: اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني، وأنا انسان مسكين وعلي عيال.

يقول الامام: «أدخله من هذا وأخرجه من هذا»<sup>٥</sup>.

٤٤ :

إننا نفهم من خلال هذه الفكرة أن على الداعية عندما يريد أن يدعو الآخرين أن لا يثقل عليهم بكل الالتزامات الاسلامية حتى الواجبة منها، فكيف بالمستحبات، وما إلى ذلك؟ لأن هذا الانسان كان متحرراً من كل الالتزامات، فالمسألة هي أن نحاول العمل معه بشكل تدريجي يهيئ عقله ونفسه وحياته للنتائج التي نريد الوصول إليها، أما أن نثقل عليه فإن هذا الانسان قد يواجه المسألة بفعل الصدمة، ليجد أن هذا الدين ليس الدين الذي يمكن أن يمنح الانسان الحياة الطبيعية، باعتباره أنه يلغي له كل حياته وكل التزاماته.

وهذا هو الذي نستوحيه من الحكمة الالهية في إنزال القرآن على دفعات، وإنزال الشريعة على دفعات، لأن الله كان يريد أن يهيئ الناس لقبول هذه الالتزامات بالطريقة التي يكون فيها كل التزام معداً للالتزام آخر، بحيث إنك إذا التزمت بالتزام معين، فإنك تكتسب بذلك قوة في الاتجاه الايجابي لتستطيع بعد ذلك أن تلتزم التزاماً ثانياً وثالثاً.

(٥) الكليني، أصول الكافي

وإذا كان بعض الناس يقولون بأن هذا كان في أول الدعوة، أما بعد أن استكملت الدعوة فعلياً أن نعطي للانسان الاسلام جملة واحدة.  
فنحن نقول: إن القضية ليست هي قضية أن نحدث الناس بقطع النظر عن النتائج، ولكن القضية هي أننا إذا أردنا أن نهدي الناس، ودار الامر بأن نهديهم بطريقة تعقدهم من الاسلام، وبين أن نهديهم بطريقة تقربهم من الاسلام، فإن من الطبيعي أننا إذا كان من الممكن أن نخسر بشكل كلي، فاذا ربحنا مرحلياً بشكل جزئي يتبعه جزئي آخر فهذا أفضل.

وهكذا نجد أن هناك حديثاً يتحدث عن أن الامام الصادق عليه السلام عندما كان يحدثه بعض أصحابه عن الموقف السلبي من بعض الناس الذين لا يبلغون من الدرجة ما يبلغ هذا الشخص، وعند ذلك قال له الامام سلام الله عليه إذا كانت المسألة عندك بهذا الشكل فما نحن أعلى منكم درجة وأفضل منكم درجة، فهل يعني ذلك أن نلقيكم أو نترككم؟! ثم قال له: «إذا أردت أن ترفع شخصاً فارفعه اليك برفق ولا تكسره، فانه من كسر مؤمناً فعليه جبره»<sup>(٦)</sup>.

(٦) راجع: بحار الانوار ٦٨ : ٦٦٨

إننا ننطلق من هذا لفهم أن الامام عليه السلام يريد أن يعطينا فكرة في مسألة الدعوة، هي أنك عندما تكون الداعية الذي يملك موقعاً ثقافياً متقدماً، أو موقعاً رسالياً متقدماً، فلا يجوز لك أن تشعر بالحالة الفوقية تجاه الانسان الآخر، لتلغي موقعه، ولتضطهد انسانيته، بل لا بد لك من أن تدرس كل فكرة وكل أجواء حتى تستطيع أن ترفعه إليك بطريقة حكيمة تهيئ له الصعود الى المستوى الذي تريده أن يبلغه برفق وبهدوء وبشكل طبيعي، لأنك إذا أردت أن ترفعه بشكل قوي، فإن من الممكن أن تكسره بفعل الصدمة القوية التي تمثل الحد الفاصل بين مستواك وبين مستواه، إن معنى ذلك أن علينا أن لا نجعل الناس يقفزون في الفضاء عندما نريد أن نرفعهم الى مستوى معين، وانما يجب أن نجعل هناك درجات ودرجات.

وهذا ما نستوحيه ايضاً من الحديث:

يروى عن الامام الصادق انه قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك، إن المنبت لا ظهراً أبهى ولا أرضاً قطع»<sup>(٧)</sup>.  
قد يكون هذا حديثاً عن طبيعة حركة الانسان في ممارسة تكاليفه الشرعية،

(٧) بحار الانوار ٧١ : ٢١٣.

ليتخفف من الضغط الكبير في حركة الممارسة، ولكننا نستوحي أسلوباً في الدعوة أيضاً، هو أننا عندما نريد أن نواجه أنفسنا، وعندما نريد أن ندخل الى الدين بالطريقة التدريجية التي لا تبغض الدين الى أنفسنا بفعل الثقل الذي نرضه عليها بالدخول فيه بقوة، فإن ذلك سوف يكسر الحالة النفسية والروحية تماماً كالذي يركب الدابة ويواصل بها الليل والنهار فتقطع به في الطريق، فلا ظهراً أبقي ولا أرضاً قطع، إننا نستوحي من ذلك أننا إذا أردنا أن نوجه الآخرين فعلياً أن ندخلهم الى الدين برفق، ولا يُبغض إليهم الدين بالطريقة الثقيلة الضاغطة.

إننا نفهم من ذلك كله، ومن خلال كثير مما نراه ونقرؤه في سيرة أئمة أهل البيت (عليه السلام) أن أئمة أهل البيت (عليه السلام) كانوا يجسدون الأسلوب القرآني الحركي في الدعوة في كل مفردات حياتهم على مستوى الدعوة الى الله في خط العقيدة، أو على مستوى الدعوة الى الله في الخط الاخلاقي، وفي كل المجالات الحياتية. لذلك فإننا نتصور أن الأئمة (عليه السلام) لم يكن لهم أسلوب خاص في الدعوة، فإذا أردنا أن نقرأ محمداً (عليه السلام) فعلياً أن نقرأ القرآن، وإذا أردنا أن نقرأ أهل البيت فعلياً أن نقرأ القرآن، لأن أهل البيت يمثلون التجسيد العملي للقرآن، كما كان النبي (عليه السلام) في ما قالت إحدى أزواجه: «كان خلقه القرآن».

■ نحن نعلم أن ما وصلنا عن أهل البيت (عليه السلام) من طرق وأساليب في الدعوة للإسلام هو جزء متناثر مما صدر عنهم (عليه السلام)، فهل تستطيعون بلورة هيكل عام لمنهجهم في ذلك يحدد لنا المعايير الرئيسية لنظريتهم في الدعوة؟

□ ربما كان حديثنا في الجواب عن السؤال الاول يُطل بنا على الحديث في الجواب عن السؤال الثاني، لسبب بسيط جداً، وهو أن أهل البيت (عليه السلام) لم يتحركوا في كل حياتهم من خلال منطلقاتهم الذاتية، لتكون هناك ذاتية تتحرك في خط إمام، وذاتية أخرى تتحرك في خط آخر، وإنما كانت المسألة في كل المواقع هي أنهم أصحاب رسالة، وأنهم الامناء على الرسالة، وأنهم الذين اصطفاهم النبي (عليه السلام) من خلال اصطفاء الله لهم، ليكونوا الحافظين للرسالة فكراً، عندما تكون المسألة مسألة الفكر، ومنهجاً عندما تكون المسألة مسألة المنهج، وأسلوباً عندما تكون المسألة مسألة الأسلوب للدعوة. ومن هنا فإننا نلاحظ في كل ما جاء عن أئمة أهل

البيت عليه السلام أنهم كانوا - من خلال ما يؤكده القرآن - يرون أن من أولى عناصر الدعوة إلى الله هي احترام إنسانية الإنسان، لأن قضية أن تفتح عقل الإنسان على فكره، فلا بد لك من أن تفتح إنسانيته على إنسانيتك، لأن مسألة التقاء الإنسانية بالإنسانية الأخرى في حركة المشاعر والأحاسيس هي التي تهين الجو النفسي للانفتاح على ما تريد أن تطرحه عليه، بينما يكون العكس وسيلة من وسائل انغلاقه عليك، لأننا عندما نريد أن نطلق الدعوة في عقل إنسان، فإن علينا أن نعرف الطريق الذي يمكن أن نسلكه في الوصول إلى مواقع عقله ومواقع وجدانه، وهذا ما يحتاج إلى أن يشعر بأنك تحترمه، وأنت تحترم فكره، وتحترم قناعاته، وأنت تفتح له قلبك وأنت لا تتعقد من اختلاف وجهة نظرك مع وجهة نظره. وهذا ما قد نلمحه في كلمة الإمام علي عليه السلام: «احصد الشئ من صدر غيرك بقلعه من صدرك»<sup>٨</sup>.

(٨) بحار الانوار ٧٥: ٢١٢.

عن نهج البلاغة.

إنه يقول: عندما تريد أن تفتح على الإنسان الآخر فإن عليك أن تفتح من قلبك كل الحساسية وكل السلبيات التي يمكن أن تعقد علاقتك به وعلاقته بك، وإذا أردنا أن ننتقل بعد ذلك إلى الخط العام، فإن أسلوب أهل البيت عليهم السلام - المنطلق من الأسلوب القرآني - يتحرك في اتجاه أن يختار الإنسان الجو الذي يريد أن يثير فيه مفردات الدعوة، والأسلوب الذي يريد أن يحرك هذه المفردات في خطه، والكلمات التي يريد أن يستعملها. وهذا ما نراه بارزاً بشكل جلي في حوارات الإمام الصادق عليه السلام مع الزنادقة، حيث كان يفتح لهم عقله، ويفتح لهم قلبه، ويتحمل كل سلبياتهم، حتى الأساليب التي كانوا يحاولون فيها أن يسخروا من الحج وأهله، وأن يسخروا من كثير من الحالات، وكان الإمام الصادق يقابلهم بكل محبة، ويتحمل سخريتهم بكل هدوء، لأن المسألة عنده لم تكن مسألة انفعال بالكلمات اللامسؤولة، بل كانت مسألة خطة لفتح قلوبهم عليه، لكي تفتح عقولهم عليه، بالكلمة التي هي أحسن، والأسلوب الذي هو أحسن والجو الذي هو أحسن.

ويمكن أن نثير نقطة أخرى في هذا المجال: هي التجربة التي عاشها أصحاب الإمام الصادق عليه السلام في أجواء الإمام الصادق، عندما جاء إليه بعض الناس الذين يريدون أن يجادلوه في بعض العقائد، أو في بعض الأمور الحساسة، وهنا رأينا أن الإمام يوجه أصحابه إلى أن يجادلوه، ثم يتوجه لنقدهم فيقول لبعض أصحابه وقد

(٩) بحار الانوار ٢٣ : ١٣ .

تغلب على ذلك الانسان ناقداً له: «انك تمزج الحق بالباطل، وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل»<sup>١</sup> فكانه يقول له: ما الفرق بينك وبينه؟ إنه جحد حقاً وجحد حقاً مثله؟ لأنه جحد الحق في النتائج وجحد الحق في الطريق.

إن الامام يريد أن يركز على أننا في خط الدعوة، فعلينا أن لا نجعل الاسلوب الأساسي هو الاسلوب الجدلي الذي يحاول أن يستفيد من الباطل في سبيل إسكات الطرف الثاني، إنه يريد أن يؤكد ويُعلم هذا الانسان بأن الدعوة الى الحق يفترض أن تعتبر الحق العنصر الأساس في الوسيلة والعنصر الأساس في النتيجة، لانك عندما تأخذ من الباطل حجة على حقه، فإن معنى ذلك هو أنك توحى بضعف الحق عن مواجهة التحديات التي توجه إليه، بحيث يضطر الى الاستعانة بالباطل في مقام التأكيد على نفسه، وهكذا، فإن الامام يريد أن يقول بأن على الانسان أن لا يظلم الآخر عندما يستعين بأشياء غير حقيقية في سبيل تركيز الفكرة، لأن القضية الأساس هي أن نعطي الانسان الحق كله لينطلق الحق بأكمله في عقله وفي وجدانه. هذه قاعدة من قواعد أسلوب الدعوة عند أهل البيت (عليهم السلام)، وكم لهم من أساليب كثيرة تتمثل في كل حواراتهم، وفي كل حياتهم.

ونستطيع أن نقول كلمة حاسمة إن أهل البيت (عليهم السلام) عندما يتحركون في الحياة فإن كل حركتهم تمثل الخط العملي لأسلوب الدعوة في القرآن، الدعوة في أخلاقيتها، والدعوة في حركيتها، والدعوة في قضايا الصراع. وهذا ما يريده القرآن الكريم ويتحرك فيه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهو أن يكون كل واحد منا داعية بكل شخصيته، لتكون كل حياته دعوة في سبيل الله، وتجسداً للخط الأخلاقي الاسلامي في مسألة الدعوة الى الله.

■ تتميز سيرة أهل البيت (عليهم السلام) بأن لكل منهم دوراً محدداً يبدو بالنظرة الاولى أنه مستقل بنفسه ومنفصل عن غيره من الأدوار، إلا أن هناك محاولات قام بها بعض علمائنا الأعلام ومفكرينا العظام لاكتشاف الارتباط والتواصل بين هذه الأدوار، بشكل يحكي وحدة الهدف فيها رغم تنوعها، فكيف تنظرون الى طبيعة هذا الارتباط والتواصل؟ وما هي في نظركم الأدوار الكلية لسيرتهم (عليهم السلام)؟

□ لقد ناقشت هذه الفكرة التي أحمل كل التعظيم والتقدير لصاحبها الرائد في

(١٠) المرحوم آية الله الشهيد  
الصدر في كتابه: «أهل  
البيت (عليه السلام)» وحدة في  
الأهداف وتنوع في الأساليب.

الفكر الاسلامي كله<sup>١٠</sup>، وقد تحدثت عن ذلك في الكتاب الذي صدر أخيراً: «تأملات في آفاق الامام الكاظم (عليه السلام)» إنني قد ألاحظ أن هذا الطرح الذي يركز على الترابط في المرحلية بين إمام وإمام، يمثل فكرة وطرحاً مثيراً للاهتمام، ولكنني في قرائتي لتاريخ الأئمة (عليهم السلام) كنت ألاحظ أن هناك رسالة واحدة - كما هو معلوم - وأن حركة الأئمة في مفردات هذه الرسالة وفي أساليبها وفي طبيعة الخطوط التي تتحرك فيها كانت خاضعة للظروف الموضوعية التي لا يد لها فيها، ومن هنا فقد كان تحركهم ينطلق من العناوين الشرعية العامة التي تضع لكل ظرف من الظروف أحكامه، ومن هنا فإننا نجد أن التقية التي كانت تحكم حركة الأئمة (عليهم السلام) منذ الإمام الباقر (عليه السلام) حتى آخر الأئمة الحاضرين كانت تتنوع حسب تنوع الظروف وقضية التوجيه العلمي والثقافي.

والتنظيم الحركي - إذا صح التعبير - للواقع الشيعي كان ينطلق على أساس ضغط الظروف في هذا الموقع وسعتها في موقع آخر، انني لم أجد هناك علامات واضحة على وجود نوع من أنواع المرحلية المنظمة التي كان كل إمام يترك للآخر أو يهيئ للإمام الآخر ما يتناسب ومرحلته، إننا قد نجد هناك كثيراً من الخصائص في حياة الإمام الهادي (عليه السلام) أو الإمام العسكري (عليه السلام) ما يلتقي مع الخصائص الموجودة في حياة الإمام الباقر (عليه السلام) أو الإمام الصادق (عليه السلام) وهكذا.

لذلك - مع كل تقديري لهذه النظرية في طبيعة مفرداتها وفي بعض الاستدلالات عليها - لم أستطع أن أوافق على هذا المعنى، إنني استوحي من القراءة الدقيقة لسيرة الأئمة (عليهم السلام) أنهم كانوا يواكبون الظروف الموضوعية ليحركوا أساليبهم وفقاً لهذه الظروف، تماماً كما هو الخط الاسلامي في حركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنحن نجد أن المسألة لم تكن مسألة المرحلية بالمعنى الدقيق الذي حاول بعض الناس أن يركزه في المرحلية، عندما يقال إن مرحلة مكة هي مرحلة الدعوة، ومرحلة المدينة هي مرحلة الدولة، إننا نلاحظ أن مرحلة المدينة كانت تمثل تزاوجاً بين الدولة والدعوة، فقد كانت المدينة قاعدة الدولة، ولكن المنطقة المحيطة بالمدينة التي كان يتحرك فيها الاسلام كانت منطقة الدعوة، مما لا يمكننا أن نقول أن هناك تخطيطاً لمرحلة مكة، فلم تكن هناك أي ظروف موضوعية تمكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أن يدخل في



معركة حتى مع قريش، باعتبار أن الدخول في معركة مع قريش كان يلغي الرسالة من الأساس كلياً.

فلذلك أنا أعتبر أن الظروف الموضوعية هي التي تحكم الأسلوب، وهي التي تحكم الوسائل، وهي التي تحكم طبيعة المفردات التي تتحرك في هذا الجانب أو ذاك الجانب. وهذا ما لاحظناه في الأسلوب العملي لأول الأئمة الإمام علي عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وفي أسلوبه في ما قبل خلافته، وأسلوبه في ما بعد خلافته، إننا نجد أن الأسلوب كان يتحرك من خلال حركة الظروف، ولم تكن للإمام عليه السلام يد في صنع هذه الظروف، لنقول بأن هناك تخطيطاً للمرحلة. إنك تخطط للمرحلة - بالمعنى المصطلح للتخطيط - فيما إذا كنت تصنع الظروف التي تحكمها هذه المراحل، أما إذا كانت المسألة هي مسألة الظروف التي تصنع من خلال الآخرين فإنك لا بد أن تُخضع خططك للواقع الذي يكون نتيجة هذه الظروف، وهذا ما نستفيد نحن في حركتنا في الدعوة الإسلامية وفي كل الواقع الإسلامي في العالم، إننا نواكب الظروف الموضوعية لنحدد وسائلنا المستمدة من الخطوط العامة في الشريعة تبعاً للظروف الموضوعية، ولذلك لا يمكن للفكر الإسلامي أن يكون متجمداً - واقصد الفكر الإسلامي الحركي الواقعي - ولا يمكن للحركة الإسلامية أن تتجمد.

ومن خلال هذا نفهم أن الذين يحاولون أن يواجهوا المتغيرات الواقعية التي يعيشها العالم الإسلامي من خلال المتغيرات الموجودة في العالم، ليتجمدوا على الفكر الذي كان قبل أربعين سنة أو خمسين سنة من خلال تجارب أشخاص مخلصين في دورهم القيادي، ولكنهم أطلقوا أفكارهم الحركية من خلال تجربتهم المحدودة بحدود ظروفهم من الزمان والمكان والأوضاع السياسية. لذلك ما نستوحيه من هذا هو أن على الحركة الإسلامية أن تواكب حركة الظروف والمتغيرات لتركز خططها على هذا الأساس، ليس بمعنى أن تكون منفصلة بالظروف بحيث تقع تحت تأثيرها، بل تعمل على تغيير الواقع بأدوات الواقع.

■ نرى خطين في سيرة وتاريخ أتباع أهل البيت عليه السلام: خط يدعو لنهج طريق الإمام الحسن عليه السلام في الصلح والمصالحة كأسلوب في الدعوة للإسلام، وخط يدعو

لنهج طريق الامام الحسين عليه السلام في الثورة والجهاد والاستشهاد كأسلوب آخر في الدعوة للإسلام، فهل تجدون أن هناك ضوابط وأسس معينة تحدد لنا المواضع الصحيحة لكل أسلوب، والدوافع الشرعية والموضوعية لانتهاجه؟

□ أنا لا اوافق على هذا النوع من التقسيم، أي أن يقال إن هناك أسلوباً حسنياً ينطلق من الشخصية الذاتية للامام الحسن عليه السلام، وإن هناك أسلوباً حسنياً ينطلق من الشخصية الذاتية للامام الحسين عليه السلام. لا يمكن أن نفكر بأن الحسين عليه السلام يعيش ذهنية العنف، وأن الحسن عليه السلام يعيش ذهنية اللين. إن الأسلوب الحسن عليه السلام - إذا صح التعبير - كان أسلوباً حسنياً، وإن الأسلوب الحسيني كان أسلوباً حسنياً. كيف نفسر ذلك؟

إننا عندما نواكب مسألة حركة الامام الحسن في خلافته فإننا نجد أنه كان ثورياً كأعلى درجات الثورة في خطابه السياسي، وعندما ندرس وندقق في مفردات كتبه إلى معاوية فإننا نجد فيه أنه كان يعيش عمق العنف فيما يمثل الجهاد في هذا المجال، وعندما صالح فإنه صالح على أساس أن الظروف الموضوعية كانت تقف به بين خطين: إما أن تسقط المعارضة كلها، فلا يبقى هناك صوت للحق يعارض الباطل، وإما أن يحتفظ ببعض المعارضة التي يمكن أن تعمل استمراراً للخط في مواجهة الباطل الذي استطاع أن يفرض نفسه على مساحة كبيرة من الواقع، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الحروب التي كانت تدور بين المسلمين في خلافة الامام علي عليه السلام قد اتعبت المسلمين، ولذلك أتعبوا علياً عليه السلام بأسلوبهم في السير معه، وحجبت الرؤيا عن فضائع الأمويين وعن سيئاتهم ووحشيتهم وضلالهم، وما إلى ذلك، لأننا نعرف أن أية أمة لا يمكن أن تميز بين اللون الأبيض واللون الأسود في حالة الحرب، لأن حالة الحرب تمثل الحالة الرمادية، في ما هو الوعي المنفتح على كل قضايا الواقع، فالتناس في حالات الحرب يفقدون الخطوط الواضحة للمبادئ، ويستغرقون في مفردات الحرب، ليسجلوا نقطة على هذا ونقطة على هذا، وليسغرقوا في هزيمة هنا ونصر هناك، وما إلى ذلك، ومن هنا كان من الصعب جداً توعية الناس بالواقع الذي يمثلته الحكم الأموي، لذلك كانت المصلحة الإسلامية

العليا التي تحكم مسيرة الامام الحسن عليه السلام هي أن يحفظ البقية الباقية من المعارضة لتمثل الامتداد في خط المواجهة للباطل، وليعطي الناس فرصة لتتقهم من خلال التجربة الواسعة من هم بنو أمية، وما هو الحكم الاموي، لذلك كان يهيئ المجال لثورة الحسين عليه السلام.

وقد لاحظنا أنه عندما ثارت ثائرة المتحمسين من أصحاب الامام الحسن عليه السلام ضد الامام الحسن، كان الامام الحسين عليه السلام يدافع عن موقف الإمام الحسن ويتحدث عن شرعيته بكل قوة، وإذا صح أن الحسين عليه السلام وقّع وثيقة الصلح عندما طُوب بذلك كما وقّعها الحسن عليه السلام، فإن معنى ذلك أن الحسين كان يسجل موافقته مباشرة على الصلح.

وربما كان هذا هو ما يفسّر أن الحسين عليه السلام لم يطلق الثورة في وجه معاوية مادام معاوية حياً، لأن الالتزام بهذا الصلح كان بحكم موقفه، إذا صحت الروايات. وهكذا نرى أن الامام الحسين عليه السلام أعطى للسلم إمكانيته، ولو من خلال إقامة الحجة، وكان يعمل على أساس أن يقدم الحجج التي كانت بيده على شرعيته في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يطلب من الناس أن يشهدوا على ما سمعوا به، وكان يحاول أن يطرح بعض الحلول السلمية، ولكن القضية وصلت الى الحد الذي عبّر عنه الامام الحسين عليه السلام: «ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين الشنيتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة»<sup>١١</sup> عندما طُلب منه أن ينزل على حكم ابن زياد ويزيد بن معاوية، ومعنى ذلك إلغاء الرسالة وإلغاء كل الشرعية، لأن النزول على حكمهم معناه إعطاء كل شيء لهم. لذلك كانت المسألة الحسينية تتحرك من خلال الظروف التي أوجت للحسين عليه السلام بالقاعدة الشرعية لحركته، كما كانت الظروف الموضوعية هي التي حركت الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين معه لتطبيق الخط الشرعي على مسألة الصلح، ولذلك كان الحسن حسينياً وكان الحسين حسنياً.

ليس في الاسلام شيء اسمه العنف المطلق، وليس في الاسلام شيء اسمه اللين المطلق، وإن العنف يختزن اللين في ما ينفق به على كل واقع الحياة، واللين يختزن العنف في ذلك، باعتبار أن لكل منهما حدوداً معينة وظروفاً معينة.

وهذا ما ينبغي أن نستفيد منه في فهم مسألة الحركة الاسلامية باعتبار أن

هناك خطأ يشمل الساحة الاسلامية في الحديث عن الثورة بالمطلق، أو الحديث عن الجمود في المطلق، وكلاهما خطأ، الثورة موضوع شرعي يخضع لظروف الحكم الشرعي، والوقوف عن الحركة يمثل موضوعاً شرعياً، وعلينا أن نستهدي الأحكام الشرعية في حركة الواقع من خلال الموضوعات التي يقدمها الواقع في انطباق الاحكام الشرعية عليها، وهذا ما أحب أن انتبه عليه كل العاملين.

إن تثقيف الشباب بالعنف كأساس للحركة السياسية يعني أننا نتقهم بطريقة قد يقفون حائرين أمام أساليب الأئمة (عليه السلام)، وقد يقفون حائرين أمام أسلوب الامام علي (عليه السلام) قبل الخلافة، وقد يجعلهم يعيدون النظر بشكل لا شعوري عندما يكتشفون أن ما تعلموه من الاسلوب الثوري - كخط وحيد - لا ينسجم مع أسلوب الأئمة (عليه السلام) في حركتهم. ولذلك فعندما نريد أن نتقف الجيل بأية ثقافة في الخط السياسي والجهادي لا بد أن نثير نقاط الحذر هنا وهناك، حتى لا نبطل بإسقاط تاريخنا من خلال الانفعال في حاضرتنا.

■ هناك مبدأ يعتقد به أتباع أهل البيت (عليه السلام)، ويعتبرونه أحد أسس الايمان بالاسلام، وهو مبدأ الولاية للرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) والبراءة من أعدائهم، فما هي في نظركم الرؤية السليمة والصيغة العملية الواقعية لهذا المبدأ؟

□ من الطبيعي أن قضية الولاية لا تمثل حالة حب منفعل، ولكنها تمثل حالة موقف وإع عاقل، يعتبر أئمة اهل البيت (عليه السلام) خلفاء الرسول واهل بيته الذين يجب على الناس أن يطيعوهم، كعنوان من عناوين الامتداد لطاعة الرسول، باعتبار أن قولهم قوله وفعلهم فعله، لا سيما إذا عرفنا أن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولذلك نقول: إن قولهم شريعة، وفعلهم شريعة، لا بمعنى أنهم يشرعون لنا ما لم يشرعه الرسول، فالتشريع انتهى بموت الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولكنهم كما قالوا: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث علي بن أبي طالب وحديث علي بن أبي طالب حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عز وجل»<sup>١٢</sup>. كما قال الشاعر:

أما شرعيتهم المتحركة في خط عصمتهم فانها تنطلق من أن كلماتهم هي كلمات رسول الله، وأن أفعالهم هي أفعال رسول الله ﷺ، فالولاية حركة في الخط وليست مجرد لفظة في القلب. ولذلك جاء الحديث المروي في الكافي عن الامام الباقر عليه السلام: «أفحسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه، ثم لا يكون فعالاً؟» فرسول الله خير من علي، أفحسب الرجل أن يقول: أحب رسول الله ثم لا يعمل بسنته؟!... ثم قال: من كان لله ولياً فهو لنا ولي، ومن كان عدواً لله فهو لنا عدو. والله لا تُنْال ولايتنا أهل البيت إلا بالورع»<sup>١٣</sup>.

٧٥

ومن هنا فإن معنى الالتزام بولاية أهل البيت عليه السلام هو الالتزام بالاسلام الاصيل الذي تمثله رؤيتهم وفهمهم وتوجيهاتهم في هذا المجال، وعندما تلتزم ولاية أهل البيت عليه السلام التي تمثل الالتزام بالاسلام، فعليك أن تعمل على مواجهة كل الخطوط المضادة التي تُضاد شرعية ولايتهم، أو أنها تفتصبها فلا تلتزم بها، كما وأن عليك في هذا المجال أن تقف ضد الخطوط الفكرية والحركية والمنهجية التي تختلف عن الخطوط التي اعتبروها الخطوط الاساسية في الخط الاسلامي والعمل الاسلامي. إننا من خلال ذلك نقول: إن حركة البراءة تتحرك في كل موقع كان مُضاداً لأهل البيت عليه السلام في كل تفاصيل التاريخ في الاشخاص وفي كل تفاصيل الخطوط التاريخية في الحركة، أن تكون الولاية لأهل البيت عليه السلام هي القاعدة المركزية التي نستطيع أن نقيس بها الاشخاص والاضاع والمواقف، على طريقة الكلمة التي قالها رسول الله ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار»<sup>١٤</sup>. وهكذا كلمة رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»<sup>١٥</sup>.

(١٤) بحار الانوار ١٠: ٤٤٥.

(١٥) بحار الانوار ٢٣: ١٠٥.

ذلك هو الخط العريض الكبير الذي لا بد لنا أن نتابعه ولا بد لنا أن نعمل على توثيقه في عالم التطبيق، وعلى تعقيبه في عالم التطبيق، وعلى تحريك الحكمة التي تحمل القضايا الكبرى عند الدخول في التفاصيل.

مكتبة

عليه السلام

فنون وأحباب

الشيخ

سيد الطالبي

(سورة)

كلما جئت موطن الإلهام  
يوم ذكرك خائني إقدامي  
وإذا ما هممت اكتب حرفاً  
عنك ناءت بحملها أقلامي  
أنا أدري بسرّ ضعفي وخوفي  
ما بياني لكنّما آثامي  
ما حديثي عن أوج ما خلق الله  
وتاج الدنسى ونور الأنام  
وأنا أحطب الذنوب وأمضي  
في طريق الغرور والأوهام  
كيف أرنو إلى سنائك وطرفي  
غشيتته غياهب من ظلام  
كيف أسمو إلى علاك وما اخلاصت  
لله منهجي والتزامي

واحياي يا سيدي لفعالي  
بأيدي أني الى مديحك ظامي  
جرأتني خصالك الغر والحب  
فرددت في جوى وهيام  
يا رسول الله الذي ختم الرسل  
واكرم بأحمد من ختام  
يا نبياً أقام دنيا وديننا  
في ثلاث مرت وعشرين عام  
أنت كـون وأمة وزمان  
جمعتها بشاشة الاسلام  
أنت سر الأسرار في عالم الطهر  
وأحلى ما فيه من أحلام  
خلق النور إذ خلقت وعقل  
هو مجلى التكريم والإنعام  
شرف اليتم إذ ولدت يستقيماً  
وغدوت العزاء للأيتام  
كل ما قيل في علاه كلام  
غير ان الرسول فوق الكلام  
هو معنى المعنى والطف ما صيغ  
وأسمى ما دار في الأفهام  
ذكره جنة وماء وظل  
وحياة تصفو من الأسقام  
وهواه والآل زلفى إلى الله  
ودرب النجاة يوم الزحام

سَيدي والزمان مسرح ظلم  
وصراع مستقنع بـوثام  
يتختم الناس في مكان وفي الارض  
جـياع باتوا بغير طعام  
سَخَّرَ العقل للشُرور وعادات  
من جديد عبادة الأصنام  
ما لغزو الفضاء والأرض تغزى  
كل يوم بالخوف والآلام  
تسحق الروح آلة ويؤول الناس  
في ظلها الى أرقام  
بك كنا خير الوري ودليلاً  
لأريج الهدى وظلّ السلام  
غير أننا عن الصراط عدلنا  
ونكلنا عن موثق وذيام  
ورضينا الأدنى فصرنا اليه  
وغدونا أضحوكة الأيـام  
فطعام المستعمرين وحيناً  
في شباك الأعوان والأزلام  
ما حفظنا مسراك من رجس صهيون  
ونامي يا أمة العرب نامي  
وأفـقنا على نداء إمام  
يشعل النار في حصون الظلام  
ورأيـنا ايران تخلص لله  
فتودي بالظلم والظلام



لم تخف بأسها الشعوب ولكن  
خافت البأس زمرة الأقزام  
وأراد المستكبرون بها الكيد  
فدست أنوفهم في الرغام  
سبيدي للحياة علّمت ديناً  
ليس يرضى بالنوم والنّوَام  
لو عرفناك لم نعش في خمود  
وجمود وذلة وانقسام  
واعتصمنا بحبل رب البرايا  
فهو فينا المتين ذو الإحكام  
وجعلنا التوحيد أصل اتحاد  
واخاء وألفة وانسجام  
كيف يسعى أعداؤنا لوئام  
وترانا في فرقة وخصام  
وخذتهم مطامع وافترقنا  
فذاب تسعيت في الأغنام  
وحدة الخندق المواجه للكفر  
وبذل الدماء خير مرام  
فلنجند لها القلوب جميعاً  
ولنحث الخطا بدرب الإمام

## من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

• السيد

عبدالله الحسيني

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام إلى مفهوم أو فكرة معينة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أثير من نصوص كلمات المعصومين عليهم السلام فيها لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية والحية صادقة وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعين القرآن الكريم الذي لا ينضب، تصديقاً لقولهم عليهم السلام: «شرفاً أو غريباً فلن تجدوا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندها أهل البيت».

ونود أن ننوه إلى أن جميع الأحاديث الواردة في هذا الباب هي لأصايب وحكم مستتة من أقوال أمير المؤمنين وسيد البلغاء علي بن أبي طالب عليه السلام. وهي من كتاب «غرر الحكم ودرر الكلم» للأمدي.

«التحرير»

### الدولة كما تُقبل تُدبر

#### ١ - الجهل

• دولة الجاهل كالغريب المتحرك إلى النقلة.

• زلة الرأي تأتي على الملك وتؤذين بالهلك.

\* من ضَعُفَتْ آراؤُهُ قَوِيَتْ أَعْدَاؤُهُ.

\* أعظم الجهل معادة القادر ومصادقة الفاجر والثقة بالغادر.

\* رأس الجهل معادة الناس.

## ٢ - الاستبداد بالرأي وترك المشورة

\* من استبدَّ برأيه زلَّ.

\* من استغنى بعقله ظلَّ.

\* من قنع برأيه فقد هلك.

## ٣ - اتباع الهوى

\* شَرَّ الأُمراء من كان الهوى عليه أميراً.

\* مَنْ غلب هواه على عقله ظهرت عليه الفضائح.

\* مَنْ ملكه الهوى لم يقبل من نصوح نُصحاً.

## ٤ - تعدد مراكز القرار «عدم وحدة القيادة»

\* الشركة في الملك تؤدي إلى الاضطراب.

## ٥ - اتباع الباطل والاستخفاف بالدين

\* من ركب الباطل اهلكهُ مركبُهُ.

\* من جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان.

\* لا تحارب من يعتصم بالدين، فإنَّ مغالب الدين محروب.

\* مَنْ عاند الله قُصِمَ.

## ٦ - البغي والظلم

\* آفةُ الاقتدار البغي والعتق.

\* من سلَّ سيفَ البغي عُيِدَ في رأسه.

- \* راكب الظلم يَكْبُو به مركبُه.
- \* مَنْ عامل رعيته بالظلم أزال الله مُلكه وعَجَل بوارَه وهلاكه.
- \* مَنْ حَبَد على الظلم مُكِر به.
- \* مَنْ جازت أفضيته زالت قدرته.
- \* قلوب الرعية خراش راعيها فما أودعها من عدلٍ أو جورٍ وَجَدَه.
- \* شَرُّ الولاة مَنْ يَخافُه البريء.
- \* جودُ الولاة بغير المسلمين جَوْرٌ وخُتْرٌ.
- \* آفةُ العمران جورُ السلطان.
- \* لئن أَهْلَ الله تعالى الظالم فلن يَفُوتَه أَخْذُه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وموضع الشجاء من مجاز ريقه.

#### ٧- التَّكَبُّرُ وَالْفَخْرُ

- \* آفةُ الرئاسة الفخر.
- \* مَنْ اختال في ولايته أبان عن حماقته.
- \* مَنْ استطال على الناس بقدرته سلب القدرة.
- \* تَكَبَّرَ في الولاية ذُلٌّ في العزل.

#### ٨- مَنْعُ الْإِحْسَانِ

- \* مَنْ أَحْسَنَ لِلْمَلِكَةِ أَمِنَ الْهَلَكَةَ.
- \* آفةُ القدرة مَنْعُ الْإِحْسَانِ.
- \* مَنْ لَمْ يُحْسِنِ فِي بَوْلته خُذِلَ فِي نَكْبته.

#### ٩- الْإِسْرَافُ وَالتَّبْذِيرُ

- \* لَنْ يَهْلِكَ مَنْ اتَّصَدَ.
- \* حُسْنُ التَّبْذِيرِ وَتَجَنُّبُ التَّبْذِيرِ مِنْ حُسْنِ الْمِيَاثَةِ.
- \* مِنْ سَاءِ تَبْذِيرِهِ تَعَجَّلَ تَدْمِيرُهُ.

• كثرة السرف تدبر.

#### ١٠ - الغفلة

• من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة.

• ألا وإن من تورط في الأمور من غير نظر في العواقب فقد تعرض لمفاجآت النوائب.

#### ١١ - الانتقام

• لا سودد مع انتقام.

#### ١٢ - سوء التدبير

• يستدل على إربار الذول بأربع:

سوء التدبير.

وقبح التبذير.

وقلة الاعتبار.

وكثرة الاعتذار.

#### ١٣ - تضييع الأصول

• يستدل على إربار الذول بأربع:

تضييع الأصول.

والتمسك بالفروع.

وتقديم الأراذل.

وتأخير الأفاضل.

• الأمير السوء يصطنع البذي.

• زوال الدول باصطناع السفل.

• تولي الأراذل والأحداث الذول دليل انحلالها وإربارها.

#### ١٤ - الخيانة

- \* اعظم الخيانة خيانة الأمة.
- \* اذا ظهرت الخيانات ارتفعت البركات.
- \* من خانته وزيره فسند تدبيره.
- \* كذب السفير يولد الفساد ويفوت المراد ويُبطل العزم وينقُض العزم.

#### ١٥ - ضعف السياسة

- \* من استدبر الأمور تحير.
- \* من تأخر تدبيره تقدم تدميره.
- \* آفة الزعماء ضعف السياسة.
- \* آفة القوي استضعاف الخصم.

#### ١٦ - سوء السيرة

- \* آفة الملوك سوء السيرة.

#### ١٧ - عجز العمال

- \* الاعمال تستقيم بالعمال.
- \* وآفة الاعمال عجز العمال.

#### ١٨ - ضعف الحماية

- \* آفة الملك ضعف الحماية.

#### ١٩ - سوء الظن بالنصيح

- \* من علامات الإدبار سوء الظن بالنصيح.

## ٢٠ - طمع القادة

• السيد من لا يصانع ولا يخارع ولا تغرّه المطامع.

• الطمع يذل الأمير.

## ٢١ - فقدان الأمن

• شرّ البلاد بلد لا أمن فيه.

# خبر وفاء الجمهورية الإسلامية في إيران

وفاة

الشيخ محمد باقر الصدر

العدد

إعداد

الدارسة الثقافية العربية

في المجمع العالمي

لاهل البيت (ع)

شاركت الجمهورية الإسلامية في إيران بوفد رفيع المستوى في المؤتمر الدولي للتنمية والسكان الذي انعقد في القاهرة تحت اشراف منظمة الأمم المتحدة، للفترة من ٢٧ ربيع الأول - ٦ ربيع الثاني عام ١٤١٥هـ - الموافق ١٣ - ٥ أيلول عام ١٩٩٤م. وضم الوفد (١٨) عضواً كان من بينهم (١٠) نساء، ورئيس الوفد سماحة العلامة الشيخ محمد علي التسفيري الأمين العام للمجمع العالمي لاهل البيت (ع).

## الاهداف الأساسية:

بعد دراسة وثيقة عمل مؤتمر القاهرة - الذي يعتبر الثالث من نوعه حول موضوع السكان والتنمية - دراسة جيدة نسبياً، والاستنتاج بان هذه الوثيقة ورغم ما تضمنته من نقاط ضعف وقوة متعددة، فانها نُظِّمت وفق ذهنية لا دينية، فقد تجاهلت الدور الاساسي للدين في بناء الانسان - باعتباره محاور التنمية - وتحقيق التنمية المستقرة، وبملاحظة الاجواء السلبية في الاعلام الدولي والاسلامي ضد المؤتمر، فقد حدد الوفد اهدافه الرئيسية بالنقاط التالية:

١ - السعي الجاد لابطال مفعول النتائج السلبية للوثيقة.



## ٢ - طرح المواقف التقدمية للجمهورية الإسلامية حول السكان والتنمية في

المؤتمر.

٣ - القيام بدور قيادي للبلدان الإسلامية في المؤتمر.

٤ - الانتفاع من الامكانيات الاعلامية للمؤتمر لطرح قضايا الثورة الإسلامية

ومواقفها.

٥ - ايجاد علاقة اكثر استحكاماً مع الشعب المصري المسلم.

٦ - اجراء مباحثات مع المنظمات الدولية وتعزيز العلاقات معها.

٧ - اجراء اتصالات مع المنظمات غير الحكومية في انحاء العالم وتقوية

الارتباط بها.

وبعد عشرة ايام من النشاط المتواصل، من المعتقد ان الوفد استطاع ان يحقق

نجاحاً جيداً، ويحصل على النتائج المرجوة.

ففي البداية أقيمت في المؤتمر كلمة متينة المضمون جامعة الابعاد تضمنت

مواقف عقائدية وجوانب علمية، حدّد المؤتمر فترتها بعشر دقائق فقط.

## النقاط التي اكدت عليها كلمة رئيس وفد الجمهورية الإسلامية\* :

١ - رغم اننا نعتبر ان النمو المطرد للسكان يسبب المشاكل، إلا ان السبب الاهم

والعامل الاكبر في هذه المشكلة هو التوزيع غير العادل للهبات الطبيعية الالهية،

وكفران النعم من خلال عدم استغلال تلك الامكانيات الطبيعية بالشكل الافضل.

٢ - التأكيد على ان كيان الأسرة هو الحجر الاساس للتكوين الاجتماعي، واننا

نرفض اي سلوك من شأنه أن يمس ذلك الكيان ويضعفه.

٣ - التأكيد على الدور الفعال للمرأة في ايجاد التركيبة الاجتماعية والسياسية

للمجتمع.

٤ - التأكيد على ان الاخلاق هي القاعدة الاساس لاية تنمية مستقرة.

٥ - دعوة الدول الغنية لاداء دورها الانساني في تقليل الفجوة في مستوى

معيشة الافراد على الصعيد العالمي.

٦ - الامتناع عن فرض تصورات دولة معينة على دول أخرى، والا هم من ذلك

(\*) جاء في كلمة رئيس وفد الجمهورية الإسلامية الإيرانية سماحة للشيخ محمد علي التسخيري ما يلي:  
ان العالم - اليوم - يواجه تحديات كثيرة منها موضوع تنفيذ مقررات مؤتمر القمة حول الاطفال، والاستراتيجية الرابعة الدولية للتنمية، وورقة العمل رقم ٢١ لمؤتمر البيئة والتنمية، كما انه يهيئ لمؤتمر القمة حول التنمية الاجتماعية، والمؤتمر الدولي حول المرأة، والسنة الدولية للعائلة، وبالتالي مؤتمر السكان والتنمية الذي نعيش آفاقه.

ومؤتمر القاهرة اذ ينبغي في هذا الطيف الحساس يشكل فرصة مهمة لدراسة مواضيع السكان، والبيئة والتنمية بشكل منسجم مترابط. ولذا فان الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعتبرها فرصة مناسبة لتؤكد على ان هذا المؤتمر يمكن ان يشكل خطوة ايجابية في مجال التعاون الدولي للوصول الى تنمية وطيدة. وعلينا ان نستثمر هذه الفرصة للعمل على التركيز على الابعاد المعنوية والاخلاقية والثقافية لترشيد وتوسعة ما تم الاتفاق عليه في المؤتمرات السابقين

الامتناع عن استخدام القوة في فرض اغراضها واهدافها.

٧- رفض موضوع الاجهاض والتدخل في الشؤون الداخلية للدول رفضاً قاطعاً.

٨- التأكيد على ضرورة وجود تعاريف دقيقة وواضحة ومتفق عليها لكل مصطلحات الوثيقة وعباراتها.

٩- رفض أي اقتراح يؤدي إلى انتشار الفساد الاخلاقي.

١٠- تقديم تقرير مختصر عن نشاط الجمهورية الاسلامية في مجال تنظيم الاسرة.

### مجالات النشاط:

من أجل تحقيق الهدف المطلوب، استغل الوفد المجالات التالية على افضل وجه:

١- الجو الاعلامي الواسع ضد المؤتمر الذي مثل اكبر عامل ضغط عليه لاتخاذ منهج معتدل، اذى الى ان تتخذ اميركا موقفاً معتدلاً نسبياً، وتطرح «بي نظير بوتو» مواقف اسلامية، وتبذل الحكومة المصرية غاية جهدها لتنظيم وثيقة اسلامية على الاقل.

٢- تبوأ الجمهورية الاسلامية في ايران موقفاً قيادياً في التحرك داخل المؤتمر.

٣- الاتصال المتكرر والمستمر مع القادة الدينيين في مصر (شيخ الازهر - مفتي مصر - الامام الغزالي - المنقذين والكتاب المسلمين) للضغط على الجهاز الحكومي من أجل بذل المزيد من التعاون لتحقيق الاهداف المرجوة.

٤- لكون مصر هي البلد المضيف، فمن الطبيعي انها تمتلك قدرة كبيرة في تنظيم الوثيقة النهائية، وعليه فقد تم الاتصال بالوفد المصري وتنسيق المواقف معه.

٥- الاتصال مع وفد الفاتيكان والاستفادة من ميوله المعنوية في هذا الاتجاه، وقد ترك هذا الاتصال اثراً ايجابياً.

في (بوخارست ومكسيكو ستي).

ولهذا فان مؤتمر القاهرة هذا يجب بالتأكيد ان لا يسمح مطلقاً ليتخذ ذريعة للاعتراف ببعض السلوكات اللااخلاقية وانسماط الشذوذ الجنسي والتحركات الموهنة للمقيم الدينية والمعنوية.

قبل الخوض في بعض القضايا التي هي مثار البحث في الوثيقة المقدمة لهذا المؤتمر لا بد لنا من التأكيد على الحقائق التالية:

اولاً: اننا اذا نحاول تنظيم التحرك السكاني في اطار من التوسعة المطلوبة علينا قبل كل شيء ان ننظر الى الانسان بكل ابعاده المادية والمعنوية ليكون تخطيطنا منسجماً مع فطرته الانسانية وموقعه من الكون، وفي هذا الصدد نعتقد ان هذه المشكلة الاجتماعية لم تسنشأ من مجرد النمو العشوائي للسكان فحسب بل نشأت ايضاً عن عدم الاستثمار الجيد لهذه الامكانيات، وانسماط الظلم في توزيعها. يقول القرآن الكريم وبعد ان يذكر النعم الالهية الكثيرة: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ

٦- الاتصال بالدول الاسلامية، وقد كان للباكستان افضل تعاون معنا في هذا

المجال.

٧- استغلال الامكانيات الكبيرة لوسائل الاعلام العالمية للاعلان عن الخطاب الاسلامي واعداد الارضية لاتخاذ المواقف اللاحقة.

الجدير بالذكر ان الاخبار والمواقف والتحليلات كانت تعرض بشكل يتناسب مع سير العمل.

### النتائج المهمة للنشاطات:

لتحقيق الهدف المنشود، بُذلت الجهود في الاتجاهات التالية:

#### ١- اصلاح الوثيقة:

١- الفصول المتعلقة بالمقدمة والمبادئ: رغم معارضة الدول الغربية، اضيفت، بضغط من الدول الاسلامية وبعض دول اميركا اللاتينية، فقرات جديدة في المقدمة وبداية فصل المبادئ، مفادها ان تنفيذ هذه الوثيقة ينبغي أن يعتمد على اساس مبدأ سيادة الدول والقوانين الوطنية والقيم الدينية والثقافية والاخلاقية.

٢- «عبارة الفحشاء الاجبارية»: احتجت الجمهورية الاسلامية على استخدام عبارة الفحشاء الاجبارية في الفصل الرابع، واكدت على ان الدول يجب ان تضع حداً لاستغلال النساء والاطفال بالفحشاء، وطالبت بحذف كلمة الاجبارية قبل كلمة الفحشاء، لكي يشمل جميع حالات الفحشاء.

وقد تمت المصادقة على هذا الاقتراح رغم معارضة بعض الدول الاوربية كهولندا والنرويج، واستبدلت عبارة الفحشاء الاجبارية، بعبارة «الاستغلال عن طريق الفحشاء».

٣- المفاهيم المختلفة للأسرة: عارضت الجمهورية الاسلامية استخدام مصطلح «المفاهيم المختلفة للأسرة» (Various Concepts)، بمساندة بعض الدول، وتمت الموافقة على اقتراحها في استبدال مصطلح «اشكال» (Forms) عوضاً عن «مفاهيم» في الفصل الثاني والفصل الخامس للوثيقة. ومن اللازم أن نوضح هنا انه استخدمت وبشكل ضمني عبارة الاشكال المختلفة للأسرة في

كقار». «سورة ابراهيم آية ٣٨».

ثانياً: ان ملاحظة الواقع الانساني عبر التاريخ وما تقررته الشرائع الالهية في نظرياتها الاجتماعية، تؤكد ان الكيان العائلي يشكل حجر الزاوية في البناء الاجتماعي، وأن اي تحرك يوهن من استحكامه او يطرح لايجاد بديل عنه يشكل ضربة للمسيرة الانسانية الاصيلية. ولكن هذا لا يعني مطلقاً ان لا نلجأ الى تنظيم هذا الكيان بالاساليب المشروعة، فذلك جزء من تحكيمه وتوجيهه.

ثالثاً: ان للمرأة باعتبارها نصف المجتمع الانساني دورها الاساسي في صياغة البناء الاجتماعي والسياسي، ويجب بكل تأكيد ان تلعب دورها بكل ثقة مصونة من اي استغلال او حط لكرامتها او امتحان لإنسانيتها.

رابعاً: ان اية خطة واقعية لاقامة تنمية مستقرة لا يمكنها ان تتغافل عن دور القيم الاخلاقية والعقيدة الدينية في تحكيم اسس التنمية والاشباع المتوازن لمطالبات الانسان باعتباره محور الاعمار، فلا بد ان من التأكيد على هذه القيم والعمل

على دعمها ونفي كل ما يناهيا.

خامساً : ان مبدأ التساوي الانساني في امكانية الاستفادة من الخيرات الطبيعية وهي هبة الله تعالى ليدعونا جميعاً للعمل على ازدهار القدرات البشرية وملء الهوة بين الدول الغنية والفقيرة وعلى المستوى العالمي.

سادساً : ان مبادئ حقوق الانسان كما تقرها الوثيقة العالمية والوثائق الاخرى كالوثيقة الاسلامية يجب مراعاتها بشكل دقيق، الا ان من الطبيعي التأكيد على انه لا يحق لاية دولة او مجموعة ان تحمل مفهومها عنها على الاخرين او تحاول الاستهانة بالقيم الثقافية والدينية التي يحملونها بذريعة فهمها هي، بل يجب الوصول الى تعريفات مشتركة مقبولة يمكن من خلالها تشخيص الحقيقة دونما اي تحميل ولتكون الوثائق ومن بينها وثائق المؤتمر العالي معتمدة عن بصيرة ودقة لتفادي التفسيرات المختلفة.

بهذا الصدد اشير الى بعض الموضوعات المثيرة للنقاش في الوثيقة المقدمة

الفقرات التالية للوثيقة حول الأسر التي تتكون من والد واحد، والأسر الممتدة «ذات الاجيال المتعددة» والمنقطعة «ذات المرحلة الواحدة».

٤ - استخدام مصطلح الافراد مقابل الازواج: استخدمت الفقرات المختلفة للوثيقة مصطلح «الافراد» (individuals) مقابل مصطلح «الزوجين»، وصرحت بحقوق الافراد في اختيار عدد ابنائهم والفترة الزمنية الفاصلة بينهم. وبالرغم من ان هذا المصطلح وعباراته استخدمت منذ سنة ١٩٧٤م (مؤتمر بخارست) في القرارات الدولية بشكل مستمر، لكن الجمهورية الاسلامية طالبت بحذف كلمة «الافراد» لما تحتمله من تفسير سيئ. اما البلدان الاسلامية الأخرى فلم تكن تتحسس من هذا المصطلح، وتستدل على عدم ضرورة الضغط لحذف هذه الكلمة بلحاظ الفقرات الاولى في فصل المبادئ التي نصت على تنفيذ قرارات المؤتمر في حال مسايرتها للقوانين الوطنية والقيم الاخلاقية والدينية وغيرها.

على صعيد آخر - اصرت دول الغرب وبلدان اميركا اللاتينية على استخدام كلمة «الافراد» على اية حال، وبعد اربعة ايام تقريباً من البحث والنقاش والضغط وافقت الجماعة الاوربية واميركا على اقتراح الجمهورية الاسلامية القاضي بأن يقرأ رئيس اللجنة الرئيسية نصاً في الجلسة الختامية للمؤتمر. ثم اعد النص باتفاق الطرفين وفيه اشارة الى اعتراض بعض الدول ازاء كلمة «الافراد»، واوكل تفسير هذه الكلمة الى الحكومات حسب قوانينها الداخلية وقيمها الدينية والاخلاقية ومبادئ حقوق الانسان.

٥ - سائر اشكال الاقتران (Other Unions): في مقطعين من الوثيقة استخدم مصطلح سائر اشكال الاقتران مقابل كلمة الزواج. وبما ان الابهام يلف هذا المصطلح، ويمكن ان يطلق على الشذوذ الجنسي ايضاً، فان الجمهورية الاسلامية اصرت على حذف هذه الكلمة من نص الوثيقة ولقيت تأييداً من مصر، بينما كانت الدول الغربية وبلدان اميركا اللاتينية تعتقد ان هذا المصطلح يطلق على الزواج المدني (Common Law Marriage) او الحياة المشتركة بين رجل وامرأة دون اجراء عقد الزواج. واخيراً، وبعد ثلاثة ايام من النقاش حذفت الاشارة الى سائر اشكال الاقتران من نص المقطعين.

٦- الاجهاض: كان موضوع الاجهاض احد اكثر مواضيع المؤتمر اشارة للنقاش، حيث خصصت له مجموعة عمل صغيرة واصلت اعمالها على مدى يومين كاملين. وغطت اخبارها الى حد كبير سائر الاخبار المتعلقة بالاجتماع. وقد طالبت اكثر الدول الغربية وبعض البلدان الافريقية وبلدان اميركا اللاتينية الاعتراف رسمياً بالاجهاض، بينما عارضت الدول الاسلامية وخاصة الجمهورية الاسلامية وبعض دول اميركا اللاتينية (خمس دول في اميركا الوسطى بالاضافة الى الأرجنتين وبيرو) والفاتيكان قضية الاعتراف بالاجهاض معارضة شديدة. واخيراً وبعد يومين من البحث اعد نص بالاتفاق بين الجمهورية الاسلامية ومصر والباكستان والجماعة الاوربية واميركا، ونال تأييد البلدان الكاثوليكية في اميركا اللاتينية بعد اجراء بعض الجرح والتعديل عليه، وتمت المصادقة عليه، فيما اعلن الفاتيكان تحفظاً عليه، ومن اهم فقرات هذا النص هي:

أ- منع استخدام الاجهاض كاسلوب لتنظيم الاسرة وفي مختلف الظروف.

ب- ضرورة الحذر من الاجهاض غير الآمن (Un safe) (اي الاجهاض الذي يجريه شخص غير متخصص، او الاجهاض الذي يتم في ظروف لا يتوفر فيها الحد الأدنى من الشروط الصحية).

ج- الارتقاء بكيفية خدمات تنظيم الأسرة للحد من الاجهاض.

د- ضرورة تقديم استشارات مخصصة للنساء اللواتي حملن دون رغبة منهن.

هـ- إعطاء الاولوية لمنع الحمل غير المرغوب به للحد من الاجهاض.

و- يوكل امر اي اجراء قانوني بخصوص الاجهاض الى الانظمة التشريعية للبلدان.

ز- لو كان الاجهاض لا يخالف القانون، فيجب ان يكون اجهاضاً آمناً.

ح- ضرورة تأمين استشارة سريعة بعد الإجهاض، بالتثقيف وتقديم خدمات تنظيم الاسرة لمنع تكرار الاجهاض.

٧- التثقيف الجنسي للأطفال والاحداث: انتقدت الجمهورية الاسلامية وبشدة المقطع ٧- ٣٥ الذي كانت قد وافقت عليه لجنة الاكتفاء الذاتي التمهيدي في نيويورك، لان هذه المادة طالبت الدول بتقديم معلومات جنسية للأطفال والاحداث

لهذا المؤتمر والتي دارت حولها مناقشات مفصلة في جلسات اللجنة التمهيدية:

١- مسألة الاجهاض:

هذه المسألة امر حساس تعارضت فيها التقييمات فهي من وجهة نظر كل الاديان الالهية امر مرفوض كما انها محل تشكيك جدي من الزاوية الاخلاقية والانسانية .. وربما شكلت نقطة تعارض بين حق الحياة وحرية الاختيار. ان موقفنا المستمد من تعاليم الاسلام السامية يؤكد على حماية حق الزوجين في اختيار العدد المطلوب من الاولاد وتعيين فواصل الولادة بينهم شريطة عدم الاعتداء على حق الجنين منذ انعقاد نطفته ومن خلال عملية الاجهاض.

وكما تطمنون قان حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية قد نفذت برامج لتنظيم العائلة ونفذت سياسة السيطرة على المواليد بشكل فعال أدى الى نتائج موفقة.

٢- الصحة الجنسية والجناسية:

لما كانت هناك تفسيرات متفاوتة لهذا المصطلح بحيث يمكن ان يحاول البعض من المجتمعات القيام بعملية الاجهاض تحت هذا العنوان

منذ السنوات الاولى بما ينطبق مع معاهدة حقوق الطفل. وبعد ساعات من البحث والنقاش، ومعارضة بلدان الجماعة الاوربية واميركا تم حذف الاشارة الى مصطلح الاطفال من النص، واستبدال مصطلح «في السن المناسبة» بدلاً من «منذ السنوات الاولى».

كما طالب المقطع ٧-٤٣ الدول المبادرة الى تثقيف الاحداث جنسياً وتأمين الخدمات والاشراف الجنسي والحمل لهم. وقد عارضت كل من الجمهورية الاسلامية ومصر هذا المقطع، وجرت محادثات بين مصر والجمهورية الاسلامية وكندا للوصول الى اتفاق بهذا الشأن، واعد اخيراً نصاً يشير الى حق الابوين وضرورة اشرافهم، ويؤكد على احترام القيم الدينية والاخلاقية للمجتمعات، وجعل التثقيف هدفاً (ومنه منع انتشار الامراض الجنسية والاستغلال الجنسي). ومن جهة أخرى ألحقت كلمة «المناسب» بكلمة «التثقيف» ليكون باب تفسيرها مفتوحاً امام كل بلد.

كما كانت هناك اشارة في هذا الفصل (الفصل السابع) الى ضرورة تأمين وسائل منع الحمل للاحداث الذين تربطهم علاقة جنسية، وقد تم حذفها بطلب من الجمهورية الاسلامية.

٨- الحقوق الجنسية: في المقطع ٧-١، تم عرض تعريف غير مناسب للصحة الجنسية والحقوق الجنسية، بسبب مشاكل كثيرة، وقد ألغي القسم الاعظم من سلبات التعريف المذكور باقتراح من الجمهورية الاسلامية، وأدغمت الصحة الجنسية ضمن تعريف سلامة الحمل، ثم حذفت الاشارة الى الحقوق الجنسية من نص الوثيقة. كما حذفت ثلثا الحالات التي اشير فيها الى الصحة الجنسية (٧٩ حالة) من الوثيقة. ويلزم بنا ان نوضح ان الحالات التي أبقى عليها هي تلك التي تشير فقط الى الصحة الجنسية في مجال الوقاية من الامراض الجنسية والايذز على وجه الخصوص.

هذا، ويعتبر هذا الاتفاق من اهم المكاسب الايجابية.

٩- تنظيم الاخصاب (Fertility Regulation): اشارت مسودة الوثيقة (١٢) مرة تقريباً الى مصطلح تنظيم الاخصاب. وبما ان تعريف منظمة الصحة العالمية

فان من الطبيعي ان نرفض ذكر هذا المصطلح واشباهه دون ان يذكر تعريف مقبول يمنع من حصول الآثار السيئة المشار اليها.

٣- التثقيف وتقديم معلومات الصحة الجنسية والتناسلية: ان تثقيف الشباب بمعلومات الصحة الجنسية والتناسلية يمكن ان يلعب دوراً مهماً في مجال التثقيف الصحي العام، وصحة الامهات وتنظيم العائلة وكذلك الامراض التناسلية المعدية ومعدلات الوفيات. ان وقد بلادي اذ يدعم فكرة التثقيف الصحي الجنسي والتناسلي - بملاحظة هذه الحقيقة - ليعتقد بان المادة التثقيفية ونوعية التثقيف بملاحظة المتعلمين فيه يجب ان يتم اختيارها بدقة ليتمكن تجنب العواقب التعليمية الخطيرة التي قد تترتب عليها ان لم ينتخب الظروف والعمر المناسب. لذا فناننا نعتقد بان نشر هذه المعرفة بين الاطفال والمراهقين تؤدي الى مفاسد كثيرة يجب تجنبها، ومن هنا فنحن نرفض ذلك بقوة. إلا ان يتم عبر الوالدين ولههدف الوقاية من الانحرافات الاخلاقية والاعتلال الجسمي،

أما الممارسات الجنسية  
فيجب أن تنحصر في مجالات  
الزواج المشروع لا غير.  
٤ - المصادر المالية  
الدولية:

ان الوصول الى تحقيق  
اهداف البرنامج العملي يلقي  
على كاملنا وإجياً ثقيلاً، ذلك  
ان هناك فجوة واسعة بين  
الاقطار النامية والاقطار  
المتقدمة في مجال المعايير  
الصحية، ان معدلات الوفيات  
بين الامهات في الاقطار  
النامية قد تبلغ أضعافها لدى  
الدول المتقدمة.

ورغم ان اقطار العالم  
الثالث تجهد في تحقيق اشباع  
لحاجاتها الضرورية الا ان  
حاجاتها المالية لتنفيذ  
برامجها العلمية تفوق طاقاتها  
الوطنية، وبعبارة ادق فان قلة  
الموارد العادية فيها الناشئة  
من ظروفها الاقتصادية  
الدولية غير المناسبة، تجعل  
توفير المصادر الوطنية امراً  
صعباً للغاية، مما يؤدي الى  
استبعاد اماكن التنفيذ الكامل  
والسريع لبرامجها العملية  
لعدم تأمين المصادر المالية  
المطلوبة والمستمرة.

ومن هنا فان المطلوب  
من هذا المؤتمر ان يتم فيه  
اعلان تعهدات مالية تتناسب  
وسعة النشاطات المأمولة

لتنظيم الاخصاب الذي أعلن سنة ١٩٩٠م اشار الى الاجهاض باعتباره احد اساليب  
تنظيم الحمل، فانه كان من الصعب جداً الاتفاق حول هذا المصطلح. ففي الوهلة  
الاولى طالبت الدول الغربية والافريقية ادخال تنظيم الاخصاب في الوثيقة، لانها  
كانت تعتقد ان سائر اساليب تنظيم الاخصاب سوى الاجهاض ضرورياً لتأمين  
سلامة الامهات. ولحل هذه المشكلة تم الاتفاق على الاتيان بعبارة «التي لا  
تعارض مع القانون» بعد مصطلح اساليب تنظيم الحمل. وقد حل هذا الاقتراح  
مشكلة البلدان الاسلامية، بينما بقيت المشكلة قائمة عند الفاتيكان وعدد من الدول  
الكاثوليكية في اميركا اللاتينية حول مصطلح «تنظيم الاخصاب». واخيراً وبعد  
ساعات من النقاش جرى الاتفاق على اقتراح الجمهورية الاسلامية القاضي باجراء  
تعديل جزئي في المصطلح المذكور بالشكل الذي لا يدخل ضمن تعريف منظمة  
الصحة العالمية، بعبارة ادق استخدمت عبارة «Far regulation of fertility»  
بدلاً من مصطلح «Fertility Regulation».

تعليق رئيس وفد الجمهورية الاسلامية الايرانية في الجلسة الختامية للمؤتمر  
وفيه سجل الملاحظتين الاتيتين:

اولاً - هذه الوثيقة رغم ما فيها من ايجابيات لم تاخذ بعين الاعتبار حقيقة مهمة  
الا وهي دور المعتقدات والنظم الدينية في تعبئة الطاقات لصالح قضية الاعداد  
والتنمية المستمرة، ويكفي ان نعرف ان الاسلام مثلاً يوجب على كل مسلم ان يقوم  
بسد الاحتياجات الضرورية للامة مهما استطاع فاذا قصر في ذلك اثم، ويوجب  
شكر النعم باستثمارها خير استثمار، كما يوجب العدالة والتوازن الاجتماعي  
بالاضافة للنظام التربوي الاسلامي وتاكيد على ضرورة تشكيل العائلة الصالحة،  
فقد كنت اتمنى ان نعطي الموضوع حقه كما اعتقد ان على الامم المتحدة ان تتابع  
في مسيرتها تقوية هذه الوثيقة معنوايا عبر بعض الندوات العالمية.

ثانياً - لقد سمعنا بجد للوصول الى توافق في الاراء وابدينا المرونة المطلوبة  
في هذا الشأن دون أن نخل بالمبادئ، وقد كان لتعاون الدول الاسلامية فيما بينها  
وكذلك تعاونها مع الدول الاخرى الاثر البالغ ولكن ما زالت في هذا النص ثغرات  
نسجل تحفظنا تجاهها ومن اهمها:

١ - موضوع العلاقات الجنسية خارج اطار الزواج، فهناك فقرات يبدو منها السماح بذلك ولكنه امر يخالف الشرائع كلها فالأتين بعبارة الافراد الى جانب عبارة الازواج والحديث عن الترويج للسلوك الجنسي المأمون بما في ذلك العفة الطوعية واستخدام الرفال بين المراهقين كما في البند (٨ - ٣١) يتتبع مثل هذا السلوك المرفوض بتاتا.

٢ - نحن نعتقد ان عملية التثقيف الجنسي للمراهقين انما يمكن ان تؤتي ثمارها اذا كانت بمادة مناسبة ومن قبل الابوين وبهدف الحفاظ عليهم من الوقوع في الانحرافات الجنسية او الامراض الفيزيولوجية.

٢ - طرح المواقف التقدمية للجمهورية الاسلامية:

كانت للجمهورية الاسلامية مواقف تقدمية تماماً في الكثير من المواضيع المطروحة، ومنها:

أ - الحقوق السياسية والاجتماعية للمرأة: تم تبين دور المرأة في الثورة الاسلامية والتركيبية الاجتماعية والسياسية لها في الجمهورية الاسلامية في خطاب الوفد وفي اللقاءات وكلمات الاخوات الاعضاء في الوفد او ممثلي المؤسسات الاسلامية الايرانية غير الحكومية التي القيت في الاوساط المختلفة وفي اللقاءات الصحافية. وقد كان للاخوات المتخصصات اللواتي شكلن نصف الوفد دوراً يستحق الثناء، فلهن الشكر الجزيل والتقدير الجميل.

ب - في مجال تنظيم الاسرة: تم طرح برنامج الجمهورية الاسلامية والنجاح الباهر الذي حققته في هذا المجال، وذلك في خطاب الوفد، ولقاءات الاعضاء المتخصصين بالوفد مع وسائل الاعلام، وكذا من خلال اقامة معرض تخصصي وتوزيع كراس خاص بذلك.

ج - تم طرح برامج الجمهورية الاسلامية فيما يتعلق بتنظيم امور المهاجرين.

٣ - القيام بدور قيادي اسلامي في المؤتمر:

بلحاح وجود عالم دين معروف على رأس وفد الجمهورية الاسلامية، فمن الطبيعي ان تتجه الانظار نحو هذا الوفد. في مثل هذه الارضية، بدأ الوفد نشاطه في تعبئة البلدان الاسلامية مستفيداً من تعاون مصر والباكستان واندونيسيا

لكي نضمن نجاحه في مساعده. وعلى اي حال فيجب ان لا تترك هذه التعميدات المالية مطلقاً أثرها السلبي على تقليل المصادر المالية لسائر نشاطات التنمية.

وأود هنا ان اشير باختصار الى السياسة والبرامج السكانية للجمهورية الاسلامية الايرانية.

فخلال العقد الذي يبدأ بعام ١٩٧٦م واجه بلدنا معدل نمو سكاني لا سابقة له حتى بلغ مستوى ٢,٩٪ وذلك نتيجة عدم وجود برنامج منسجم لتنظيم العائلة، وهبوط مهم في معدل وفيات الاطفال من ١٠٠ في الالف الى ٣٥، ودخول سيل من المهاجرين من الاقطار المجاورة. فكان هذا النمو الجامح للسكان - في هذه الظروف - سبباً لقلق الحكومة مما جعل مسألة السياسات السكانية كاحدى اولويات الخطة الخمسية الاقتصادية والاجتماعية للبلد والتي بدأ تنفيذها منذ عام ١٩٨٩م وكانت محاور سياستنا السكانية على النحو التالي:

□ اعادة النظر في القوانين والمقررات المغايرة لسياسة تنظيم العائلة.  
□ الارتفاع بمستوى



نشاطات محور الامية  
وخصوصاً من خلال توفير  
امكانيات تعليم النساء، وتقليل  
معدلات وفيات الرضع  
والاطفال عبر توسعة  
الخدمات الصحية الاولى.  
□ تيسير مشاركة النساء  
في النشاطات الاقتصادية  
والاجتماعية والسياسية.  
□ تحسين كيفية خدمات  
تنظيم الاسرة وسعتها من  
خلال التعليم والاستفادة من  
الوسائل المأمونة لمنع من  
الحمل.  
□ التأمين المجاني مع  
تسهيل الحصول على  
الوسائل المتنوعة لمنع من  
الحمل في كل انحاء البلاد.  
□ تشجيع المشاركة  
الايجابية لوسائل الاعلام في  
هذه النهضة الثقافية.  
□ تقوية التنسيق بين  
البرامج السكانية المتنوعة.  
□ الاستفادة من  
الدراسات الميدانية لغرض  
رفع نوعية برامج تنظيم  
الاسرة.  
□ توسيع الدور  
الثنائي والمتعدد الجوانب  
خصوصاً مع مؤسسات الامم  
المتحدة وبرامجها.

وماليزيا، وكوّن بعد جهد كبير مجموعة اسلامية في المؤتمر حظيت بتعاون بقية البلدان معها.

ويعتبر غياب عدد من الدول الاسلامية، وخوف البلدان العربية من غضب اميركا والغرب، وعدم وجود عناصر دينية فعالة في الوفود، وعدم معرفة نقاط ضعف الوثيقة بالصورة المطلوبة، من اكبر موانع ايجاد مجموعة اسلامية متكاملة.. على اية حال، فاننا عاتبنا الدول الاسلامية التي لم تتعاون معنا في هذا المجال.

#### ٤ - استغلال الامكانيات الاعلامية:

ربما لم يستغل وفد من الجمهورية الاسلامية في اي مؤتمر الامكانيات الاعلامية المتوفرة كما استغلها وفدنا في هذا المؤتمر. فقد كان الوفد مستعداً في كل لحظة لاجراء لقاء مع وكالات الانباء والمجلات ومحطات الاذاعة والتلفزيون، وبالفعل فقد اجري عدد كبير من هذه اللقاءات انعكست على المستوى العالمي. وكان انعكاس انباء النشاطات بمستوى جيد أو ممتاز في جميع البلدان، ادى الى اعتزاز انصار الثورة وافتخارهم بحيث وصلتنا عدة برقيات تهنئة الى مقر الوفد في القاهرة.

#### ٥ - تعزيز العلاقة مع الشعب المصري:

اللقاءات المذكورة في الفقرة الرابعة كوّنت علاقة طيبة بيننا وبين الشعب المصري، فقد كان الجميع يتحدث عن نشاطاتنا، واجرت معنا الكثير من الشخصيات المعروفة اتصالات هاتفية، والتقينا بشيخ الازهر ومفتي مصر والامام الغزالي والسيد فهمي هويدي والسيد سليم العوا والسيد الشاوي، اذ قامت وسائل الاعلام بنقل تفاصيل محادثاتنا مع هذه الشخصيات، الامر الذي سُرّ له الكثير من الناس. واحتشدت الجماهير للقاء بالوفد الاسلامي الايراني حينما علمت بمشاركته في صلاة الجمعة في مسجد رأس الحسين عليه السلام، وقد نقلت الصلاة في محطة الاذاعة والتلفزيون المصرية، وبثت في كل مصر، واعرب الشيخ فرحات امام الجمعة عن تقديره لحضور الوفد في صلاة الجمعة، وتطرق الى ذكر فضائل الامام الحسين عليه السلام، ووجهت لنا الدعوة بعد الصلاة لاجتماع حضره عدد من الوزراء

وبعض اعضاء المجلس ومجموعة من العلماء المصريين، ونظموا لنا جولة لزيارة الآثار المتبقية عن رسول الله ﷺ (سيفه، وشعرة من ذقنه المبارك، وميل كُحلتها).  
٦ - مباحثات مع المنظمات الدولية:

عقدت عدة اجتماعات مع رؤساء المنظمات التالية:

١ - صندوق السكان والتنمية الدولية.

٢ - منظمة الصحة العالمية.

٣ - صندوق النقد الدولي.

واجريت مباحثات ببناءً للتعاون مع هذه المنظمة ودعم مشروع تنظيم الأسرة، وحصلنا على وعود ايجابية مفيدة.

٧ - تعزيز الارتباط مع المنظمات غير الحكومية (NGO):

اوكلت مهمة هذه الفقرة من البرنامج الى الاخوات الاعضاء في الوفد، حيث قمن باجراء اتصالات كثيرة في هذا المجال. اتسمت هذه الاتصالات باهمية بالغة نظراً لأهمية هذه المنظمات وكثرة حضور ممثلها (اكثر من الف منظمة).

### اقتراحات:

اخيراً، نقدم الاقتراحات التالية:

١ - ضرورة بذل المزيد من الاستعدادات واعداد منهج عمل قوي للحضور في المؤتمرات الدولية المماثلة.

٢ - من المناسب الطلب من الامم المتحدة رسمياً بعقد اجتماعات دولية لرفع النقائص المعنوية في الوثيقة، ومنها: دراسة دور الدين في تكوين الانسان الصالح والاسرة الصالحة، والتوفر على نهج ثابت ومستقر.

٣ - ومن المناسب ايضاً الطلب من منظمة المؤتمر الاسلامي رسمياً لعقد ندوات واجتماعات مهمة لطرح الموقف الاسلامي من قضية السكان والتنمية.

٤ - كما ان من المناسب ان تبادر مجموعة من المفكرين والمختصين الاسلاميين لاجراء دراسات وبحوث متتابعة في هذا الاطار، ونشر نتائج دراساتها على هيئة مشروع متكامل.

وكما ان نتائج هذا البرنامج مشجعة جداً فقد هبط معدل النمو السكاني خلال ثلاث سنوات فقط من بدء التنفيذ الى مستوى ٢,٤٢. كما ان الاحصاءات تشير الى انه عبر تنفيذ هذا البرنامج في عامي ٩٢ و ٩٤ هبط مستوى النمو السكاني ووصل الى ١,٨. ومن الجدير بالذكر ان هذا الهبوط تم رغم سياسة تشجيع الشباب نحو الزواج. ارى هنا من الضروري ان اشير الى الدور الفعال للنساء في تحقيق النجاح لبرنامج تنظيم الاسرة في الجمهورية الاسلامية الايرانية الامر الذي لم يكن ليتم لولا هذا الدور الفعال.

قصيدة

فنون وآداب

# الوحدة

أحمد فرج الله

(العراق)

ربما تكمن السعادة وراء الحقائق المرّة.

الليل .. عالم غريب تُقَادُ به ثلة من الارواح الى واحة الطمانينة  
والاحلام. وبعضها يحمل على سفن اليأس لتعموم به الاقدار في بحار الغربة  
والضياع. عالم له لون الوحدة وطعم الصمت، وليس فيه سوى رائحة السكون. ففي  
كل مساء، يُرْخي سدوله على اطراف تلك المدينة ليُلبسها ثوب الوحشة والدموع،  
ويغطيها بمخالبه السوداء، مخلفاً برده القارس ليتسلل فيهمز المتسكعين الى  
رحمة أوكارهم. ويلاحق المتسولين وحفاة الليل...

تأومت الرياح بين المساكن تعبثُ بشُجيراتِها، تاركة وراءها صدئ أنغام تقطّع  
أوتار الصمت، فلا شيء يوحى بالحياة ... حتى المدينة تبدو وكأنها مقبرة  
مهجورة، طوتها السنون في نكريات الزمن الغابر..

ثمة صوت غريب، ما كان في حساب الليل أن يشق صمته الى نصفين،  
يتصاعد من بيت فقير، تهتز لنبرته الخضراء أركان الحانات فتُرْعَب أشباح  
الخمرة..

-أبي ... أبي ... اريدُ أبي.

صبي في عمر البراءة، قد شربت الاحزان كؤوساً من وجنتيه حتى ارتوت،  
يجلس في زاوية قرب جدار هرم، يعلوه سراج ضعيف يكسر ضوءه على صورة

مكتوب فيها: ﴿وَأَضْبِرْ لَهُمْ رِجْلَكَ مِنْهُنَّ لِئَلاَّ يَكُونَ لَهُنَّ كُنَافَتُهُنَّ﴾ تتراعى وكأنها سفينة تتقاذفها الامواج على سواحل التيه...

صرخات تخترق جدران المدينة لتعكّر شخير الموتى، فتوقظ على أثرها امرأة منحنية على كومة صوف عتيقة..

- ولدي ... ولدي ... ما بك يا حبيبي؟

- اماه .. أين ابي؟ .. اريد ابي!

سحب من الدخان الغليظ تتصاعد فتملأ جو الغرفة بآلاف من الاسطة عن رجل غاب منذ سنين ولم يعرف مصيره أحد.

تختنق المرأة بصدى الصوت الذي لم تسمعه بهذه النبرة، فينتابها إحساس بثقل خطاها ... وبيطء .. تتقدم لتضمه بين ذراعيها، وبحسرة ملؤها حيرة وعطف:

- إنه في سفر يا بني.

- ومتى يعود يا أمي؟ .. أما سئم من الغربة؟

تضمه إليها أكثر ... تمسح على رأسه .. تُقبل ما بين عينيه ...

- سيعود إن شاء الله عن قريب!

- ولكن ... ولكن يا أمي .. جارنا يسافر ويرجع بعد مدة، حتى عصافير شجرتنا

إنني أراها تخرج في الصباح وتعود قبل المغيب، لكن أبي ..! أليكون قد نسينا يا أمي؟

تأخذ نفساً عميقاً تطلقه، يمرح في فضاء البيت، يتلاشى شيئاً فشيئاً، منذ أكثر

من عشر سنوات لا تعلم مصير رجل صرغ بوجه الظلام من أجل الشمس وحرية

النوارس .. أين؟ متى؟ .. لماذا؟ .. أسئلة مثقلة بأعباء السنين، تجول في فكر المرأة،

تتحول بعدها الى رماد.

يسود الصمت للحظات ... بكاء وشهقات دفينة تنظر وتتألم على ذلك المصير

المجهول:

- نَم يا بني .. فالبرد يشتد في آخر الليل.

يتناوب الصبي، فتنبعث منه رائحة الوحدة، عرفت أمه أن النعاس بدأ يدب في

مفاصله كدبيب الليل في جنح النساء.

سكنت الرياح وفرشت حقائبها لتجمع ما خلفته من حطام، حتى مخابل الليل  
سمعت أقدام الفجر قادمة فعزمت على الرحيل..

تنفس الصبح، وأشرقت الشمس، وبدأت قطرات الندى تتراءى فوق شجيرات  
الصنوبر، ورائحة الغابات تهاجر إلى أديم السماء. هو الآخر ذلك اليوم ولد ليموت  
ويطوى في سجل النسيان.

طرقات لم تسمع من قبل، تحول بين المرأة وأحلامها فتفزعها ... منذُ زمان لم  
يطرق الباب غير أكف الرياح فمن يا تُرى؟ .. مَنْ يختفي وراء هذه الخشبة المنسية؟  
- مَنْ .. مَنْ ..؟؟

- أنا أنا ... حامل بريد.

- بـ .. بـ .. بريد ..

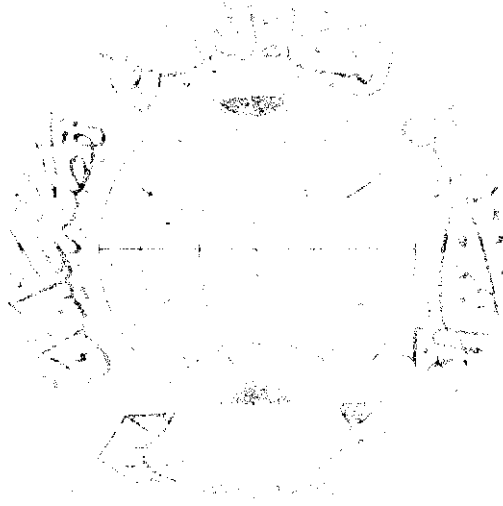
كلمة لا مكان لها في قاموس الكلمات .. من أين جاءت؟ .. ومتى ولدت؟  
- افتحي الباب .. قلتُ لك؟ بريد!

ترفع العمود المتآكل بالعتة لتعرف ربما الأمل!

ثمة شيخ كبير يلبس جلباباً من الصوف، يتكئ على عصا، في وجهه سكن عالم  
آخر ... هي لم تره .. ولم تعرفه ... يمد يده إلى جلبابه ليخرج ورقة يودعها إلى  
المرأة ويذهب دون أن يتكلم.

تزداد الدهشة .. ربما أخطأ هذا المعجوز العنوان ... ولكن بغير شعور تفتح  
الورقة ثم تحتضنها فتتساقب الدموع على عبارات من النور الأبدي لوصية  
الفراق.





من انباء القرى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في  
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير. «التحرير»

#### □ الجمهورية الإسلامية هي إيران

كشف السيناريو الإعلامي  
الصهيوني الغربي الجديد  
الرامي إلى إيجاد ارتباط بين الجمهورية  
الإسلامية في إيران وحوادث انفجارات  
بوينس آيرس ولندن عن أبعاد واسعة  
للأهداف والبرامج الصهيونية المعادية  
لايران الاسلام. حيث يسعى الكيان  
الصهيوني منذ نهاية الحرب المفروضة  
من قبل العراق على إيران لزعجها في أزمة  
دولية خطيرة. وفي هذا المجال حاول  
الكيان الصهيوني خلال الاعوام الأخيرة  
أقحام إيران والمجاهدين المسلمين الذين

تربطهم بها علاقات إسلامية صميمية في  
أي أزمة ومشكلة تحدث في العالم.  
وقد كُشِفَ النقاب عن هذا المخطط  
الصهيوني في العام الماضي، وذلك عندما  
أجرت محطة «CBS» الاميركية مقابلة  
تلفزيونية مع الدكتور «اسرائيل شاهاك»  
الاستاذ المتقاعد في جامعة «هيرون»  
شرح فيها الاستراتيجيات الجديدة للكيان  
الصهيوني في مواجهة الجمهورية  
الاسلامية، موضحاً أنه بذلت جهود  
إعلامية واسعة النطاق لإعداد الرأي العام  
في داخل اسرائيل وخارجها لتقبل افضل  
السبل لاحتباط الثورة الاسلامية أو

بكثير من خطر الوضع الذي سبق الحرب مع العراق.

ثالثاً: إقناع الدول بأن الهجوم على إيران ليس بالأمر الصعب، ويمكن بالتنسيق مع بعض البلدان العربية الخليجية لتهئية السبل اللازمة لشن حرب على إيران.

إن الكيان الصهيوني حاول بهذه الوسيلة وغيرها أن ينفذ الاستراتيجية المذكورة.

وقد بلغ هذا المخطط أوجه إثر انفجار مركز التضامن الإسرائيلي الأرجنتيني حيث أوغل المسؤولون الصهيانية وتبعهم مسؤولو الأرجنتين بكيل الاتهامات لإيران من دون تقديم أية وثيقة معتمدة، حتى بلغ الأمر بوزير الاسكان الصهيوني أن يدعو لإعلان الحرب على إيران؟!.

وقد تعزّت طبيعة هذه المحاولات الصهيونية - الاميركية لدى الكثير من الحكومات والشعوب التي اعربت بطرق مختلفة عن قلقها وشجبها لهذه المحاولات، وقد اتصل الكثير من الصحفيين والمراسلين الاحرار في العالم بالجمهورية الاسلامية وسفاراتها ومكاتبها الاعلامية والثقافية ليعلنوا عن وجود شواهد ودلائل كثيرة تفيد ان

اجتثاث جذورها الرئيسية في ايران. وقد تضمن هذا المخطط الذي تبنته المحافظ الصهيونية ايجاد اوضاع في ايران مشابهة لوضع العراق قبل هجوم الحلفاء عليه بقيادة اميركا. وورد في السيناريو المقترح انه اذا لم يمكن جرّ الجمهورية الاسلامية الى خوض حرب، حينئذ يتحتم الترويج والادعاء على الصعيد العالمي بمخاطر الدعم الايراني للارهاب الدولي، ويجب نسب جرائم الخطف والتفجير الى ايران، واستغلال وسائل الاعلام والاتصالات الكبرى في العالم للتأكيد على ان ايران من الخطورة بحيث لا تجارياها دولة اخرى.

وكانت صحيفة «معاريف» الصهيونية قد ادرجت في مقال لها في كانون الثاني من العام الماضي العوامل التي يتوقف عليها نجاح هذه الاستراتيجية وحصرتها في ثلاثة عوامل هي:

اولاً: أن يقال أن طلائع الجمهورية الاسلامية قد اخترقوا كل العالم وهم يتسللون الى أرجاء العالم كافة بغية تشجيع الارهاب الدولي والتدريب على العمليات الارهابية.

ثانياً: أن نقتنع العالم ان التهديد الايراني لمصادر النفط في الخليج أخطر

الصهاينة يهدفون وبالتعاون مع وكالة «CIA» لتدبير مؤامرات ودسائس جديدة ضد ايران الاسلام. وما دعم المناققين بكل قوة واحتضانهم في اكثر من دولة الا حلقة ضمن هذه الاستراتيجية، ان تحاول هذه الزمرة خلق فتنة طائفية داخل مجتمع الجمهورية الاسلامية من خلال القيام بتفجيرات تستهدف المراقدة المقدسة لاضرحة أهل البيت (عليه السلام) والقيام بتفجيرات في مساجد أهل السنة، وكذلك اغتيال القساوسة المسيحيين.

وقد كشفت المصادر المطلعة عن تنسيق صهيوني - ارجنتيني، فقد أثنى «روبن برخا» رئيس أحد المراكز الصهيونية في بوينس آيرس على «خوان خوزيه غاليانو» قاضي التحقيق في حادث تفجير الجمعية اليهودية في العاصمة الارгентينية، وأكد هذا الصهيوني انه طلب من القاضي لدى لقائه به ان يحتل ايران مسؤولية حادث الانفجار، وكان «اوين رافا» احد مسؤولي الكيان الصهيوني الذي عقد مؤتمراً صحفياً في وزارة العدل الارгентينية اتهم الجمهورية الاسلامية بالحادث دون ان يقدم اي دليل او وثيقة تثبت صحة مزاعمه، محاولاً بذلك تأليب الرأي العام. من جانب آخر عقد مسؤول

كبير في الاستخبارات المركزية الاميركية والذي يتولّى مهمة تنسيق الاعلام الاميركي الصهيوني المعادي للجمهورية الاسلامية عدة اجتماعات مع اجهزة الاعلام الارгентينية.

ويرمي الصهاينة والاميركان من خلال هذه الضجة تشويه سمعة المسلمين والجمهورية الاسلامية امام الرأي العام في دول اميركا اللاتينية، كما يعتبر منع حكومة بوينس آيرس وسائل الاعلام الارгентينية من عقد اي لقاء صحفي مع الدبلوماسيين الايرانيين استجابة للرغبة الاميركية - الصهيونية سابقة لا مثيل لها في تاريخ اميركا اللاتينية، أما ملف القاضي غاليانو فهو مليء بالتخبطات والمغالطات.

وقد وجهت وسائل الاعلام ستة اسئلة للقاضي «غاليانو» متسائلة عن السبب الذي جعله يعتمد في تنظيم تقريره على اقوال شخص قال عنه «غاليانو» نفسه بأنه من موظفي وكالة المخابرات المركزية الاميركية. وقد اعترفت صحيفة نيويورك تايمز بشكل صريح بأن القاضي الارгентيني ورغم اتهام اربعة مواطنين ايرانيين «دبلوماسيين» على اساس انهم ضالعون في الحادث، لم يقدم



وبدأت الصحف العالمية تسخر من مواقف الحكومة، ولم يجد وزير الخارجية الارجنطيني سوى القول اننا تصرفنا بشكل متسرع وذلك لنقص خبرتنا، وتعاملنا مع القضية بشكل متسرع ومرتبك، وكل هذا كان من الممكن ان لا يحدث، من جانبها تخلت اميركا عن الارجنطين بعد اعلان براءة الجمهورية الاسلامية، وصرح مستشار الخارجية الاميركية «غري سيك» بالقول بأن ربط ايران بحادث تفجير مقر الجمعية اليهودية خطأ ارتكبه الحكومة الارجنطينية.

\* \* \*

#### □ خلاصتين

اتهمت حركة المقاومة الاسلامية «حماس» ياسر عرفات بحماية الاحتلال الصهيوني بعد ان أمر باعتقال عدد من المسلمين في قطاع غزة. وجاءت هذه الاعتقالات في صفوف قيادات ومجاهدي حماس إثر تنفيذ كتائب عز الدين القسام عدة عمليات عسكرية ضد جنود الاحتلال الصهيوني ومستوطنيه في غزة والضفة الغربية المحتلة، وقالت حماس: ان عرفات وسلطته ارتضوا لأنفسهم ان

اي دليل على مشاركتهم في الحادث المذكور. من جهة اخرى وبعد تداعي الأدلة المتناقضة صرح الرئيس الارجنطيني «كارلوس منعم» «مسلم سوري الاصل تحول الى الكاثوليكية لأن القانون الارجنطيني لا يسمح بالترشيح الى رئاسة الجمهورية الا لمسيحي كاثوليكي» بأنه تسرع في اصدار الحكم على الدبلوماسيين الايرانيين الاربعة، وأن علاقات بلاده ستستمر مع الجمهورية الاسلامية مؤكداً أهمية إبقاء خطوط الاتصال مفتوحة مع ايران.

وقام بإرسال رسالة اعتذار الى حكومة وشعب الجمهورية الاسلامية التي قابلتها الحكومة الاسلامية بالقبول وعبرت عنها بالمبادرة الكريمة.

ومع الاتهام واسقاطه من قبل المحكمة العليا في الارجنطين على لسان «المدعي العام» الذي صرح بأن الارجنطين تعترف بعدم وجود دليل واحد ضد ايران، تكون الارجنطين قد وضعت نفسها في قضية لا تخدم مصالحها في العالم بل سارت في ركب السياسة الاميركية والصهيونية التي أعدت سلفاً لكل قضية شاهد زور ووسائل اعلام مختلفة، وقد فقدت الحكومة الارجنطينية هيبتها الدولية

الاسلامي والفصائل المعارضة على تصريحات ياسر عبد ربه بشأن نزع سلاح الفلسطينيين في غزة وأريحا، لكي تصبح عناصر الشرطة العرفاتية وحدها تحمل السلاح في المناطق المذكورة بالقول: إن أمن الشعب الفلسطيني لا يكون بحماية الاحتلال من عمليات الانتفاضة، وقرار سلطة الادارة الذاتية بنزع سلاح الانتفاضة خيانة وخطر داهم على واقع الشعب الفلسطيني ومستقبله، وإن اعتقال المسلمين الثوريين من قبل عرفات أمر عجزت اسرائيل عن انجازه، وما تقوم به سلطة عرفات يهدد بتقجير حرب أهلية داخلية طالما سعت اسرائيل لاشغالها بين أبناء فلسطين.

من جانبه أكد عرفات لشبكة «سدني» الاسترالية بأنه وكادر قيادته يخشون من مخاطر تنامي نفوذ حماس والجهاد الاسلامي. ورداً على سؤال الشبكة حول تصريحاته في «جوهانسبرغ» بشأن استمرار الجهاد، قال عرفات: انكم لا تعرفون معنى الجهاد، لان الجهاد لا يعني «القتال» فقط، وانما هناك جهاد روحي وجهاد مالي. عندها عرض التلفزيون الاسترالي فلماً عن الامام الخميني (رحمه الله) وقال المذيع: ان الجهاد الذي يفسره

يكونوا في خندق العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، ولن يغفر شعبنا لهم هذا الدور المشين، وإن هذه الاعتقالات لن تثني الإسلاميين عن مواصلة مقاومة جنود الصهاينة ومستوطنيهـم حيثما وجدوا.

كما نددت حركة الجهاد الاسلامي بالاعتقالات وعمليات التحقيق مع مجاهدي حركة حماس، ووصفتها بأنها إجراءات لا مسؤولة تقوم بها سلطة عرفات. وأكدت الجهاد الاسلامي أن الاحتلال ما زال مستمراً، وأن الصهاينة مازالوا متواجدين في غزة وأريحا، وأن حكومة عرفات خاضعة لاملاءات القادة الصهاينة، الذين لا يرون في هذه السلطة إلا جهازاً لحماية أمن الاحتلال. وأكدت الحركة استمرار مقاومة الاحتلال حتى يتم تحرير الارض الفلسطينية المقدسة من النهر الى البحر. كما أكدت الفصائل الفلسطينية المعارضة لاتفاق عرفات مع اسرائيل ان مثل هذه الاجراءات لها عواقب وخيمة، واعتبرت هذا الاجراء رضوخاً للارادة الصهيونية، كما ان الانتفاضة ستبقى عملاً مشروعاً وحقاً من حقوق الشعب الفلسطيني.

هذا وردت كل من حماس والجهاد

عرفات يختلف تماماً عما سمعه الجميع بهذا الشأن من الامام الخميني (رحمه الله). من جانب آخر أعلنت حماس والجهاد الاسلامي انهما ستقاطعان انتخابات ما يسمى بالحكومة الفلسطينية في غزة وأريحا، وان الاسلاميين لن يرشحوا أحداً في هذه الانتخابات ولن يدلوا بأي صوت لأحد، لأن المشاركة تعتبر قبولاً باتفاق غزة - اريحا الذي لا يتفق مع المعتقدات الاسلامية، وان اميركا والكيان الصهيوني خططا من خلال الاتفاق لايقاف الانتفاضة. وصرح عرفات انه يتعرض لعمليات إذلال من قبل «اسرائيل»، واكد للصحف الصهيونية أنه يشعر بالاحباط وان انفجاراً قد يحدث في أي لحظة، و اضاف: كل يوم نتعرض للاهانة، وهي اهانات تزداد قسوة كل مرة.

\* \* \*

#### □ الجزائر

ما تزال فرنسا تفكر بطريقتها الاستعمارية الخبيثة تجاه الجزائر المسلمة أو تحاول العودة إليها مرة أخرى، ناسية أو متناسية دماء مليون شهيد مسلم بذلوا ارواحهم في سبيل طرد

إن سجل فرنسا في الحكم الاستعماري في الجزائر وتدخلها السافر في هذا البلد يحرمها من أي حق في الاعتراض على الطريقة التي يفكر بها الجزائريون، وعلى الشعور السليبي الذي يحمله المسلمون أزاء فرنسا التي قامت بعملية «أمنية» تحققت خلالها من هوية «٢٥» ألف مسلم جزائري على أراضيها، ووضعت المئات منهم تحت تصرف الشرطة القضائية، الأمر الذي حظي بتأييد الحكومة الجزائرية، التي عجزت عن

كانت تريد إنهاء أعمال العنف، وصرح وزير خارجيتها لصحيفة «اللوموند» الفرنسية: «لا يمكن لحكومة لم تعد شرعية البقاء بفضل المساعدات الخارجية فقط».

\* \* \*

#### □ اهتمامات

ما تزال المرواحة الدموية التي تمرّ بها أفغانستان مستمرة منذ الإطاحة بالنظام الشيوعي في كابل حتى الآن، على الرغم من كل الوساطات التي حاولت إيقاف النزيف بين أبناء الشعب المسلم الذي أعطى دماء غزيرة من أجل كرامته وحرّيته، لكن المؤسف والمحزن أن أبناء أفغانستان ينتشرون بين الشغايا ورمصاص القناصة في مختلف المدن بحثاً عن رغبة الخبز والوقود. وقد تزداد الأمور تعقيداً بعد إصابة قلب الدين حكمتيار رئيس الوزراء ورئيس الحزب الاسلامي إثر القصف الجوي لمقرّه.

ونظرة من الداخل الافغاني تجعل المرء لا يستفاه كثيراً باحتمال انفراج قريب للأزمة. والتجارب الماضية العزّة أثبتت أنه لا يمكن أن يقوم في أفغانستان

حماية نفسها، وقامت بقتل الأجانب وإلقاء تبعة ذلك على الاسلاميين لتشويه صورتهم أمام الرأي العام العالمي.

وما زالت الحكومات الغربية تراهن على قدرة السلطات الجزائرية على الصمود في وجه الاسلاميين، وتتخذ هذه الحكومات وعلى رأسها أميركا وفرنسا والغرب الموالي لأميركا والكيان الصهيوني مثل هذه المواقف لان البديل «الاسلامي» ابغض من ان يُقبل لديها.

وتقول السلطات الجزائرية ان «الفقر» هو الذي يدفع الشعب للانضمام الى صفوف الاسلاميين، حيث يعيش أكثر من «١٤» مليون جزائري تحت خط الفقر، بينما يجد القارئ للافتات التظاهرات الشعبية مشاعر الشعب عكس ذلك، إذ تقول إحدى هذه اللافتات: «إن أزمّتنا ليست اقتصادية، إنما أخلاقية». وهذا التصحيح في النهج والسلوك الجماهيري هو الذي تخشاه أميركا والغرب، اللذان أخذاً يغازلان مشاعر الجماهير ضمن خطوات محسوبة لن تنطلي على الشعب الجزائري المسلم، حيث حثّت واشنطن الحكومة الجزائرية على الحوار مع الاسلاميين. وتقول إيطاليا إنه يجب على الجزائر أن تجري انتخابات جديدة إذا

ويأمل الشعب الأفغاني أن تثمر جهود السلام وأن يستقر الوضع الأمني والسياسي في أقرب فرصة، وأن تقوم في أفغانستان حكومة إسلامية تحترم حقوق مختلف الفصائل والقوميات من الناحية السياسية والاجتماعية، وتؤمن العيش الكريم لجميع أبناء أفغانستان، دون التمييز بين منطقة وأخرى وطائفة أو قومية وأخرى.

\* \* \*

#### □ جنغلادش

اجتاحت بنغلادش موجة من التظاهرات والاحتجاجات ضد الكاتبة المرتدة «تسليمه نسرين» التي أشارت بكتابها «لاجا» غضب مسلمي شبه القارة الهندية، والبنغاليين منهم بصورة خاصة الذين تجمعوا خلف مبنى البرلمان وهم يرتدون جلابيب بيضاء ويهتفون بشعار: «الله أكبر» و«لا مكان للملحدين والمرتدين في بنغلادش». كما حمل المتظاهرون المسلمون رايات ولافتات حمل بعضها صورة للمرتدة وقد لف حبل حول رقبتها، وطالب المتظاهرون الحكومة بإعدام نسرين وسنّ قانون

نظام حزب واحد وقومية واحدة. وليس في وسع أي طرف حذف الأطراف الأخرى من الساحة السياسية. وعدم تفهم هذا الأمر كان سبباً في فشل الوساطات، لأن أغلب الوسطاء لم يتعاملوا مع واقع القضية الأفغانية، وليس لديهم حلول جذرية مناسبة لوقف الصراع. والسبب الآخر الذي لا يقل أهمية عن الأول هو تعنت وإصرار رئيس الجمهورية «رباني» على احتكار السلطة وعدم إفساح المجال أمام الآخرين الذين قدّموا لأفغانستان دماءً ثمينة، ما زالت جراحها تنزف بسبب هذا التعنت، واتباع سياسة خداع الأطراف الأخرى حتى المتحالفين معه.

وتطالب أغلب المنظمات والحركات الجهادية الأفغانية باستقالة رباني من السلطة، الذي لا يدعم سياسته سوى المرتبطين بالجهات الأجنبية والمعسكر الوقائي، بينما الحركات الجهادية الأصلية في أفغانستان وكذلك باكستان والجمهورية الإسلامية في إيران يرون جميعاً أنه من الأنسب استقالة رباني، لأن استمرار حكمه يعني استمرار القتال والمعارك، وذلك يعني استمرار معاناة الشعب الأفغاني.

مسلسل الهجمة الاستكبارية ضد المسلمين وعوامل الصحوة التي تجتاح البلدان الاسلامية، وبدأت تخفي بظلالها على المجتمع الاوربي الذي بدأت الدعوات فيه الى العقّة والحشمة والابتعاد عن الابتذال والجريمة.

وفي تطور آخر يكشف عن خيوط المؤامرة الاستكبارية التي يقودها الغرب ضد الاسلام والامة الاسلامية أعلنت استوكهولم ان المرتدة «نسرين» التجأت الى السويد بعد ملاحقتها قانونياً في بنغلادش وستمنحها الحكومة السويدية إحدى «جوائزها» الأدبية، وستستلم «نسرين» جائزة «كورت توجولسكي» التي يمنحها المركز السويدي «نادي القلم» التابع للاتحاد العالمي للكتاب، كما ستمنح «جائزة» نقدية قدرها «١٥٠» ألف كرون بما يعادل «٢٠» ألف دولار.

\*\*\*

#### □ الباكستان

بعد الانفجار الذي وقع في مسجد «عثمانية» في مدينة «لاهور» دعت رئيسة الحكومة الباكستانية لعقد اجتماع مع المسؤولين في مدينة لاهور، ودعتهم الى

يعاقب على التجديف، وكذلك الحد من أنشطة منظمات الإغاثة غير الحكومية التي تمولها جهات أجنبية.

وقد اجبر المسلمون الحكومة لاستصدار امر اعتقال ضد المرتدة نسرين التي افاد شهود مقربون منها أنها تسلمت على دفعات مبالغ كبيرة من الولايات المتحدة خلال فترات متفاوتة. وقد شهّرت هذه المرتدة بالدين الاسلامي والقرآن والتعاليم الاسلامية، ودعت الى الاباحية والحرية الجنسية للمرأة، وحزّضت على الخيانة الزوجية والزنى، وقذفت وأهانت القرآن الكريم. وكتابها الذي يحمل اسم «لاجا» او «الحياة» تم فرض حظر على نشره وتوزيعه وذلك عام ١٩٩٢م، ويصوّر هذا الكتاب أن المسلمين يقتلون النساء الهندوسيات في بلدنهم انتقاماً لهدم مسجد في الهند.

كما نشرت هذه الكاتبة المطلقة عدة مرات في الصحف مقالات ركزت في معظمها على سلب الذكور المسلمين للحقوق الاساسية للمرأة المسلمة، وتوجت هذه المقالات والاشعار بالدعوة الى إعطاء المرأة حريتها الكاملة ورفع الوصاية الاسلامية عنها. ولا تعدو كتاباتها كونها حلقة في

نصبوا كميناً في مدينة «كراتشي» جنوب  
الباكستان لحافلة تقلّ «٨٠» مسلماً من  
أتباع أهل البيت (عليه السلام) كانوا عائدتين إلى  
منازلهم بعد تأدية مراسم دينية في  
«كراتشي» وفتحوا النار من بنادق آلية  
عليهم، وألقوا قنبلة يدوية على الحافلة مما  
أدى إلى استشهاد وإصابة الكثيرين منهم.  
وعلى ضوء هذه الأحداث الإرهابية  
للسوهابيين أصدرت المحكمة الخاصة  
بمكافحة الإرهاب في مدينة «فيصل آباد»  
بولاية البنجاب حكماً بالقبض على رؤوس  
جماعة ما يسمى بـ «جيش الصحابة»  
الإرهابية وكانت المحكمة المذكورة قد  
أصدرت قبل ذلك أحكاماً باعتقال  
الإرهابيين «ضياء الرحمن فاروقي،  
وأعظم طارق، ويوسف مجاهد» بتهمة  
ارتكاب جرائم قتل في مدينة «جهنك»  
الباكستانية.

\*\*\*

#### □ البوذية والهرمك

لا يخفى على أحد أن المجازر التي  
يتعرض لها المسلمون البوسنيون هي  
حرب دينية يشنها الغربيون بموافقة  
زعماء الكنيسة المسيحية ضد الاسلام

اتخاذ التدابير الامنية اللازمة لحماية  
المساجد والمدارس والنقاط الحساسة،  
ومنع وقوع مثل هذه الحوادث. وطالبت  
قوات الأمن بملاحقة كل من له صلة  
بالحادث، كما وصف «نواز شريف»  
رئيس الوزراء الاسبق وزعيم الجناح  
المعارض في البرلمان هذا العمل بأنه من  
أجل إثارة النمرات الطائفية وتفتيت وحدة  
المسلمين. ودعا العلامة «النقوي» زعيم  
أتباع مذهب أهل البيت (عليه السلام) الشعب  
الباكستاني إلى الوحدة والتلاحم  
ومواجهة الفرقة والتشتت، مشيراً إلى  
اتساع ظاهرة الفرقة والتوسع في عقد  
الاجتماعات والندوات التي تحمل واجهة  
دينية لبث الفرقة، الأمر الذي سترك آثاراً  
سلبية على هذا البلد المسلم.

من جانب آخر هدد زعماء فرقة  
«جيش الصحابة» الوهابية بإثارة  
الأوضاع إذا ما حاولت الحكومة منع  
المصادقة على لائحة «ناموس الصحابة»  
الذي يتعون فيه أن قيادة المرأة للحكومة  
أمر يتنافى والعقائد الاسلامية.

هذا وقد نفذت عناصرهم الإرهابية  
جريمة اغتيال ممثل حركة تطبيق الفقه  
الجعفرية في «بها بلبور» في ولاية  
البنجاب عندما كان متوجهاً إلى منزله. كما

إعدام مجموعات من المسلمين كانت تجري كل ليلة على مدى أربعة أشهر، في معسكر «سوسيتشا» للاعتقال وقدر ان نحو «٣٠٠٠» مسلم على الأقل من سكان المناطق القريبة من «فلاسينيتشا» فقدوا ارواحهم في هذا المعسكر، أما الناجون فقد فقدوا شرفهم على أيدي الجنود الصرب وديارهم وممتلكاتهم. ويضيف هذا الضابط: أن عمليات الاعدام كانت تجري تحت اشراف «دراجان نيكوليتش» الذي يعمل الآن في الشرطة السرية لقوات الصرب. وقد ثارت شكوك حول حجم عمليات القتل الجماعية للمسلمين في مناطق شرق البوسنة التي تعذر الوصول إليها. وقد سئل هذا الضابط عن الأوامر الصادرة بالقتل، فأجاب: بلا شك انها تصدر من أعلى مستوى.

على صعيد آخر قالت حكومة البوسنة والهرسك ان تحرك الدول الغربية الكبرى وروسيا لمعاقبة المتمردين الصرب على رفضهم لأحدث خطة للسلام يفتقر الى الفعالية ويسم عن التردد. وقد رفض الصرب خطة السلام التي تقدمت بها الامم المتحدة والقاضية بمنح الاتحاد الكرواتي - المسلم ٥١% من اراضي البوسنة والهرسك و٤٩% للصرب، في حين قبلها

والمسلمين في أوربا، وقد سعى القساوسة المتطرفون منذ بداية القرن التاسع عشر لاجتثاث الاسلام والمسلمين في أوربا عامة والبوسنة والهرسك خاصة. وكان أحد القساوسة قد خاطب الصرب بالقول: إن من أهم واجبات الصرب هو قتل المسلمين وتخريب مساجدهم. وقد سعى الصرب منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين للقضاء على الاسلام والمسلمين في شبه جزيرة البلقان، وتلقوا في عملهم هذا دعم الدول الغربية وتشجيعها، وعلى الرغم من أن الميثاق الاوربي وضع ضمن مبادئه عدم تغيير الحدود، وكذلك الدفاع عن حقوق الأقليات القومية، إلا أنه أصبحت هذه المبادئ منسية بحق الشعب البوسني المسلم. فلو لم تتقاعس الدول والمنظمات الدولية من القيام بمهمتها وواجبها في صد المعتدي لما وصلت البوسنة الى ما وصلت اليه الآن.

إن قراءة واحدة لملف واحد من جرائم الصرب تنبئ عن قذارة الجسد الاوربي ويده الصربية الفاشستية. يقول الحارس الصربي الفاشستي المدعو «بيرو بوبوفيتش» في اعترافه لصحيفة نيويورك تايمز الاميركية: إن عمليات



الحجيج قتل في خلال مواسم الحج الأخيرة قبل سنوات اثناء مسيرة البراءة ومرة أخرى قبل خمس سنوات في نفق المعيصم مما أدى إلى مقتل الآلاف منهم. كما سقط ما لا يقل عن ألفي حاج في «منى» في موسم الحج الماضي بسبب الزحام الذي أوجده مرور موكب رسمي بين حشود الحاج.

وتحدثت إحدى الشخصيات من تجمع علماء لبنان بالقول: إن الحج فقد روحه الواقعية، وأن الهدف من اجتماع مليوني مسلم من شتى أرجاء العالم في بقعة واحدة هو تأدية الفرائض بروح الاسلام الحقيقي ومنها البراءة من شياطين الزمان «المشركين».

وتحدث أحد علماء «دكا» بالقول: إن مقولة: «لا حاجة إلى البراءة من المشركين بعد تحطيم الاصنام» يراد منها تضليل المسلمين، وإن قتل الحشرات والهوام محرم في بيت الله العتيق، في حين يقتل الحاج فيه.

فيما تحدث عالم سنغالي بالقول: إن القائلين بفصل الدين عن السياسة يبذلون أقصى جهودهم لمنع تأدية فرائض الحج على النحو المطلوب.

فيما تحدث جامعي من إيران كان مع

البوسنيون على ما فيها. وصرح زعيم الصرب «رادوفان كارادريتش» بالقول: «يجب رفض خطة السلام وإعلان حالة الحرب». مضيفاً أن الخطة عبارة عن حلول مفاجئة، وعلى صعيد العالم الاسلامي فقد دعت الجمهورية الاسلامية إلى اجتماع مجموعة الاتصال المنبثقة عن منظمة المؤتمر الاسلامي وتضم ثمانين دول، وحذرت البلدان الاسلاميه من أنها «قد» تعتمد إلى تسليح قوات حكومة البوسنة بنفسها ما لم يُرفع حظر التسليح الدولي المفروض عليها، وطالبوا بتشديد العقوبات الدولية على بلغراد.

\* \* \*

#### □ السعودية

أكد العشرات من علماء السنة وأتباع أهل البيت (عليه السلام) والشخصيات السياسية والجامعية في العالم الاسلامي على ضرورة تولي لجنة إسلامية خاصة إدارة الحرمين الشريفين، وتحدثت هذه الشخصيات إلى مراسلي وكالات الأنباء الدولية بالقول: إن الاجهزة الحكومية الفعلية غير كفوءة لإدارة الحرمين، ولا أدل على ذلك من سقوط الآلاف من

هذه التطورات عقد علماء اليمن مؤتمراً اسلامياً كبيراً شارك فيه أكثر من «٣٠٠» شخصية إسلامية يمنية طالبوا خلاله الحكومة اليمنية بإجراء تعديلات دستورية تجعل من الشريعة الإسلامية المصدر الوحيد للتشريع. ودعا المؤتمر إلى اعتماد قانون العقوبات الجزائية، وتعديل السياسة التعليمية والاعلامية بما يتفق مع الشريعة الإسلامية. واعتبر المؤتمر الحرب انتصاراً للتوجه الإسلامي على الشيوعية والاحاد في الشطر الجنوبي من البلاد، وطالبوا بعدم عودة الملحدون للمشاركة في الحكم من جديد في اليمن.

وقد لعبت مواقف التيار الإسلامي دوراً ايجابياً لصالح تراب وشعب اليمن، وأفشلوا المخطط الدولي للدوائر الغربية عموماً وأميركا خصوصاً وحالوا دون أن تدس الأخيرة أنفها في بلادهم، كما حدث في الصومال، وجعلوها تحسب للتدخل ألف حساب. ومواقف الاسلاميين اليمنيين هذه تعد صفة جديدة للنظام الدولي الجديد برئاسة أميركا. وأمام كل التحديات الداخلية والإقليمية والدولية يتحتم على الإسلاميين في اليمن المزيد من الوعي والانفتاح والعمل التغيير

الحجيج هذا العام: إن هناك أصناماً أخذت تنشر ظلالها القاتمة المشؤومة في مكة. كما اقترح حاج أوغندي ان تتم إدارة شؤون الحج والحرمين الشريفين من قبل مؤسسة إسلامية عالمية تمثل جميع مسلمي العالم.

من جانب آخر اتهم مفكر اسلامي روسي الوهابيين بإثارة الشك بين المسلمين في رسالتهم التاريخية، وشدد على ضرورة فضح الفرقة الوهابية التي تعمل على تمرير مخططات اعداء الاسلام. ودعت لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية في الحجاز إلى ضرورة الاستفادة من موسم الحج بتدارس شؤون المسلمين، وعدم اقتصر المحاضرات والدروس والنشاطات على جهة رسمية محدودة تؤمن بالفصل بين الدين والسياسة.

\*\*\*

#### □ اليمن

بدأ اليمن يلطم جراحه بعد شهرين من المعارك الدامية مع قوات الانفصاليين في الجنوب الذين حركتهم وأيدت انفصاليهم حكومة الرياض. وعلى ضوء

الاهداف الأميركية من التواجد في المياه الدافئة.

ويرى الاسلاميون في الكويت، نتيجة لظرف بلدهم الخاص، ان يكون تحركهم على مسار محسوب يصون أهمية التدرج لتحويل الكويت الى دولة اسلامية، حيث تصرّح الطلائع الاسلامية في هذا البلد بأن الاسلاميين ليسوا على عجلة من أمرهم، وسيكون لهم في النهاية نفوذ أكبر على القوانين الجارية.

وأمام هذه النزعة الاسلامية المتنامية في الكويت بشكل سريع وكبير ظهرت ردود فعل مختلفة من الأوساط الدولية والاقليمية والمحلية. وترى أوساط حقوقية وشعبية مختلفة وواسعة ان تنفيذ الشريعة الاسلامية من شأنه اصلاح مفاهيم الكويتيين الخاطئة حول الحريات الفردية. بينما يقف المحسوبون على الخط الأميركي عكس هذا الاتجاه.

من جانبها قامت الحكومة الكويتية بحظر الفوائد الربوية في المعاملات المصرفية، وتطبيق رقابة على الصحف والمجلات التي تقوم بنشر الموضوعات والصور المثيرة والماجنة، وتشكيل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويطالب الاسلاميون الكويتيون الحكومة

لصالح أسلمة المجتمع، وطرح البديل الحضاري الاسلامي، وإثباته بأنه هو الحل وذلك عبر الالتزام الرائع بقيمه ومبادئه وتشريعاته.

\* \* \*

## □ الكويت

قررت الكويت مراجعة مواقفها الدستورية، حيث قدّمت عدة مقترحات لتعديل الدستور، أهمها المقترح القاضي باعتبار الاسلام المصدر الأعلى لدستور الكويت (الذي تمت المصادقة عليه عام ١٩٦٢م)، والذي أشار جـدلاً بـلـغ ذروته ووضع الحكومة امام مفترق طرق. ويرى الكثيرون ان الاسلام كفيل بحل مثل هذه المعضلة، فالأزمة الخليجية أبطلت مفعول شعار العروبة، وان الاسلاميين وحدهم ظلوا في الكويت أثناء الاحتلال يورّعون الأغذية على أبناء الشعب.

ومنذ تحرير الكويت أفلح الاسلاميون في كسب التأييد الجماهيري، بعد أن نفرت جماهير البلاد من الميول الغربية، لكونها أثارت موجة قلق اجتماعي بدليل تنامي معدلات الاجرام، والادمان على المخدرات وفصل الناس عن الاسلام، وهذا هو أحد

بإجراء استفتاء شعبي لأهل الكويت الحريصين على دينهم ومجتمعهم.

وأمام كل هذه النداءات والطروحات، رفض المقترح المذكور، وجعلت الشريعة الاسلامية جزءاً مع بقية المصادر التشريعية العلمانية والمادية، ولا تتعدى فقراتها بعض الاحوال الشخصية.

ويأتي هذا الرفض المتوقع لاعتبار الشريعة المصدر الأعلى للدستور من باب الخوف والهلع الأميركي والغربي والصهيوني من تنامي قوة المسلمين في اكثر مناطق العالم حساسية وأهمية استراتيجية.

\* \* \*

## □ الاردن

ناشدت القوى الاسلامية الاردنية القوى السياسية والنقابية والشعبية وكل الشخصيات الخيرة في الاردن ان تعلن عن غضبها ورفضها للصلح مع اسرائيل، وان تعمل معاً على اسقاط مؤامرة التسوية وإفشالها، موضحةً ان التبشير برخاء اقتصادي مزعوم كنجاح لهذه المفاوضات، والوعود بشرق أوسط يسوده الرفاه والتقدم في ظل التطبيع

والدمج لا يأتي من خلال الجلوس مع الصهاينة العنصريين، وإن هذه الوعود مجرد فرية كشفتها نتائج الوضع الاقتصادي في مصر على الرغم من مرور خمسة عشر عاماً على معاهدة كامب ديفيد المشؤومة، ووعودها الكاذبة بمستقبل زاهر لشعب مصر المسلم، وإن الاستمرار بالنهج التفاوضي على المستوى الثنائي مع العدو الصهيوني يضعف قدرة الموقف الاسلامي والعربي بشكل عام، ويوجد محاور ومضاعفات تنال من قدرته على المواجهة والصمود.

وشدد الاسلاميون على الحرص على كل شبر من الاراضي المحتلة في الأردن وكل قطرة ماء منهوبة، شريطة الا تكون على حساب الاراضي العربية المحتلة المساوية بالقيمة والطهر والقداسة للارض الاردنية، وأن ترسيم الحدود مع الصهاينة اعتراف لهم في كل فلسطين، وان هذه المفاوضات تقدم للسعد الاعتراف والأمن والعلاقات الطبيعية، التي ستحقق اهدافه في نهب ثروات الأمة الإسلامية، ويسط الهيمنة عليها، وتصفية قضية الشعب الفلسطيني وحقه بالعودة.

وعلى الصعيد الجماهيري فقد نفذت الاحتجاجات والتظاهرات، وتحدث العلماء

المتحدة.

وتأتي أهميته كونه يمثل فئة النشاطات لمؤتمرات دولية سابقة عقدت في بخارست ومكسيكو سيتي بالإضافة إلى ثلاثة مؤتمرات تمهيدية في نيويورك. وقد ورّعت مسودة الوثيقة المعدة للمؤتمر الواقعة في «١١٣» صفحة على البلدان المشاركة قبل انعقاد المؤتمر بفترة كافية، لغرض الاطلاع عليها ومناقشتها، وتضمنت مقترحات البلدان لفترة العشرين سنة القادمة، وشملت عدة قضايا هامة بشأن دور المرأة والنمو السكاني وحقوق الانجاب والصحة العامة والسكن والهجرة الدولية والتكنولوجيا والتنمية، بالإضافة إلى مقررات بشأن السكان والتنمية وضرورة القضاء على الفقر وردم الهوة بين العالم الغني والعالم الفقير، والتأكيد على أهمية تنظيم الأسرة والاهتمام بالطفولة، والدفاع عن حقوق المهاجرين واللاجئين، والحيلولة دون امتداد «الانفجار السكاني» ورفض التمييز على أساس الجنس بين البنين والبنات، واستغلال المرأة ورفض الزواج القسري، ورعاية المسنين، وضرورة تعليم الثقافة الجنسية للمتزوجين حديثاً أو المقبلين على الزواج، وتشجيع الدول على إزالة

المسلمون في المساجد شاجبين مشروع التسوية وأشاروا إلى كونه بداية لتأسيس «إسرائيل الكبرى». وأشارت معظم تقارير وكالات الأنباء العالمية من الأردن إلى رفض الشعب الأردني المسلم وعدم رضاه بما جرى في واشنطن.

\* \* \*

□ هـــــ

#### مؤتمر التنمية والسكان في القاهرة

بحضور «٣٥٠٠» مندوب وخبير يمثلون «١٨٢» بلداً، و«١٠٠٠» مؤسسة ومنظمة حكومية وغير حكومية، وبمشاركة «٣٨٠٠» مراسل وصحفي، استضافت القاهرة على مدى تسعة أيام المؤتمر العالمي للتنمية والسكان، الذي افتتحه الأمين العام للأمم المتحدة، بحضور نائب الرئيس الأميركي والرئيس المصري ورئيسة وزراء النرويج والباكستان، ومشاركة عدد كبير من الوفود على أرفع المستويات من الدول الغربية ودول العالم الثالث، حيث بدأ واضحاً من خلال هذا الحضور المكثف التنبّي الكبير والضغط لهذا المؤتمر من قبل أميركا والدول الغربية والأمم

أسباب الإجهاض ورفضها، وموضوع مرض قصور المناعة المكتسبة «الايدز». وتعتبر هذه اهم النقاط الايجابية في مسودة الوثيقة.

أما نقاط الضعف فكانت تتمثل في استخدام مصطلحات غامضة من قبيل الصحة الجنسية أو صحة الحمل، التي يمكن تفسيرها بإباحة الإجهاض وإقراره، وكذلك إشاعة العلاقات الجنسية اللامشروعة باستخدام بعض المصطلحات ومنها: «التعليم الجنسي للأطفال والاحداث»، كما تضمنت الوثيقة السماح بالعلاقات الجنسية خارج أطر الزواج باستخدام عبارة «الأزواج والأفراد». وتعتبر هذه الفقرة من أكبر نقاط الضعف في الوثيقة، كما تحتوي الوثيقة على عبارة مبهمه تقول بالتأكيد على مسألة المساواة بين المرأة والرجل، وهي ذات تأويلات عديدة، ولم ينوّه منظمو الوثيقة إلى دور القيم والدين والأخلاق في المجتمع، ولم يقيموا لهذا الأمر أي وزن، وهو ما يتنافى مع الوثائق الدولية السابقة المراعية لذكر دورها الاساسي.

وقد شهدت العديد من عواصم البلدان وخصوصاً الإسلامية منها احتجاجات

وتظاهرات ضد المؤتمر، مما دعا الأمم المتحدة إلى التصريح على لسان كبار موظفيها بأن الوثيقة غير نهائية ولا إلزامية، وأنها خاضعة للمناقشة داخل المؤتمر. وأوضحت الأمم المتحدة ان مسودة الوثيقة لا تدعو للشذوذ الجنسي، حسب ما أعلنته بعض قوى المعارضة في البلدان الاسلامية ومنظمة المؤتمر الاسلامي والفاتيكان، التي اتهمت تصريحاتها الغرب بفرض رؤيته للعالم من خلال المؤتمر عبر منظور خطير يتستّر وراء سيل من العبارات المنقّقة التي تهدف إلى «إخفاء الحقيقة» في أن الغرب يريد تصدير مشاكله ومعاناته الأخلاقية إلى الدول الأخرى، وأنه يخشى من تقامي القوة الاسلامية والدينية، والتي يعتبر عدد السكان أحد أهم ركائزها، قياساً بالمجتمع الغربي، الذي بدأت أعداد سكانه بالتناقص الخطير نتيجة لطبيعة حياته الاجتماعية والعلاقات التي يؤمن بها. وكانت الاصوات المعارضة على المؤتمر وحتى داخل الولايات المتحدة تدعو إلى الاعتناء بالمجتمع العالمي من خلال عدم إثارة الحروب والفتن بين الشعوب والطوائف والقوميات، وتخفيف الديون الخارجية للدول الفقيرة، التي

الواردة في الكتاب والسنة وحياة المجتمع المسلم.

وقد ألقى رئيس الوفد الاسلامي سماحة الشيخ التسخيري مسؤول معاونية الشؤون الدولية في مكتب قائد الثورة الاسلامية وولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي «دام ظله» وأمين عام المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) كلمة في المؤتمر استهلها بالآية القرآنية المباركة:

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفْلُومٌ كَفَّارٌ﴾. ثم تطرّق بالشرح الى أن المشكلة ليست مشكلة سكان، بل الواقع يقول إن إمكاناتنا لم تستثمر على النحو المطلوب، وإن التوزيع الموجود في الارض ما زال توزيعاً غير عادل، مؤكداً أن النمو السكاني نعمة من نعم الله تبارك وتعالى، ويجب تنظيم هذه النعمة بشكل طبيعي وعلمي حتى نصل للفرد الصالح والعائلة الصالحة التي تكون المجتمع الصالح. وعلّل سماحته المشكلة بعوامل ثلاثة:

الاول: عدم السيطرة الطبيعية على النمو السكاني. ثانياً: عدم الاستثمار الطبيعي للموارد. ثالثاً: عدم التوزيع العادل. وهذه المشاكل مجتمعة خلقت المشكلة الاجتماعية، ويتم حلها بسد هذه الثغرات،

تعتبر عوائق كبرى أمام التنمية، وكذلك تعترض على المسودة لتشجيعها على الإجهاض والتحلل الخلقي. وقد قاطعت كل من السعودية والسودان ولبنان والعراق المؤتمر لأسباب بعضها سياسية وبعضها أدعي بأنها تتعلق بالرؤى الخاصة للحكومات المذكورة تجاه مسودة الوثيقة.

أما الجمهورية الاسلامية في إيران فقد ارتأت الدخول الى عمق المؤتمر ولعب الدور الاسلامي من الداخل، والعمل على منع الدول الكبرى من استغلال هذه الوثيقة ضد الدول الاخرى، وفرض مفاهيمها واتخاذها ذريعة للتدخل في شؤون الآخرين، والعمل على إصلاح الوثيقة نفسها بما يتسنى، ومحاولة تنسيق الجهود الاسلامية في المؤتمر، وطرح الخطط الاسلامية في التنمية والسكان وتنظيم العائلة وفي إعطاء المرأة دورها الأساسي في صياغة القرار السياسي والاجتماعي. وقد شكّلت قبل انعقاد المؤتمر لجان متخصصة من مختلف الوزارات والمؤسسات الاسلامية في إيران، وأشبعث الوثيقة نقاشاً وشرحاً، ووضعت البدائل والمقترحات التي تنسجم مع الواقع والتطلّعات الاسلامية

الفاتيكان، انطلاقاً من منطق الاسلام العلمي ومرونته الواقعية، الأمر الذي أدّى الى استشعار الدول الاسلامية المشاركة بضرورة عقد مؤتمر خاص بها لتنسيق المواقف أولاً، ثم وضع أسس وثيقة إسلامية للتنمية، حتى لا تبقى الدول الاسلامية لاهثة وراء أدعياء التقدم والحضارة الزائفة، بعد ان اثبت وفد الجمهورية الاسلامية قوة الاسلام وعمق نظرتة للانسان والحياة.

وقد تركّزت حدة النقاشات في القضايا المتنازع عليها بين فكر الغرب من جهة والدين من جهة أخرى، وخصوصاً في قضية الإجهاض التي استغرقت أربعة ايام، أنست المؤتمرين نقاط القوة الأخرى في الوثيقة، من قبيل علاقة التنمية بالتكنولوجيا، وعلاقة التنمية بالتعليم، وتنظيم أمور المهاجرين، وتنمية دور المنظمات غير الحكومية في التنمية، وقضايا كثيرة في هذا الاتجاه لم تتركز عليها الانظار. وقد استمتع المؤتمر وإثر الدور الفاعل والمؤثر لوحد الجمهورية الاسلامية في ايران وبالتنسيق مع الوفد المصري والباكستاني وبعض الدول الاسلامية كماليزيا وأندونيسيا التوصل الى صيغة مقبولة من وجهة النظر

مؤشراً الى أن الدول الاسلامية يمكنها وضع نظام تنموي من منطق هذه الفكرة، وإيجاد مسؤولية تنموية على المستوى الأدنى وعلى مستوى الأفراد في المجتمع. وكانت سمة الوفد تتميّز بالايجابية والمنطقية وقول كلمة الحق حيث تقال بصراحة ووضوح، والاعتراف بالفضل إن كان هناك فضل، والمناقشة عندما يكون هناك انحراف. وقد شاركت الجمهورية الاسلامية في أغلب وأهم اللجان المنبثقة عن المؤتمر، ووضعت الحلول لأعقد القضايا المتشابهة بما يرضي تطلّعات الشعوب وفق منطق الحكمة والانسانية الحقّة، الأمر الذي أثار استغراب المشاركين وخصوصاً الدول الغربية ودفعهم للتسابق الى لقاء الوفد وتبادل وجهات النظر معه والسمي للاطلاع والتعرف على وجهات النظر الاسلامية حيث لم يتوقعوا أن يقف مندوب الجمهورية الاسلامية ليتحدّث ويناقش بكل موضوعية وفهم عال، ويقدم مقترحات جديدة وجديرة عن تنظيم الأسرة، وعن مفاهيم الاسلام في بناء تنمية مستقرة، وعن دور المرأة في صياغة الحياة. وقد أبدى الوفد مرونة منطقية في بعض القضايا أكثر من



تمت الموافقة وصدر بيان بهذا المعنى وبشكل كامل، حيث منعت الجمهورية الاسلامية من خلال إصداره تسرب وتصدير المشكلة الغربية بكل أبعادها الى الدول الاسلامية. ففي ضوء هذا البيان سيكون من الممكن ان تطرح قضية المساواة بين الرجل والمرأة في المسائل السياسية والاجتماعية، ويحدد الأمر في مجال الميراث والزواج وفق معتقدات ورؤى الدولة المعنية، باعتبار أن التساوي في العبارة الواردة مبهم، ويمكن أن يمنح المرأة حق تعدد الأزواج مثلما للرجل، وغيرها من الأمور غير الشرعية والأخلاقية التي تخالف ما حدده القرآن الكريم، كما وافق المؤتمر على أغلبية مقترحات وفد الجمهورية الاسلامية، وتم تنفيذها وإقرارها، على الرغم من المقاومة الكبيرة للغرب والولايات المتحدة، اللذين حاولا وضع العقوبات أمام طرح المنطلقات الاسلامية. ومما ساعد الجمهورية الاسلامية أن تلعب هذا الدور الكبير منطقية واستدلالات وعلمية الطرح، وكذلك مساندة وتأييد الدول الاسلامية لمقترحاتها، وبذلك استطاع الوفد أن يجبر الغرب على التراجع عن مواقفه اللادينية، وجاءت الوثيقة النهائية في غالبيتها في

الاسلامية، حيث أقر المؤتمر على أن الإجهاض يجب ألا يُعدّ مطلقاً وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة، وطلب ألا يشجّع مطلقاً عليه، وإرشاد السيدات اللواتي ربما يعتمدن الى هذا المعنى الى الاحتفاظ بالحمل، وطلب أن تعالج السيدة التي لجأت الى هذا المعنى علاجاً جيداً حتى لا يؤدي الإجهاض الى موتها.

كما تم حذف عبارة التعليم الجنسي من مساحة الأطفال. وعندما أصرت الغرب على عدم حذفها من مساحة المراهقين، طرحت الجمهورية الاسلامية وجوب تقييده بأن يتم من خلال الوالدين وباختيار مادة مناسبة جداً لهدف منع الانحرافات الأخلاقية والأمراض الفيزيولوجية المترتبة على بعض السلوكيات، وقد أقر هذا المعنى. أما بالنسبة الى النشاطات الجنسية خارج الزواج فقد رفضتها الجمهورية الاسلامية الايرانية جميعاً، وتم حذف العبارات التي تدلّ عليها من الوثيقة النهائية، كعبارة «أشكال الزواج والاقتران الأخرى» وأمثالها، كما أصرت الجمهورية الاسلامية على أن يصدر بيان يعطي الحق لكل دولة في اتباع تفسيرها للوثيقة النهائية بما يتعلق بهذه العبارة أو تلك، وقد

موضحة أن مثل هذه القرارات تعد انتهاكاً  
لشريعة الاسلامية التي تقضي بأن المرأة  
يجب ألا تكشف إلا عن وجهها وكفيها.  
وذكرت انه حتى لو كان ولي الأمر ضد  
الحجاب فإن باستطاعة الفتاة ارتدائه  
والذهاب به الى المدرسة.

وكانت الاوساط الاسلامية الشعبية  
في عموم مصر قد أعلنت رفضها للقرار  
المذكور، وعبر أئمة المساجد في خطبهم  
عن شجبهم القرار المذكور، ودعوا  
المسلمين للوقوف بوجهه بكل حزم.

\*\*\*

#### □ العراق

لم تنفع لقاءات النظام العراقي السريّة  
مع الكيان الصهيوني والتي اعلنت عنها  
الحكومة الصهيونية ووزارة الاعلام  
الأردنية في رفع الحصار الاقتصادي  
المفروض على العراق منذ أكثر من أربعة  
اعوام، حيث حذرت الولايات المتحدة  
الاميركية حكومة الكيان الصهيوني من  
مغبة الاستمرار بمثل هذه اللقاءات خارج  
الإطار الاميركي ودون علمها، الامر الذي  
دعا حكومة هذا الكيان الى الاعلان رسمياً  
عن توقفها، ولم تنس ان تشير في قرارها

صالح الدول الاسلامية. وبذلك تكون  
الجمهورية الاسلامية قد أغلقت باب الشر  
الكبير حينما ساهمت وأثرت في الصياغة  
النهائية للوثيقة التي لو بقيت على أفكار  
ورؤى وعبارات مسؤدتها لكانت ذريعة  
للتدخل في شؤون الدول الإسلامية في  
المستقبل.

\*\*\*

#### ارتداد الحجاب وقرار المنع

امام الموجة الاسلامية المضادة لقرار  
الحكومة المصرية بمنع الحجاب في  
المدارس ومعاقبة مرتدياته بالحرمان من  
دخول المدارس ومواصلة التعليم،  
تراجعت وزارة التعليم المصرية عن  
قرارها المتضمن موافقة ولي امر الفتيات  
قبل ارتدائهن الحجاب في العام الدراسي  
الحالي باستثناء المدارس الابتدائية التي  
بقي قرار المنع سارياً عليها لحد الان،  
حيث صرح بذلك وزير التعليم المصري،  
الأمر الذي ادى الى شعور الناس بأن  
عقيدتهم مستهدفة، وأن هناك من يحاول  
ان يغيب شرع الله وأحكامه لمصلحة  
دنيوية خبيثة.

وقد شكل «الأزهر» لجنة من علمائه  
أصدرت فتوى ضد القرار المذكور،

تجفّ دماء جنودها في الكويت بعد حيث  
فكّت الحصار عن قطعات الحرس  
الجمهوري وزوّدتها بالوقود والاسلحة  
لقمع الاسلاميين في «١٤» محافظة  
عراقية. كما تتعامل هي وحليفاتها  
بهامشيّة ولا مبالاة مع القرار «٦٨٨»  
الصادر عن مجلس الامن والمتعلق  
بحقوق الانسان في العراق وتكتفي بتقرير  
ترفعه لها وكالة الاستخبارات المركزية  
«CIA» حول الموضوع، في حين تكثف  
كل الجهود الدبلوماسية والتقنية وحتى  
العسكرية من اجل تنفيذ باقي القرارات  
التي تخص الاعتراف بدولة الكويت  
واعادة الاسرى وتنفيذ برنامج المراقبة  
طويل الأمد للتسلح العراقي وضمن هذه  
السياسة تعمل حتى الدول العربية  
والخليجية منها حيث لم يشر البيان  
الختامي لدول مجلس التعاون الخليجي  
الذي عقد مؤخراً في الرياض الى هذا  
القرار ولو اشارة طفيفة في حين أكد  
وبالتفصيل تقريباً على بقية القرارات ٦٨٧،  
٧١٥ وغيرها، بينما اكتفت الدول الغربية  
بالتصريحات المتعلقة بمصالحها  
وعلاقاتها الاقتصادية كل هذا يجري بينما  
النظام مستمر في تجفيف ما تبقى من  
المليون ميل مربع والتي تشكل مساحة

هذا الى لقاء طارق حنا المنشق الاول  
لعلاقات حاكم بغداد بالعالم مع نائب وزير  
الخارجية الصهيوني يوسي بيلين في  
باريس ولقاء المسؤولين الصهاينة  
عصمت كتاني مندوب العراق الدائم لدى  
الامم المتحدة، وذكر الصهاينة ان حكومة  
صدام حسين توشلت الصهاينة بأن  
يضعفوا على اميركا لرفع الحصار وحظر  
التصدير مقابل اعتراف النظام باسرائيل  
وتزويدهم بالنفط العراقي وانشاء خط  
انابيب ينقل النفط العراقي عبر ميناءي  
حيفا ويافا المحتلين، ولم تخرج هذه  
الزوبعات الاعلامية من قبل اميركا  
واسرائيل وبعض الدول العربية من دائرة  
التمهيد والتدجين للرأي العام وللشعب  
العراقي كي يتخذ صدام خطوات اكثر  
«جراً» وصراحة على هذا الصعيد في  
المستقبل القريب، حيث يعتبر هذا التحرك  
من قبل النظام العراقي الاكثر حساسية  
بالنسبة لمصالحاته وشعاراته، وتنظر  
اميركا بدقة الى تصرفات النظام القمعية  
مع الاسلاميين وخصوصاً مع اتباع اهل  
البيت (عليه السلام) ولا ترى بأساً من اسناده  
عسكرياً عند الضرورة رغم عدائها  
الظاهري له كما فعلت خلال انتفاضة  
شعبان الاسلامية عام ١٩٩١م ولما لم

من هذه القرارات ألا محاولة خسيصة من النظام لتشويه معالم الاحكام الجزائية في الاسلام والتغيير الشنيع لها واظهارها بصورة بشعة تأبأها الشرائع السماوية والعقول الحرة.

كما عمد النظام ايضاً الى فرض ضرائب وغرامات على المواطنين لاتفه الاسباب. واصبحت لغة الاعدامات عادية في الشارع العراقي وغدت كظاهرة يومية ولم يكتف النظام الحاكم بكل هذا الارهاب والتجويع بل يرسل كل يوم برقية على موجة السياسة الاميركية من خلال حملات الاعتقال العشوائية بين صفوف المجاهدين من شيعة اهل البيت عليه السلام وكل ناشط اسلامي، اذ اخذت قواته واجهزته تعتقل على الشبهة وتنقل الشباب والعوائل الى اماكن مجهولة، ويحاول النظام الحاكم تغيير البنية الانثروبولوجية للسكان وذلك باستعريب المناطق الكردية الخاضعة لسيطرته واخلاء العاصمة بغداد من الشيعة الذين نزح اكثرهم من الجنوب اِبان تسلط الاقطاع عليهم كما ويحاول جلب نصف مليون لاجئ فلسطيني لاسكانهم في الجنوب حتى يضرب عصفورين بحجر فمن باب يرضى الكيان الصهيوني ويخفف عنه مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

الاهوار الجنوبية واستكمال مسلسل قتل وتشريد ما تبقى من الاهالي والعشائر هناك والبالغ عددهم «٢٠٠» الف نسمة جميعهم من شيعة اهل البيت عليه السلام ولا احد يعترض على هذه الدماء، والكارثة البيئية التي حلت بالجنوب، ناهيك عن فرض حصار من الداخل على محافظات كردستان العراق الشمالية وعدم تزويدها بالمؤن والمواد الغذائية بالرغم من كون المنطقة الشمالية من العراق خاضعة للحماية الدولية. ولم يقف النظام العراقي عند هذا الحد من القهر والدمار بل اصدر مؤخراً قرارات همجية غريبة تقضي بجذع آذان الشباب الهاربين من الخدمة العسكرية وقد شهدت الساحات العامة في بغداد والمحافظات وكذلك شاشات التلفزة العراقية عمليات جذع عديدة، بالاضافة الى وشم الهارب على جبهته بعبارة غير مؤذبة ومعاقبة من يأويهم اثناء فترة الهروب بمثل العقوبة كما ان العقوبة تطال الأطباء والعاملين في حقل الصحة اذا حاولوا اجراء عملية تجميل أو ازالة الوشم، كما اصدر النظام قرارات تقضي بقطع يد السارق والمتلاعب بالاسعار من الرسغ وحددت العقوبة باليد اليمنى واذا عاود ذلك تقطع ساقه اليسرى ولا يفهم

#### □ النيجر

على الرغم من كل المحاولات الحكومية والتعقيم الاعلامي على نشاط المسلمين في النيجر تحدثت وسائل الاعلام المرئية والمسموعة بالأحداث التي وقعت في مدينة «كولوكا» القريبة من «بانينانغو» على بعد ١٨٠ كم شمال العاصمة نيامي» حيث وقف سكان هذه المدينة ضد قوات الأمن المرسلة لاعتقال ستة إسلاميين، وهاجموها وقتلوا جميع عناصرها. وذكرت الاذاعة الحكومية: أن ثمانية من عناصرها قتلوا في اشتباكات مسلحة بين الاسلاميين وقوات الأمن.

وقد تمكن المسلمون النيجريون في «كولوكا» من التحرك نحو مدينة بانينانغو واحتلالها، الامر الذي حدا بالحكومة الى ارسال تعزيزات من الجيش لمحاصرة المدينة والقرى المحيطة بها، مما أدّى الى اندلاع اشتباكات عنيفة أدت الى سقوط العديد من الضحايا بين الطرفين، وقد اضطرت القوات الحكومية الى التراجع بعد تكبيدها خسائر فادحة نتيجة مواجهة وصمود القرويين المسلمين وتفوقهم العددي، على الرغم من اختلاف الأسلحة، حيث استخدم المسلمون السهام أمام الاسلحة الأوتوماتيكية التي يستخدمها

ومن باب آخر يحاول كسب ولاء هؤلاء الفلسطينيين لاستخدامهم بوجه الاسلاميين كما فعل مع جماعة «منافقي خلق» الايرانية. وترى اميركا وحلفاؤها ان النظام العراقي بهذا الشكل من الحصار وممارسته للقمع في الداخل الانسب لمصالحها في المياه الدافئة والشرق الأوسط مستخدمين مع الشعب العراقي المسلم اسلوب قتل الضحية وذرف الدموع على جنازتها. وتقع هذه الممارسات الجائرة ضمن مخطط قتل الارادة الاسلامية وانهاء المعارضة الدينية وتهينة مسببات انتشار الرذيلة والفساد والرشوة والمرض والسرقة وامثالها. وهي تعلم أن الشعب العراقي وحده هو الذي يتحمل كل ذلك ويدفع استحقاقات الحروب التي خاضها الطاغية صدام والتي بلغت «١٤٠٠» مليار دولار وهو ما يعادل الاحتياطي الكلي للنفط العراقي المقدّر بـ «١٠٠٠» مليار برميل، وعلى ضوء هذا ستتلاشى قدرات العراق وثرواته ويصبح كأي دولة افريقية فقيرة تعيش على الهبات والمساعدات من الاجانب.

## العسكر.

وفي نفس الوقت تصدى مسلمو مدينة «مارادي» على بعد ٥٥٠ كم شرق نيامي العاصمة الى بائعات الهوى والنساء اللاتي يرتدين ملابس غير محتشمة في الشوارع، وتمكنوا من تنظيف شوارع المدينة منهن ومن زبائنهن.

\* \* \*

## □ الدانمرك

تحدث رئيس منظمة الرفاه الاسلامية في «كوبنهاغن» للصحافة بأن أعداد المسلمين في تنام سريع في الدانمرك، وأن اتساع نطاق الدين الاسلامي بات ملموساً وواقعاً يجب إدراكه، سواء في الدانمرك أو في القارة الأوروبية بشقيها الغربي والشرقي، وأعلن رئيس المنظمة عن إسلام ثلاثة آلاف مواطن دانمركي خلال السنوات القليلة الماضية، وجاء في حديثه للصحف أيضاً: أن عدد المسلمين المهاجرين الى هذا البلد بلغ «١٥» ألف مهاجر، واكثرهم من العراق وفلسطين والصومال.

\* \* \*

## □ هولندا

لم يسمح المسؤولون الفرنسيون بعرض «٢٦» كتاباً إسلامياً في المعرض الذي أقيم في مؤسسة العالم العربي في باريس، بينما أصدرت قرارات لدعم ومساندة عملية طبع وتوزيع كتاب «آيات شيطانية» للمرتد سلمان رشدي. وقد شمل المنع كتب المفكر الإسلامي سيد قطب، والرئيس البوسني علي عزت بيغوفتش، والعالم الهندي أبي الحسن الندوي، وأحمد ديدات من جنوب افريقيا، كما لم يسمح الفرنسيون بعرض أي كتاب ينتقد الصهيونية واليهود، خوفاً من إثارة مشاعر الأقلية اليهودية في فرنسا. في حين يشكل المسلمون ١٠٪ من مجموع سكان فرنسا ويتجاوز عددهم الخمسة ملايين نسمة.

وتعتبر فرنسا في مقدمة البلدان الأوروبية من ناحية عدد المسلمين الموجودين على أراضيها، لكن السلطات الفرنسية اتخذت خلال الاعوام الاخيرة بضغط من الولايات المتحدة والكيان الصهيوني عدة إجراءات استفزازية ضد المسلمين في الداخل والخارج، وكان آخر إجراء اتخذته السلطات الفرنسية عدم قبول صور المعاملات بالحجاب

الذي صدر عام ١٩٨٧م باللغة الألمانية، وقامت بترجمته إلى اللغة الانجليزية «جانيت واطسون» ونشرته مؤخراً دار جامعة أدينبره باسكتلنده. ويحتوي الكتاب على معلومات مهمة وقيمة عن التشيع، ويتطرق المؤلف خلال البحث إلى التاريخ الاسلامي ودور الشيعة خلال عصوره الاسلامية المختلفة منذ وفاة الرسول الأعظم ﷺ وحتى المرحلة الحاضرة، مشيراً إلى الثورات والانتفاضات الشيعية وعلى رأسها قيام الامام الحسين عليه السلام بنهضته الكبرى.

ثم يستعرض المؤلف بشيء من التفصيل نشأة الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وتطور مدرستهم الفكرية والسياسية والفقهية، وجوانب الازدهار فيها، والمصاعب والمعاناة التي اكتنفها منذ عصر الاثمة عليه السلام وحتى العصور المتأخرة. والكتاب يعتبر واحداً من البحوث المهمة التي تعكس اهتمام الغرب بالدراسات المتعلقة بمذهب أهل البيت عليه السلام ومعرفة تاريخهم وأحوالهم بدقة، وصولاً إلى الإحاطة بأحوال أتباع أهل البيت في الوقت الحاضر.

الاسلامي. وكذلك الاجراءات التعسفية غير القانونية ضد الاسلاميين الجزائريين المقيمين في فرنسا والتي يقودها وزير الداخلية الفرنسي شارل باسكوا، حيث ابعدت الحكومة الفرنسية «٢٠» اسلامياً إلى بوركينافاسو من اصل «٢٦» وضعوا تحت الإقامة الجبرية بحجة التهديد الاسلامي لفرنسا وقامت الشرطة الفرنسية بحملة مدامات وتفتيش لبيوت وامكن تواجد المسلمين الجزائريين في جميع انحاء فرنسا ولا سيما في ضواحي باريس تحت غطاء الكشف عن شبكات اسلامية من الممكن ان تساعد التنظيمات الاسلامية وخاصة في الجزائر. وقامت الشرطة الفرنسية باستجواب «٣٠» مسلماً بحجة الاشتباه بهم وأبقت «١١» منهم قيد الاعتقال. وفي هذا الاطار صرح وزير الداخلية الفرنسي ايضاً بالقول: «انه في حالة اقتضاء الضرورة تطبيق هذا الاجراء على آخرين فسنقوم بذلك».

\* \* \*

□ اهسكتلنده

صدرت الترجمة الانجليزية لكتاب «التشيع» تأليف البروفسور «هاينز هالم»

\* \* \*

## □ بلغاريا

ضمن التحرك الاسلامي في جنوب أوروبا، وبعد انهيار معسكر الإلحاد الشيوعي، تقدمت ثلاث منظمات إسلامية في بلغاريا بطلب إلى الحكومة في صوفيا لممارسة نشاطاتها بشكل علني في الشارع البلغاري. الأمر الذي ناقشه مجلس الوزراء البلغاري الذي رفض إعطاء ترخيص لهذه المنظمات، بسبب عدم وضوح نشاطاتها - حسب ادعاء الناطق الرسمي للحكومة البلغارية - وعدم تقديم نسخة من أنظمتها الداخلية. وكانت منظمة الدعم الدولي الإسلامية، والمنظمة الدولية للأوقاف الإسلامية، وكذلك منظمة اتحاد مسلمي بلغاريا قد تقدمت في وقت سابق بطلبات لمنحها تراخيص رسمية لممارسة نشاطها داخل المجتمع البلغاري الذي يشكل المسلمون فيه نسبة ٢٠٪، أو على مستوى المسلمين في البلدان الأوربية التي تعاني من الضياع الفكري والسقوط الأخلاقي وارتفاع معدل الجريمة.

\* \* \*

## □ الصين

منذ بداية العام الحالي والمصادر الأمنية في الصين لا تكف عن التحذير من تنامي المد الاسلامي في مقاطعة تركستان الشرقية المعروفة باسم «سينغيانغ» والذي تراه معاكساً للاتجاه الذي تسير فيه الحكومة الصينية. ففي تقرير صدر عن الحزب الشيوعي في «شنغهاي» ورد تحذير من وجود خلايا إسلامية تعمل تحت الأرض، وتنادي بالانفصال عن «بكين» على غرار ما جرى في الجمهوريات المسلمة في آسيا الوسطى، التي اعتبرها التقرير المغذية والمحركة الرئيسية للتيار الاسلامي في المقاطعة.

الجدير بالذكر أن مقاطعة «تركستان الشرقية» أو «سينغيانغ» التي تعني المقاطعة الجديدة قد استولت عليها الصين عام ١٨٧٦م لتصبح المقاطعة التاسعة عشرة في الصين، ويبلغ عدد سكانها ١٤,٥ مليون نسمة يشكل المسلمون ٦٠٪ من سكانها. وكانت منظمة «آسيا ووتش» المعنية بحقوق الانسان قد ذكرت في تقرير لها مؤخراً أن انتهاكات حقوق الانسان في الصين وخصوصاً المسلمين من تعذيب واعتقالات تعسفية



الاسلامية في موسكو وعدة شخصيات من روسيا وليبيا وسوريا والكويت والسعودية وتونس ولبنان وممثلون عن الاتحادات الاسلامية العالمية والبنك الاسلامي للتنمية، ومنظمة العالم الاسلامي، وعدة منظمات دولية إسلامية وروسية. وأشار الخطباء في الملتقى الى ان الهدف من عقد الملتقى في موسكو هو المساهمة في إحياء القيم الروحية والثقافية لدى مسلمي روسيا وبلدان آسيا الوسطى والقوقاز، وتعميق الروابط والاتصالات مع الاخوة المسلمين في هذه البلدان، حيث يعيش «٢٠» مليون مسلم في الاتحاد الفدرالي الروسي، ويتواجدون بكثرة على ضفاف بحيرة الفولكا ومناطق القوقاز الشمالية ومنها تاتارستان، وباشقردستان، وداغستان، وتشنشين اينغوش وشركيسي، واديغي.

وتبث الاذاعة الروسية كل يوم جمعة برامج تحت عنوان -صوت الاسلام- التي قالت فيها: إن روسيا تشهد انتشار الاسلام السريع في كافة أرجائها وخاصة بين الجواشيين والتائبين، ووصفت الاذاعة حقبة الحكم الشيوعي على روسيا بأنها كانت حقبة العاد وكبت للحريات، وما تقلص عدد المساجد من عشرة آلاف

واستبداد ما زالت قائمة في الصين. من جهة اخرى أصدرت السلطات الصينية اجراءات بفرض قيود جديدة على النشاط الديني الاسلامي في منطقة «نينشيا» بشمال غرب البلاد، التي تسكنها أغلبية من المسلمين، وحظرت الاجراءات الجديدة التدخل من قبل الهيئات الدينية في الشؤون الادارية التي تتناولها الحكومة. كما نصت الاجراءات الجديدة على ضرورة الحصول على موافقة حكومية على فتح المساجد، أو إقامة الهيئات، أو نشر كتب أو صور أو اشربة فيديو أو شرائط صوتية تتعلق بالدين. ويقدر عدد المسلمين في «نينشيا» بنحو ١,٦ مليون نسمة من بين ٤,٩ مليون نسمة في المنطقة.

\* \* \*

## □ روسيا

تحت شعار «الثقافة الاسلامية في روسيا ومجموعة الدول المستقلة» وبمبادرة المركز الثقافي الاسلامي والجامعة الروسية العربية عقد في موسكو الملتقى العالمي للمسلمين، وحضر هذا الملتقى العالمي سفراء الدول

عقده مؤخراً، وأضاف: إن أكثر من «٣٥٠» ألف مسلم من الجنسيات الأخرى يتواجدون على الأراضي الإيطالية، مما يزيد وجود المسلمين في إيطاليا أهمية يوماً بعد آخر، ويشكل هؤلاء المسلمون مع المسلمين الإيطاليين قوة لا يستهان بها في المجتمع الإيطالي.

وأضاف رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في الفاتيكان في مؤتمره الصحفي: أن المسلمين في إيطاليا يطالبون بتنظيم اتفاقية مع الحكومة حول حقوقهم الدينية والاجتماعية وغيرها من سائر الحقوق.

يذكر أن الدين الإسلامي يحتل المرتبة الثانية في تسلسل حضور الأديان السماوية في إيطاليا. وقد صدر في «روما» كتاب تفسيري للآيات الكريمة باللغة الإيطالية، استخدم فيه المؤلف أسلوب التفسير القاموسي، وهي محاولة لاجاد وسيلة وأداة تسهم في مساعدة المطلع الجديد على الدين الإسلامي والتعرف على القرآن الكريم، ويعد هذا المطبوع الخامس من نوعه في روما حيث سبقته أربع ترجمات لمعاني القرآن الكريم.

مسجد قبل الحكم الشيوعي إلى سبعين مسجداً في الثمانينات إلا دليل على ذلك. وأعربت الانداعة عن سرورها لتشكيل جمعية المسلمين الروس، ويرى أعضاء هذه الجمعية التي تحمل اسم جمعية - الحرمين - أن الإسلام يمتلك القوة الحقيقية لملء الفراغ الذي أحدثه فشل الملحدون في روسيا.

وأشارت الجمعية إلى انتشار العقيدة الإسلامية بين العنصر السلافي، وأن مئات الآلاف من السكان الأصليين في أوروبا الغربية يعتقدون الإسلام، بعد أن أدركوا حقيقة هذا الدين، ويرى المسلمون الروس أن إقامة هذه الجمعية يمثل الخطوة الأولى في طريق وحدة المسلمين الروس، وتتويج الجمعية ببناء مسجد جديد في موسكو.

\*\*\*

#### □ إيطاليا

اعتنق الدين الإسلامي أكثر من «١٠» آلاف مسيحي إيطالي خلال الأعوام القليلة الماضية. ذكر ذلك رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في الفاتيكان الأسقف «ماوريش بورمانس» في مؤتمر صحفي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كتاب كبرياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مع قراء الثقلين

باب ننفث منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقلين» بكل ما تزخر به هذه  
العوالم من آراء، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلّتهم فكراً وثقافة  
ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة:  
«التحرير»

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

#### ● «رسالة الثقلين»

#### تعيّني على القرب من الله

تصلني مجلّتكم الجامعة  
«رسالة الثقلين» فأجد فيها  
ما يعينني على القرب من الله، ذلك أن  
الحياة هنا تبتعد عن الله وتميت القلب إلا  
ما رحم ربي. حيث إن المظهر الخلاب  
والجذاب للحياة المادية وقع في فتنته  
الكثيرون، حيث يصعب فهم الحقيقة.

وصلني الملحق الخاص بالطفل  
والمرأة لمجلة رسالة الثقلين، ولقد أصبتم  
كبد الحقيقة، فإن شياطين الانس قد ركّزوا  
على الطفل والمرأة. فالمرأة المسلمة هنا  
قليلة اللقاء بأخواتها نظراً لعدم توفر  
امكانيات التنقل، وإذا خرجت الى الشارع  
بحجابها تلاحقها عيون المجتمع بنظرات  
السخرية والحدق. فهي بحق محاربة  
مجاهدة، وبحاجة دائماً الى سلاح يقوي

معنوياتها ويزيد من إصرارها.

أما الطفل المسلم فهو الضحية الضعيفة، كيف لا وقد وقع الكبار في فتنة هذا المجتمع ومظاهره المادية؟ فلماذا يكون الطفل والمرأة أولى من غيرهم بالعناية والاهتمام.

لقد انتصفت مواضيع المجلة بكونها ممتازة ومفيدة، وخاصة الاستطلاع حول مستقبل الاسلام والمسلمين في أوروبا، وقد استفدت منه كثيراً، وسأقوم بإذن الله بالشروع في هذا العمل معتمداً على الله ومهتدياً بتوجيهاتكم القيمة.

عبد الأمير الربيعي

مكتب منظمة حقوق الإنسان في العراق  
هولندا

\* \* \*

### «رسالة الثقلين»

#### هدية سنية

استلمنا هديتكم السنية مجلة «رسالة الثقلين» ففرحنا بها، لأنها حلقة وصل للاتصال بيننا وبينكم. فشكر الله سعيكم، ونرجو أن ترسلوا لمكتبتنا بقية الاعداد السابقة واللاحقة. وكذلك نرجو من المجمع العالمي لأهل البيت أن يمدنا

بالمكتب وغيرها، فإن المكتبة محتاجة إليها، وسنقوم بترجمة بعض موادها، كما قد ترجمنا «ندوة: حول ماضي التشيع وحاضره» و«الاسلام ومتطلبات الحياة العصرية» ونشرناها بين الاخوان خاصة منهم الذين يحضرون قراءة دعاء كميل كل ليلة جمعة مع الدرس كل يوم الاحد والاسئلة والاجوبة عنها.

لكم الشكر والثناء الجميل، والله يتولى جزاءكم وهو خير من يتولى جزاء المحسنين.

رئيس مجلس التعليم

مكتبة الامام الصادق العامة  
حمزة علوي الحبشي الحسيني  
اندرنيسيا

\* \* \*

### «رسالة الثقلين»

#### مفيدة جداً وجديرة بالترجمة

عندما قمت بزيارة الاستاذ السيد محمد أسد شهاب في «جاكارتا» حصلت على مجلة تحت عنوان «رسالة الثقلين» التي وجدتها تحتوي موضوعات مفيدة جداً، وكانت عدة مقالات فيها مهمة جداً وممتعة.

«رسالة الثقلين» لتفسير بعض الاجزاء  
القرآنية.

سميد محمد عثمان  
مدير مدرسة محمدية  
غانا

\* \* \*

### ● «رسالة الثقلين»

#### مجلة ممتازة

تلقينا مجلتكم القيمة «رسالة الثقلين»  
وقد استفدنا كثيرا مما فيها من مفاهيم  
اسلامية وارشادات شاملة ونحن  
مستعدون للتعاون معكم في هذا المجال  
النبيل، ونرجو أن يكون ذلك عند حسن  
ظنكم.

ونرجو أن لا تقطعوا إرسال هذه  
المجلات الممتازة إلينا والله نسأل أن  
يتولى جزاءكم في الدنيا والآخرة لقوله  
تعالى: ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ  
تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ  
أَجْرًا﴾.

سافادوغو سومبلا  
مدير المدرسة الإسلامية للمجيدية  
ساحل العاج

\* \* \*

إن بعض هذه المقالات جديدة  
بالترجمة ليقسني لنا نشرها في نشرتنا  
«بلغ». ونتمنى أن ترسلوا إلينا أعداد هذه  
المجلة باستمرار.

نشكر جهودكم لنشر الاسلام في  
العالم وجعله الأعلى في الساحة.

الدكتور عبدالخالق  
مركز الدراسات الاستراتيجية والاسلامية  
اندونيسيا

\* \* \*

### ● وصلتنا مجلتكم الشريفة

نسأل الله العلي القدير أن يوحد كلمتنا  
على الحق ويجمع شملنا في ميادين العمل  
الجهادي المقدس من أجل دحر مخططات  
القوى الكافرة وتحقيق آمال امتنا  
الإسلامية في نشر الدعوة وتطبيق  
شريعة الله في الأرض.

وصلتني مجلتكم الشريفة «رسالة  
الثقلين» ونقدم لكم رغبتنا في  
الحصول على ملحق «الفتى» حيث إن  
ذلك سيفيدنا كثيرا بالنسبة للتلاميذ،  
ولذلك نرجو أن تفضلوا بإرسال ما تيسر  
لديكم منها.

أرجو تخصيص باب في مجلتكم

### «رسالة الثقلين»

#### مجلة الاسلاميه الكبرى

كنا الى وقت قريب نطالع على صفحات مجلتنا الإسلامية الكبرى «رسالة الثقلين» موضوعات منها: الاستطلاع، وفقه مدرسة أهل البيت، وآفاق القيادة الإسلامية، وانباء القرى، وفنون وآداب، وناشدةكم الاستمرار بهذه الموضوعات. والحق يقال انني وزملائي بمدرسة دار التربية الإسلامية نعتبرها المجلة الإسلامية الأولى المفضلة عندنا، لما نجد فيها من معلومات وثقافة إسلامية تمثل زاداً فكرياً لا ينتمي لأي تيار سوى التيار الاسلامي.

تاسي بربط

مدرسة التربية الإسلامية

غينيا

\*\*\*

### • نقدم شكرنا الجزيل على

#### نشركم تعاليم أهل البيت (عليه السلام)

أقدم إليكم جزيل الشكر لما تبذلون من الجهود لنشر تعاليم أهل البيت (عليه السلام) وتبليغها إلينا، حيث ان مذهب أهل البيت الأصيل هو المذهب الذي ينبغي على كافة المسلمين تبليغه ونشره. وأرجو من الله أن يسدّد خطانا على ما فيه خير الاسلام

والمسلمين. حيث ان مدرستنا تصبو إلى مساعدتكم حيث تقوم بتربية الأطفال وتعليمهم مذهب أهل البيت (عليه السلام).

الحسن محمد حسين

مدير مدرسة عين شمس

غانا

\*\*\*

### • أرجو ان احصل على

#### «رسالة الثقلين»

أنا شاب صحفي مسلم، ومولع بالقراءة. ولقد شاهدت إعلانكم في «صوت الاسلام» Echo of Islam وأرجو أن أحصل على آخر عدد من مجلتكم «رسالة الثقلين».

أتمنى أن تضيفوني إلى قائمة المشتركين في المجلة.

عبد العليم كامار

الباكستان

\*\*\*

### • نحن بحاجة ماسة الى

#### مجلتكم «رسالة الثقلين»

نحن بحاجة ماسة الى الكتب والمجلات الدينية لاطفالنا خصوصاً

راجياً مساعدتكم بالامداد لأجل مواصلة  
هذا المشروع.

حيدر المشكور  
مقيم بعثة للاجئين العراقيين  
خوزستان - الجمهورية الاسلامية في ايران

\* \* \*

### ● «رسالة الثقلين»

#### عمل جليل ولا ينقصها شيء،

لكم التقدير لما تقدمونه من خدمات  
إسلامية في نشر معالم الاسلام الاصيل  
ومقام أهل البيت عليه السلام، وفقنا الله وإياكم  
لخدمة الاسلام والمسلمين وجعلنا من  
التابعين لأهل البيت آمين رب العالمين.  
لقد وصلتنا أعداد من مجلتكم البناءة،  
ولا يسعنا الا أن نرف اليكم آيات التهاني  
بهذه المجلة، والتبريكات لهذا العمل  
الجليل في إصدار مثل هذه المجلة  
الدورية.

المجلة جيدة ولا ينقصها شيء لا على  
صعيد المظهر ولا على صعيد الجوهر،  
فإنها جامعة حاوية مفيدة لكل من يريد  
الاستفادة.

المهندس علي صالح  
بولندا

\* \* \*

ونحن نعيش في هذه البلدان البعيدة عن  
الاسلام، فنناشدكم أن ترسلوا لنا ما تيسر  
من الكتب والمجلات، وخصوصاً مجلة  
«رسالة الثقلين» وملحقها مجلة «الفتى».  
وفقكم الله لما فيه الخير والصلاح.

اخوكم  
ابو سعيد  
المملكة المتحدة

\* \* \*

### ● «رسالة الثقلين»

#### عمل قويم وجليل

أرفع لكم أسمى التبريكات على عملكم  
القويم والجليل لوحدة امتنا الاسلامية في  
ظل منهاج أهل البيت عليهم افضل الصلاة  
والسلام سائلاً المولى القدير أن يمدكم بهذا  
العطاء الدائم.

ويسعدني أن اتقدم لكم حاملاً بعض  
مساهماتي في المشاركة العملية في رفد  
مجلتكم الغراء وأود أن أعلمكم بأنني على  
استعداد لكتابة السيناريوهات التي تخص  
قصص آل بيت الرسول المصطفى صلّى  
الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وقد ابتدأت في كتابة سيناريو واقعة  
السقيفة، إلا أنني تنقصني بعض المصادر،







رسالة الثقلين  
مجلة إسلامية جامعة

قسمة  
الاشتراك

الاسم .....

العنوان .....

المدينة .....

البلد .....

المهنة .....

مدة الاشتراك .....

ابتداء من .....

عدد النسخ .....

الاشتراك	بلد
السني / لمدة ٦ اشهر	الارسال
٣٠٠٠	٦٠٠٠
<input type="checkbox"/> الجمهورية الاسلامية في ايران (بالريال)	
١٥	٣٠
<input type="checkbox"/> باقي دول العالم بالدولار الأميركي (أو ما يعادل)	

يرافق اشتراك: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حوالة بريدية  
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي:  
\* الجمهورية الاسلامية في ايران . قم . ص.ب ٢٧١٨٥/٨٩٤

الاشتراكات

☐ في داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٦٠٠٠ ريال)  
بحوالة مصرفية على العنوان التالي:  
الجمهورية الاسلامية في ايران - قم - بنك تجارت - شعبه مركزى - رقم الحساب الجاري  
٢٦١٨ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين.  
☐ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً أميركياً أو ما يعادلها) تسدد بحوالة  
مصرفية على العنوان التالي:

ACCOUNT NO. 03563 33268 BANK TEJARAT IRAN

6 - 8 CLEMENTS LANE, LONDON EC4N 7 AP, ENGL ENGLAND.

ثمن النسخة:

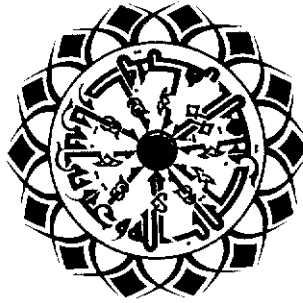
☐ الجمهورية الاسلامية الايرانية ١٥٠٠ ريال ☐ العراق ١٠ دينار ☐ لبنان ٢٥٠٠ ليرة ☐ سوريا ٥٠ ليرة  
☐ الاردن دينار واحد ☐ الكويت دينار واحد ☐ البحرين دينار واحد ☐ الامارات ١٥ درهما ☐ قطر ١٥ ريالا  
☐ عمان ريال واحد ☐ السعودية ٢٥ ريالا ☐ اليمن ٣٥ ريالا ☐ مصر ٧٥ قرشاً ☐ ليبيا ١٠٠ درهم  
☐ السودان ١٠٠ جنيه ☐ تونس دينار واحد ☐ المغرب ١٥ درهما ☐ الجزائر ١٢ ديناراً.  
☐ وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أميركية أو ما يعادلها.

الصفحة الاولى من الغلاف الداخلي: الضلع الجنوبي لمدرسة چهار باغ في مدينة

اصفهان.

الصفحة الثانية من الغلاف الداخلي: جانب من قبة مسجد الشيخ لطف الله في مدينة

اصفهان.



AHL UL BAIT  
WORLD ASSEMBLY

# ***RISALATUTH - THAQALAYN***

**A General Islamic Periodical**

Vol.3, No.10, Sep - Nov. 1994